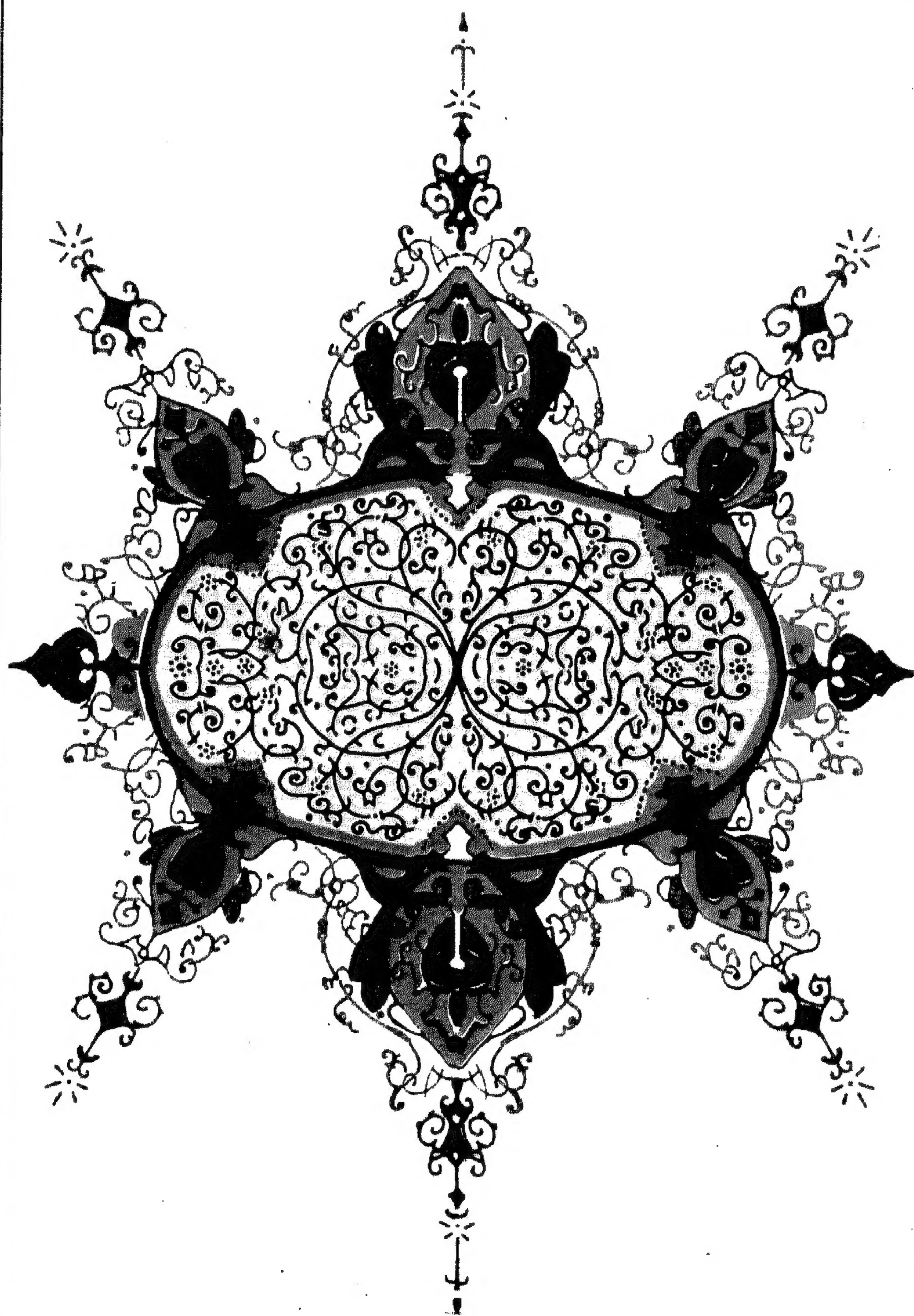


مجلة مجمع اللغة العربية



الجزء الخامس والسبعون
جمادى الآخرة سنة ١٤١٥ هـ

نوفمبر سنة ١٩٩٤ م



مجمع اللغة العربية بالقاهرة
١٥ شارع عزيز أباظة
(المعهد السويسرى سابقا) بالزمالك

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

الجزء الخامس والسبعون

جمادى الآخرة ١٤١٥ هـ - نوفمبر ١٩٩٤ م

رئيس التحرير :

إبراهيم التريزى

أمين التحرير :

مسعد توفيق

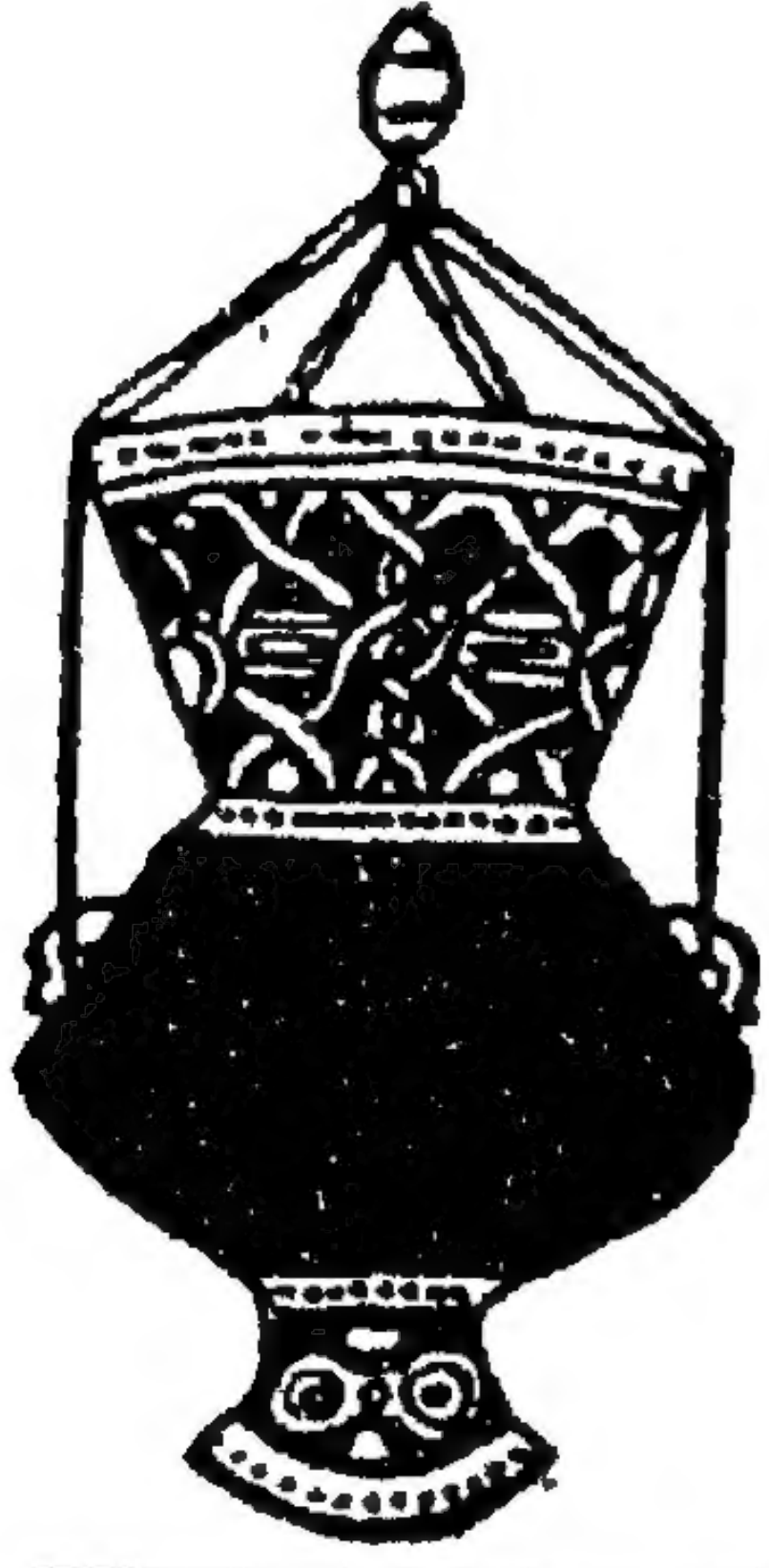
مساعدة أمين التحرير :

سميرة شعلان



الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
بحوث ومقالات		• قوانين المقابلات الصوتية فى اللغات السامية .	
• المجمع المصرى للثقافة العلمية		للأستاذ الدكتور محمود فهمى حجازى ٦٠	
تاريخه ، ومنجزاته ، ودوره فى نشر الثقافة العلمية فى مصر .		• من التراث اللغوى المفقود « مع	
للأستاذ الدكتور محمود حافظ ... ٩		كتابين مفقودين للفراء «	
• مظاهر التيسير فى نحو ابن مالك		للأستاذ الدكتور أحمد علم الدين	
للأستاذ الدكتور عبد الرحمن السيد . ١٧		الجندى ٨٩	
• قراءة جديدة لوثائق مستعربى طليطلة		• التحقق من تحقيق « كتاب العين » :	
للأستاذ الدكتور محمود على مكى . ٣٢		للأستاذ الدكتور شربل داغر ... ١٠٥	



الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
شخصيات مجعية :		للأستاذ الدكتور محمود مختار	
أولاً : - الاستقبال :		عضو المجمع ١٧٣	
استقبال الأستاذ الدكتور أحمد		• كلمة الأستاذ الدكتور عطية	
مدحت إسلام ١٦٣		عبد السلام عاشور في حفل استقباله	
• كلمة الأستاذ الدكتور إبراهيم مذكور		عضوا بالمجمع ١٧٧	
رئيس المجمع ١٦٤		• كلمة المجمع في استقبال العضو	
• كلمة المجمع في استقبال الأستاذ		الجديد .	
الدكتور أحمد مدحت إسلام للأستاذ		الأستاذ الدكتور كمال دسوقي	
الدكتور محمود حافظ عضو المجمع . ١٦٥		للأستاذ الدكتور كمال بشر	
• كلمة العضو الجديد		عضو المجمع ١٨٣	
الأستاذ الدكتور أحمد مدحت إسلام ١٧٠		• كلمة الأستاذ الدكتور كمال دسوقي	
• كلمة المجمع في استقبال العضو		في حفل استقباله عضواً بالمجمع . ١٩٠	
الجديد الأستاذ الدكتور عطية			
عبد السلام عاشور			



الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
• ثانياً : - التآبين :		• كلمة الأسرة للأستاذ ياسر أحمد	
المرحوم الأستاذ الدكتور أحمد السعيد	٢٠٣	السعيد سليمان نجل الفقيه ٢١٥	
سليمان	٢٠٣	المرحوم الأستاذ الدكتور الشيخ	
• كلمة الأستاذ إبراهيم التري عضو		محمد الطيب النجار ٢٢٠	
المجمع في تأبين المرحوم الأستاذ		• كلمة وفاء ورثاء في المرحوم الأستاذ	
الدكتور أحمد السعيد سليمان عضو		الدكتور محمد الطيب النجار للأستاذ	
المجمع الراحل ٢٠٤		الدكتور محمد نايل أحمد عضو	
الذكور الزكية :		المجمع ٢٢١	
قصيدة في رثاء المرحوم الأستاذ		• كلمة الأسرة :	
الدكتور أحمد السعيد سليمان عضو		للأستاذ محيي الدين الطيب النجار	
المجمع الراحل للأستاذ الدكتور محمد		شقيق الفقيه ٢٢٣	
يوسف حسن عضو المجمع ٢١٣		من أبناء المجمع ٢٢٥	

بحوث ومقالات

المجمع المصرى للثقافة العلمية

تاريخه ومنجزاته ودوره

فى نشر الثقافة العلمية فى مصر

للأستاذ الدكتور محمود حافظ

تمهيد :

نشطت الحركة العلمية فى مصر بعد إنشاء الجامعة المصرية عام ١٩٢٥ وكانت هناك رغبة جامحة فى اللحاق بركب الدول المتقدمة ، بعد أن عانت مصر من احتلال مقيت جثم على صدرها فى أواخر القرن التاسع عشر ، واستمر سنين عدة أحمد خلالها جذوة العلم والحركة العلمية .

وعند التفكير فى إنشاء مجمع للثقافة العلمية فى مصر ، بجانب الجامعة المصرية لم يكن فى مصر سوى عدد قليل جدا من الجمعيات العلمية ذات النشاط العلمى المرموق فى البلاد ، ويجدر بى أن أذكر منها المجمع العلمى المصرى الذى أنشئ عام ١٧٩٨ ، على غرار المجمع العلمى الفرنسى ، إبان الحملة الفرنسية والذى واكب إنشاؤه بدء الحركة العلمية فى مصر فى العصر الحديث ، وكان الغرض من إنشائه تحقيق غرضين :

الأول نشر نور العلم فى كل رجا من أرجاء مصر ، والثانى : بحث أحداث مصر التاريخية

ومرافقها وطبيعتها وكل مايتصل بها ، وقد قام علماء المجمع الذين وفدوا مع الحملة بإنجازاتهم الرائعة فى كتاب « وصف مصر » ، ذلك السفر الأعظم الذى حوى بين دفتيه وصفا علميا دقيقا لكل ما حوته أرض مصر وماؤها وما أظلته سماؤها من كائنات ، مما ظل وسيظل معينا ينهل منه كل من أراد أن يرجع إلى هذا المورد العظيم ، وفى عام ١٨٠١م توقف نشاط المجمع العلمى ، ثم بعثت فيه الحياة من جديد عام ١٨٥٩ بمدينة الإسكندرية ، ثم انتقل إلى القاهرة عام ١٨٨٠ ، وظل حتى الآن يقوم برسائله العلمية ونشر المعارف الإنسانية ؛ وفى عام ١٨٧٥ أنشئت الجمعية الجغرافية لتقوم هى كذلك بدورها فى الحركة العلمية فى مصر والعمل فى ميدان الخدمات العلمية والثقافية ؛ بتنظيم المحاضرات ونشر المؤلفات وتشجيع البحث الجغرافى وإصدار المجلة الجغرافية العربية ؛ ولا تزال تقوم بنشاطها المرموق فى هذا المجال محليا وإقليميا ودوليا ؛ منذ ذلك التاريخ حتى اليوم .

وقد واكب إنشاء الجمعية الجغرافية
تقريبا في مصر ظهور مجلة « المقتطف »
في بيروت عام ١٨٧٦ أداة من أدوات نشر
الثقافة العلمية في الوطن العربي ، وفي عام
١٨٨٥ انتقلت هذه المجلة إلى القاهرة ،
وقد قامت بدور رئيسي في نشر
الموضوعات العلمية والثقافية طوال خمسة
وسبعين عاما باللغة العربية .

ومع ذلك كانت الحركة العلمية إبان
القرن التاسع عشر حركة محدودة بإنشاء
هاتين الجمعيتين العلميتين وظهور مجلة
المقتطف ، على الرغم مما زاد عليها من
نشاط في حركة الترجمة التي قادها شيخ
المترجمين : رفاعة رافع الطهطاوي
(١٨٠١-١٨٧٥) في مواجهة أمر العلوم
الجديدة ومحاولة إجلال العلوم محلها
إلا أن في حياة المجتمع المصري ، لا سيما
بعد إنشاء المطبعة والبدء في تيسير حركة
النشر وطبع الكتب والدوريات والمؤلفات
في مختلف العلوم والفنون وإرسال
البعثات العلمية في عصر محمد علي

(١٨٠٥-١٨٤٩) والاهتمام كذلك
بالعلوم والمعارف في عصر إسماعيل
(١٨٦٢-١٨٧٩) .

وفي مطلع القرن العشرين نشطت
الحركة العلمية في مصر وأخذت أبعادا
جديدة ؛ فأنشئت الجمعية المصرية لعلم
الحشرات عام ١٩٠٧ والجمعية المصرية
للاقتصاد السياسي والتشريع عام ١٩٠٩
وتلا بإنشاء هاتين الجمعيتين العلميتين إنشاء
ثلاث جمعيات أخرى ، هي : الجمعية
الطبية المصرية عام ١٩١٦ ، وجمعية
خريجي المعاهد الزراعية عام ١٩١٨ ،
وجمعية المهندسين المصرية عام ١٩١٩ ،
وفي أواخر العشرينيات أنشئت الجمعية
المصرية لعلم الحيوان عام ١٩٢٧ ، والجمعية
الكيميائية المصرية عام ١٩٢٨ - وكل هذه
الجمعيات ومنها خمس جمعيات علمية
وثلاث جمعيات مهنية - تقوم بدور بارز
في تقدم علومها التخصصية ؛ كما أنها
تعمل أيضا في إطار أهدافها على نشر
الثقافة العلمية في مجال تخصصها
وهي تقوم برسالتها العلمية منذ إنشائها
حتى اليوم .

المجمع المصرى للثقافة العلمية :

عندما بدأ التفكير فى إنشاء المجمع المصرى للثقافة العلمية فى شهر يونيه من عام ١٩٢٩ - كانت بمصر تسع من الجمعيات العلمية جاء بيانها فى التمهيد السالف الذكر ولم تكن من بين هذه الجمعيات جمعية جعلت نشاطها كله أو جله يدور حول الثقافة العلمية بل كانت كل هذه الجمعيات جمعيات علمية متخصصة ولو أن جزءا من نشاطها بالطبيعة كان ثقافيا علميا إلا أن ذلك لم يكن ليشفى علة أو ينقع غلة لدى المتعطشين لكؤوس مترعة من الثقافة العلمية يروون بها ظمأهم الذى طال بهم ردحا طويلا من الزمن .

لذلك اجتمع نخبة من علماء مصر فى ذلك التاريخ وقد حباهم الله نفحة من علمه وقبسا من نوره وآمنوا بالعلم سلاحا ماضيا تشق به الأمم الناهضة طريقها نحو مدارج الرقى ووجدوا أنهم على أبواب نهضة علمية حديثة لاحت تباشيرها بإنشاء الجامعة المصرية وإنشاء عدة جمعيات علمية وأنه لا بد لهذه النهضة أن تفسح مكانا لنشر الثقافة العلمية وأنه ينبغى ألا تقصر مهمة العالم فى المجتمع الحديث على أن يقبع فى محراب العلم باحثا أو معلما بل عليه أن يؤدى رسالة العلم فى أوسع نطاق من جمهرة المتعلمين كما يشارك فى إبداء رأى

فى مشروعات وطنه ويتصدى لها بالعلم والخبرة لتقوم على الأسس العلمية السليمة وأن يصنع ذلك كله باللغة العربية .

اجتمعت هذه النخبة بدار المقتطف وهى المجلة التى أسهمت بقسط كبير فى نشر العلم والثقافة العلمية فى ذلك الحين وعقدوا بها اجتماعاتهم التمهيدية التى تدارسوا فيها موضوع إنشاء المجمع وفى العاشر من شهر يناير عام ١٩٣٠ قر قرارهم على إنشاء المجمع المصرى للثقافة العلمية واكتمل اجتماعهم الرسمى الأول فى ذلك التاريخ واختاروا المغفور له الدكتور على إبراهيم (جراح مصر) أول رئيس للمجمع وبقية الأعضاء فى ذلك الوقت وهم السادة الأساتذة : حسين سرى ، د. محمد شاهين ، أحمد حسنين ، د. على توفيق شوشة ، د. حسن صادق ، د. خليل عبد الخالق ، د. على مصطفى مشرفة ، د. أحمد زكى ، د. محمد شرف ، د. أحمد زكى أبو شادى ، د. عبد العزيز أحمد ، د. على حسن (الفسولوجى) ، د. على حسن (الكيميائى) ، محمود توفيق حفاوى ، حسن زكى ، اندراوس شخاشيرى ، د. جورجى صبحى ، د. محمد رضا مدور ، إسماعيل مظهر ، د. كامل منصور ، سلامة موسى ، فارس نمر ، فؤاد صروف .

واتفق الجميع على وضع خطة عمل للمجمع وأخذوا أنفسهم قبل أن يأخذوا غيرهم بالشدة والحزم وجعلوا للعلم هيئته واحترامه وأحاطوا مجمعهم بالوقار مع البساطة ثم حزموا أمرهم ف عقدوا مؤتمرهم الأول فى شهر مارس عام ١٩٣٠ وتليت فى هذا المؤتمر محاضرات قيمة نشرت كلها بالكتاب الأول للمجمع وكان استقبال جمهرة العلميين والمثقفين للفكرة رائعا وإقبالهم عظيما على الاستماع مما ينهض دليلا على تعطش الكثيرين للمعرفة والاستزادة منها وكان ذلك أيضاً من سمات العصر وكان نجاح هذا المؤتمر والإقبال عليه أمرا أثلج صدر القائمين على شئون هذا المجمع وشجعهم على المضى فى تأدية الرسالة التى وهبوا أنفسهم لها فأقاموا المؤتمر تلو المؤتمر متناولة هذه المؤتمرات شتى الموضوعات والمشروعات حتى كان عام ١٩٣٥ فقرر أن يزيد المجمع عدد أعضائه إلى أربعين عضوا ثم بقى الحال على هذا تسعة أعوام أخرى ثم رأى المجمع أن يفتح الباب لعضويته على منصراعيه فلم يلبث أن قفز عدد أعضائه إلى قرابة ثلاثمائة عضو تسابق إليها الشباب والشيوخ على السواء

دليلا على الحماس للعلم وللهيئات التى تنشر نوره وتعالى مناره .

أغراض المجمع وأهدافه :

نص دستور المجمع عند تأسيسه على أن تشمل أغراضه تحقيق :

- ١ - نشر الثقافة العلمية .

- ٢ - بث الروح العلمية فى البيئة المصرية .

- ٣ - العناية باللغة العربية لغة العلم .

- ٤ - إبداء رأى فى المشروعات القومية .

والمتبوع لنشاط المجمع طوال قرابة خمسين عاماً منذ إنشائه حتى اليوم ليرى رأى العين وبالبصيرة النافذة أيضاً أن المجمع كان حفيظا على الخطة التى رسمها لنفسه أمينا على الرسالة التى أوثمن عليها فقد ظل يواصل مهمته السامية فى نشر الثقافة العلمية من خلال محاضراته ومؤتمراته السنوية التى لم تتوقف طيلة أكثر من نصف قرن وحفلت هذه المحاضرات بشتى أنواع العلم وألوان المعرفة وستبقى هذه المحاضرات شاهدا على جهود مشكورة لفئة من علماء هذا الوطن لتثقيف مواطنيهم وإلقاء الضوء لحل الكثير من المشاكل القومية .

ولو استعرضنا كتب المجمع السنوية التى بلغت خمسة وستين مجلدا لوجدنا فيها رصيذا متعظما من قرائح علمائنا ومفكرينا ومنهلا فكريا وعلميا وثقافيا لا ينضب - صيغ كل ذلك فى نحو خمسمائة وخمسين محاضرة علمية فى مجالات الزراعة والصناعة والاقتصاد والطب والاجتماع والعلوم الإنسانية والبيولوجية والفيزيائية وغيرها وفى السنوات الأخيرة اتسع نطاق مفهوم الثقافة العلمية فى المجمع بحيث أصبح يشمل موضوعات فى علم النفس وفى الشخصية المصرية وفى الموسيقى والفن التشكيلى ما دامت ملتزمة بالمنهج العلمى .

وقد عمل المجمع أيضاً على بث الروح العلمية فى البيئة المصرية بجهوده المتواضعة فكما قال أحد رؤساء المجمع السابقين وهو الدكتور أحمد رياض « بقى المجمع وفيما لتلك الروح العلمية السامية التى أملت على الأعضاء فكرته فحمل لواء العلم مع الحاملين وجعل رسالته أمانة فى عنقه آلى على نفسه أن يؤديها إلى يوم الدين ولم ييخل أعضاؤه بتقديم عصارة أذهانهم ونتيجة أبحاثهم

مبسطة فى كثير من الأحيان إلى الجمهور المتعلم لتثقيفه ولتعويده الأسلوب العلمى أساسا للتفكير فالبحت ثم التطبيق وبذلك نسجوا الصلة بين العلم والمجتمع المصرى ثم وثقوها .»

ولعل أهم ماعنى به المجمع أن تكون اللغة العربية لغة للعلم فقد كان لها دائما أبرز مكان بين أغراض المجمع إذ نص على نشر الثقافة العلمية باللغة العربية وكذلك خدمة اللغة العربية بكتابة المباحث العلمية بها ونشرها كما نص على إنشاء رابطة للمشتغلين بالعلم من الناطقين بالعربية والمستعربين ونص أيضاً على أن لغة المجمع هى اللغة العربية وإذا تليت محاضرة غيرها فتلى ترجمتها وتمسك المجمع ومحاضروه بهذا النص تمسكا شديداً إحياءاً للغة العربية وإرجاعها إلى مجدها لغة للعلم ودخضا للقرية التى انتشرت بين بعض المتعلمين أن اللغة العربية تقصر أحيانا عن الوفاء بمطالب العلم الحديث وإيقاع العصر لحركة العلم والتقدم العلمى لذلك عمد المحاضرون إلى إحياء المهجور من كلام العرب حيناً وإلى التعريب حيناً آخر وإلى النحت كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا وخلقوا التراكيب

وجددوا الأساليب ماشاءت لهم علومهم وفنونهم وبمرور السنين كانت قد اتسعت حركة النشر والترجمة والتعريب في مصر وأدلى مجمع اللغة العربية بدلوه في هذا المجال فانعكس كل ذلك على محاضري المجمع وأثرى لغتهم ومصطلحاتهم العلمية في مجاضراتهم ومباحثهم فازدادت هذه غنى وثراء وهكذا مضى المجمع يدعم رسالة اللغة العربية لغة للعلم طيلة هذه السنوات الخمس والستين من عمره وهذا عمل جد جليل .

تبسيط العلوم :

عمل المجمع جاهدا على تبسيط العلوم فهو يحاول أن ينقل العلم الجاف أو العلم المعقد إلى علم يمكن أن يستسيغه ويتقبله الشخص المتعلم العادي أو غير المتخصص وأن يهضمه ويتمثله بسهولة وهذا ما درج عليه المجمع منذ إنشائه ومن المعروف أن العلم قد تشعبت فروعته وتنوعت مفاهيمه فوجد المجمع أنه من الخير أن ينهج هذا النهج لاسيما وأن الذين يلودون به ويتفياون ظلاله هم جمهور المتعلمين متنوعى الثقافة والتعليم فكلما

كان العلم مبسطا كان الاستيعاب كبيرا وهذا هدف يصبو المجمع إلى تحقيقه بأن تصل الثقافة إلى المتعطشين لها والراغبين فيها كما حرص المجمع أن يعرض لكثير من الموضوعات التى تههم مصر فى كثير من النواحي ولكن بأسلوب علمى مبسط يجذب المناقشة والحوار ويقترح الحلول وفى الواقع كانت هذه من أهم السمات التى تميز بها المجمع والذى يعن النظر فى مقالات المجمع التى تزخر بها كتبه يبهره المحتوى العلمى لهذه المقالات المكتوبة بلغة علمية سلسلة بسيطة مفهومة غير مستعصية على مافىها من دسامة وغنى وما تتناول من مشاكل وموضوعات على أعظم جانب من الأهمية والخطورة .

وقد سبق للمجمع أن شجع أعضاءه على التأليف وخاصة على إخراج تلك الكتب التى تبسط العلم وتقربه إلى الأذهان وقرر فى جلسة ١٧ من يناير ١٩٣٥ على مساعدة الأعضاء على طبع ما يقومون بتحضيره من الكتب العلمية ، وقد حالت الحوائل أمام تنفيذ هذا القرار .

دعوة المجمع لإنشاء صحافة علمية :

كان المجمع المصرى للثقافة العلمية أول هيئة دعت منذ ثلاثين عاما إلى إنشاء صحافة علمية تفسح مجالا لمسائل العلوم فقد نادى الأستاذ الدكتور كامل منصور فى محاضراته الرئاسية للدورة التاسعة عشرة للمجمع عام ١٩٤٩ نود أن نرى فى كل جريدة يومية صفحة علمية فى يوم مخصص من أيام الأسبوع مثلا وتكون هذه الصفحة تحت إشراف محرر علمى مسئول.

وقد ردد الأستاذ فؤاد صروف وكيل المجمع فى خطاب له أيضاً أمنية دعا المجمع إلى تحقيقها وهى أن يجرى اليوم الذى يصبح فى كل صحيفة من صحفنا الكبيرة محرر علمى يشرف على ما ينشر فيها فى باب العلم .

ولا شك أن المجمع حين يرى اليوم أن هذه الأمنية قد تحققت وأصبحت صحفنا الكبرى تحفل بأقسام علمية لها وزنها وبمحررين ورؤساء علميين يعتد بهم فى الحقل العلمى والإعلام العلمى وتفرد الصحف مساحات لا بأس بها للأخبار

والمقالات العلمية وإن كانت حركة العلم والتقدم العلمى تستأهل إهتماما مضاعفا من صحافتنا اليومية والأسبوعية - حين يرى المجمع ذلك فإنه ليسعد اليوم حقا .

إبداء الرأى فى المشروعات القومية :

من أهداف المجمع أيضا أن يتصدى بالرأى والمشورة والتخطيط العلمى لكثير من مشروعاتنا القومية وخلال هذه السنين الطويلة من عمره بذل علماءه جهودا مخلصة فى بحث العديد من هذه المشروعات وإلقاء الضوء عليها واقتراح الحلول لمشاكلنا الاقتصادية ومن أمثلة ماعالجه المجمع من موضوعات : السد العالى ومنخفض القطارة ، الثروة المعدنية فى مصر، البترول، الرى ، القناطر والسدود، تخطيط الاقتصاد القومى ، التصنيع ، الثروة الحيوانية ، القطن ، تنظيم البحث العلمى ، التعليم الجامعى ، عناصر الحركة العلمية فى مصر، استصلاح الأراضى، زراعة الصحراء ، تعمير سيناء، بترول الشرق الأوسط ومقامه العالمى ، توليد القوة المحركة فى مصر ومشروع خزان أسوان ، السماد الواجب صنعه من كهربة

الخزان ، إكثار النباتات الصحراوية ذات
القيمة الغذائية ، ضبط مياه النيل ، سكان
مصر ، مشكلة الذباب فى مصر ، بعض
مظاهر الاقتصاد الموجه فى مصر ، الوسائل
العلمية الحديثة للكشف عن المعادن ،
بيولوجيا العواطف ، اتجاهات جديدة فى
الإصلاح الاجتماعى فى مصر ، الثقافة
العلمية وأثرها فى الصحة العامة ، العربية
لغة العلم ، نهر النيل وتطوره
الجيولوجى ، النيل عند الفراعنة ،
التغذية والصحة العامة ، وكثير من هذه
المشروعات أولته الدولة اهتمامها ووجدت
طريقها نحو التنفيذ والمتابعة .

وهكذا نرى أن المجمع طوال خمسة
وستين عاما ظل ولا يزال يعمل فى إصرار
وإيمان لإرساء قواعد الثقافة العلمية فى
البلاد ونشرها وازدهارها بين جمهرة

المتعلمين والمثقفين وبث الروح العلمية فى
البيئة المصرية والعناية باللغة العربية لغة
للعلم وأخذت جماعات العلماء التى وليت
أمر هذا المجمع تعقد المؤتمر تلو المؤتمر
زاخرا بشتى الموضوعات العلمية والثقافية
وبالجملة فقد كرست هذه الجماعات
جهودها لتحقيق الهدف الأسمى الذى
رسمته لنفسها وما كانت لتميل عنه إصبعها
إلا لتميل إليه ميلا .

وهكذا مضى المجمع فى تأدية رسالته
متألقا بين الجمعيات والهيئات العلمية وقل
أن يكون له ضريب بين أقرانه من
الجمعيات يحمل لواء الثقافة العلمية
ويرسى قواعدها فى البلاد حتى أصبح
بهذه الميزة التى تفرد بها نسيج وحده بين
الجمعيات والهيئات العلمية فى مصر .



محمود حافظ

عضو المجمع

مظاهر التيسير فى نحو ابن مالك

للأستاذ الدكتور عبد الرحمن السيد

، ومعين لها على أدائها لهذه الوظيفة ،
ولكى يؤدى غرضه كاملا ، لابد أن يتميز
بسمات تقربه إلى الأذهان ، وتيسره
للطالين .

وإذا كانت هذه المظاهر مفرقة متشورة
فى كتبه ، فإننا نجعلها هنا لتكون أشد
وضوحا ، وأيسر تناولا .

١ - يلمس القارئ لكتب ابن مالك
رغبته فى التقليل من المصطلحات بتعميم
المصطلح وجعله متناولا لأفراد كثيرة ،
وبذا تسهل معرفته ، ولا يعسر فهم
الغرض منه .

فعند الكلام على علامات إعراب
الاسم يقول^(١) : مدلول إعراب الاسم ما
هو به عمدة أو فضلة أو بينهما ، فالرفع
للعمدة وهى : مبتدأ أو خبر أو فاعل أو

نستطيع أن نضع أيدينا فى يسر ، على
ما يتمثل فى نحو ابن مالك من مظاهر
التقريب والتيسير ، وما حاول أن يدخله
فى النحو من وسائل التنقية ، وما بذله فى
تجنيبه عوامل التكلف والتعقيد ، حتى
يكون أكثر صفاء ، وأوفر قدرة على خدمة
اللغة ، وأشد إعانة على نقل الأفكار

ولم تكن هذه المحاولة مقصورة على
ناحية من النحو دون ناحية ، وإنما كانت
محاولاته فى ذلك عامة ، ورغبته فى
التيسير شاملة ، ولقد كان فهم ابن مالك
لوظيفة اللغة ومهمة النحو أساسا فيما مال
إليه ورجحه ، وهاديا له فيما آثره
وارتضاه .

فاللغة أداة للفهم ، ووسيلة للإفهام ،
ولا بد لكى تؤدى وظيفتها من أن تكون
واضحة جلية ، والنحو ضابط لهذه اللغة

(١) شرح التسهيل : ١ / ٢٦٤

نائبه أو شبيه به لفظا ، وأصلها المبتدأ أو
الفاعل أو كلاهما أصل .

والنصب للفضلة وهى : مفعول
مطلق أو مقيد أو مستثنى أو حال أو تمييز
أو مشبه بالمفعول به .

والجر لما بين العمدة والفضلة ، وهو
المضاف إليه .

والحق من العمدة بالفضلات المنصوب
فى باب كان وإن ولا .

ثم يشرح عبارته فيقول : العمدة
عبارة عما لا يجوز حذفه من أجزاء الكلام
إلا بدليل يقوم مقام اللفظ به ، والفضلة
عبارة عما يسوغ حذفه مطلقا إلا لعارض ،
ولما كان المضاف إليه فى موضع يكمل
العمدة ، نحو : جاء عبد الله ، وفى
موضع يكمل الفضلة ، نحو : أكرمت
عبد الله ، وفى موضع يقع فضلة نحو :
زيد ضارب عمرو ، حكم عليه بأنه بين
العمدة والفضلة . . . والمراد بالمفعول
المطلق المصدر المؤكد والمبين للنوع أو عدد

المرات . والمراد بالمقيد المفعول به والمفعول
فيه والمفعول له والمفعول معه .

هذا الاتجاه من ابن مالك لاشك أن
فيه تيسيرا ضخما فى معرفة المصطلحات
وفى فهم وظائف الكلمات فى الجمل ،
وحكم هذه الكلمات ، وإذا كان هذا
الإجمال فى التعريف والدلالة على الأقسام
غير كاف فى معاهد التخصص العليا
والكليات المختلفة ، فلا جدال فى أنه يفيد
دارس المراحل المتوسطة ، فهو يعطيه القيد
العام الذى لا يكدر ذهنه ، ولا يعسر عليه
فهمه ، ويجعله أقدر على الكتابة
الصحيحة والنطق السليم .

وإننا إذا حاولنا أن نعرف مصادر
دعوات الإصلاح التى انبثقت أخيرا ،
والتى حاول أصحابها أن ينسبوا لأنفسهم
فضل السبق بها ، فسنجد هنا وفى غير
هذه الكتب أصولها ومنابعها التى أغفل
ذكرها فترة ، لكى تكشف الأيام عن
مكامنها ، وفضل أصحابها حتى توضع
الأمور فى نصابها ، ويرجع لكل صاحب
فضل فضله .

ويقول^(١) : ولما كان الاهتمام بالعمدة
أشد من الاهتمام بغيرها جعل إعرابها
الرفع ، لأن علامته الأصلية ضمة ، وهى
أظهر الحركات ٠٠٠ ولما كانت الكسرة
تشبه الضمة جعلت علما للمضاف إليه
٠٠٠ ولما جعلت الضمة للعمدة ،
والكسرة للمتوسط بين العمدة والفضلة ،
عينت الفتحة للفضلة وتبع كل واحدة من
الحركات ما هو بالنيابة عنها .

ويقول عند الكلام على كان
وأخواتها^(٢) : وكلها تدخل على المبتدأ
والخبر فترفعه ويسمى اسما وفاعلا ،
وتنصب خبره ، ويسمى خبرا ومفعولا .

ويقول : الشائع فى عرف النحويين
التعبير عن مرفوع هذا الباب ومنصوبه
باسم وخبر ، وعبر سيبويه عنهما باسم
الفاعل ، واسم المفعول ، فقال قاصدا هذا
الباب : هذا باب الفعل الذى يتعدى اسم
الفاعل إلى اسم المفعول ، واسم الفاعل

والمفعول فيه لشيء واحد ، وكذا فعل المبرد
فإنه ذكر هذه الأفعال فى بابها ثم قال :
وهذه أفعال صحيحة كضرب ، ولكنا
أفردنا لها باباً إذ كان فاعلها ومفعولها
يرجعان إلى معنى واحد ، فأى التعبيرين
استعمل النحوى أصاب ، لكن الاستعمال
الأشهر أولى .

فابن مالك ليس عنده ما يمنع من
إطلاق الفاعل والمفعول على اسم كان
وخبرها ، كما فعل سيبويه والمبرد ، وإذا
كان قد فضل الاستعمال الأشهر ، فإننا
نرى أن الاستعمال الأيسر أولى ، لأنه
يحتفظ للأفعال المختلفة بمعمولاتها ،
ويسر على الدارس المبتدئ عناء معرفة
المصطلحات المختلفة التى لن يضيره جهله
بها ، ما دام غيرها يسد مسدها ، ويؤدى
وظيفتها .

ويؤكد ابن مالك اتجاهه هذا
فى موضع آخر فيقول فى باب تعدى
الفعل ولزومه :^(٣)

(١) شرح التسهيل : ١ / ٢٦٥

(٢) شرح التسهيل : ١ / ٣٣٧

(٣) شرح التسهيل : ٢ / ١٥٥

يجوز الاختصار قياسا على منصوب
 الفعل مستغنى عنه بحضور معناه أو سببه
 أو مقارنه أو الوعد به أو السؤال عنه بلفظه
 أو عن متعلقه ، وبطلبه وبالرد على نافية
 . . ثم يقول ، المقصود هنا التنبيه على
 حذف الفعل وفاعله والاختصار على
 المفعول به ، لأن الباب له ، لكنى ذكرت
 لفظا صالحا للمفعول به وغيره من
 منصوبات الفعل ، لأنها كلها متساوية في
 صحة النصب بفعل محذوف ، كقولك :
 زيدا لمن قال : من ضربت ؟ وكقولك :
 حين ظلم . لمن قال : متى ؟ . .

فهو يعبر عنها هنا بمنصوبات الفعل ،
 بعد أن عبر عنها وعن غيرها من المنصوبات
 بالفضلات ، وكلها كلمات عامة صالحة
 للإطلاق على أكثر من باب من أبواب
 النحو .

٢ - وكما مال ابن مالك إلى جعل
 المصطلح شاملا لأكثر من نوع ، بدت منه

(١) عمدة الحفاظ .

رغبة في الإقلال من تقدير العامل كلما
 وُجِدَ إلى ذلك سبيل ، وإلى عدم التكلف
 في تقديره ما دام في الإمكان نسبة العمل
 إلى ما هو قريب يسير .

فقد رجح مذهب الفراء القائل بأن
 الفعل المضارع مرفوع بتعريفه من الناصب
 والجازم ، ولم يقبل مذهب البصريين
 القائل بأنه مرفوع لوقوعه موقع الاسم ،
 قال عن مذهب الفراء (١) : وهو أسهل
 المذهبين وأحقهما بالاطراد .

وليس هناك شك في أن ما رجحه
 أيسر وأسهل ، كما أنه أبعد عن النقد ،
 وأسلم من النقص .

ويرى أن ما ذهب إليه سيويه من جعل
 أن ومعموليهما إذا وقعت بعد لو مرفوعة
 بالابتداء سادة بصلتها مسد الجزأين ،
 أسهل من إضمار ثبت بعد لو ، وجعل أن
 ومعموليهما في تأويل مصدر مرفوع به ،

يقول^(١) : واختصت أن بهذا بعد لو ، كما
اختصت غدوة بالنصب بعد لدن ، ورأى
سيبويه هذا أسهل . . . وما ذهب إليه هو
الصحيح ، فإن إضمار فعل دون مفسر ولا
عوض لا نظير له ، بخلاف جعل أن
بصلتها سادة مسد جزأى الإسناد ، إذ وقع
بعد ليت وظن فلم يكن بدعا .

وابن مالك لا يرى بأسا في أن يعرب
الاسم الواقع بعد إذا مبتدأ كما ذهب إلى
ذلك الأخفش ، لأن طلب إذا للفعل ليس
كطلب إن ، بل طلبها له كطلب ما هو
بالفعل أولى مما لا عمل له فيه كهمزة
الاستفهام ، قال^(٢) : وكما لا يلزم فاعلية
الاسم بعد الهمزة لا يلزم بعد إذا ،
ولذلك جاز أن يقال : إذا الرجل بالمسجد
فظن به خيرا ، ومنه قول الشاعر :

إذا باهلى تحته حنظلية

له ولد منها فذاك المذرع

فجعل بعد الاسم الذى ولى إذا ظرفا

واستغنى به عن الفعل ، ولا يفعل ذلك بما
هو مختص بالفعل ، وما يدل على صحة
مذهب الأخفش قول الشاعر :

فأمهله حتى إذا إن كأنه

معاطى يد فى لجة الماء غامر

فأولى إذا إن الزائدة ، وبعدها جملة
اسمية ، ولا يفعل ذلك بما هو مختص
بالفعل .

وإذا كان العرب قد استعملوا ذلك
كثيرا ، وإذا كان قد جاء مثله فى القرآن
الكريم ، فليس هناك داع لالتزام تقدير
فعل ، ولا بأس بجعله مبتدأ ، فتكون
الجملة الاسمية قد وقعت بعد إذا .

٣ - كذلك يميل ابن مالك إلى التقليل
من تقدير الحركات ، والاكتفاء بالموجود أو
بما يدل عليها ، مادام مؤديا للغرض الذى
من أجله جىء بها .

فابن مالك يرى - أن إعراب الأسماء

(١) شرح التسهيل : ٢ / ٣٩

(٢) شرح التسهيل : ٢ / ٢١٣

الستة بالواو نيابة عن الضمة ، وبالألف نيابة عن الفتحة ، وبالياء نيابة عن الكسرة، أسهل المذاهب وأبعدها من التكلف ، لأن الإعراب إنما جئ به لبيان مقتضى العامل ولا فائدة في جعل مقدر متنازع فيه دليلا ، وإلغاء ظاهر واف بالدلالة المطلوبة .

وهو كلام واضح بين كان يحسن التمسك به ، والوقوف عنده .

كذلك يرى ابن مالك أن المضاف إلى ياء المتكلم إذا كان مبنيا قبل الإضافة فهو لا يزال مبنيا بعدها ، وإذا كان معربا عرض له تقدير الإعراب بعد أن كان ظاهرا ما لم يكن مثنى فيظهر إعرابه ، أو مجموعا على حد الثانية في حالى الجر والنصب ، أما في حالة الرفع فإعرابه مقدر، يقول (١): وزعم الجرجاني ووافقه ابن الخشاب والمطرزي، وهو الظاهر من قول الزمخشري، أن المضاف إلى ياء المتكلم

(١) شرح التسهيل : ٣ / ٢٧٩

مبنى ، وفي كلام ابن السراج احتمال . . . والصحيح أن المكسور الآخر للإضافة إلى الياء معرب تقديرا في الرفع والنصب ، لأن حرف الإعراب منه في الحالين قد شغل بالكسرة المجلوبة توطئة للياء ، فتعذر اللفظ بغيرها ، فحكم بالتقدير ، كما فعل بالمقصور ، وأما حال الجر فالإعراب ظاهر للاستغناء عن التقدير، هذا عندي هو الصحيح ، ومن قدر كسرة أخرى فقد ارتكب تكلفا لا مزيد عليه ، ولا حاجة إليه .

ولم أوافق الجرجاني في بناء المضاف إلى الياء ، وإن كان في تقدير إعرابه تكلف يخالف الظاهر ، لأن لبناء الأسماء أسبابا كلها متفية منه ، فيلزم من الحكم بينائه مخالفة النظائر ، فلذلك أتبعته ردا ، ولم أر من خلافه بدا .

واتجاه ابن مالك في هذا اتجاه سليم ، فما دامت الكسرة موجودة فلا حاجة إلى

القول بأن الياء اجتلبت كسرة أخرى ، لأن
الكسرة إنما جئ بها في حالى الرفع
والنصب لتناسب الياء ، فإذا كانت
موجودة في حالة الجر فالمناسبة قائمة ، فلا
داعى لتقدير كسرة أخرى .

كذلك ذهب ابن مالك إلى جواز فتح
العلم المنادى الموصوف بابن المضاف إلى
علم ، وجواز بنائه على الضم^(١) ، فإذا
كانت ضمة المنادى غير ظاهرة لم يُنَوَّ
تبدلها بفتحة إذ لا فائدة في ذلك ، لعدم
ظهورها .

ويقول ابن مالك^(٢) : نص سيبويه
على أن نداء ما فيه هاء التانيث بترخيم
أكثر من ندائه دون ترخيم ، وبعد نصه
على ذلك قال : واعلم أن ناسا من العرب
يثبتون الهاء فيقولون : يا مسلمة أقبل ،
وبعض من يثبت يقول : يا مسلمة يعنى
بفتح التاء ، ومنه قول الشاعر :

كلينى لهم يا أميمة ناصب

وليل أقاسيه بطيء الكواكب

(١) شرح التسهيل : ٣ / ٣٩١

(٢) شرح التسهيل : ٣ / ٤٢٨ .

وعلى سيبويه الفتح في التاء بأنه لما
كان الأكثر في نداء ما هي فيه نداءه
بحذفها ، قدر وهي ثابتة عاريا منها ،
فحركت بالفتح لأنها حركة ما وقعت
موقعه وهو الحرف الذى قبلها .

قال ابن مالك : وأسهل من هذا
عندى أن تكون فتحة التاء إتباعا لفتحة ما
قبلها ، كما كانت فتحة المنعوت في نحو :
يا زيد بن عمرو ، إتباع لفتحة ابن ، وإتباع
الثانى الأول أحق بالجواز لاسيما في كلمة
واحدة ، ويرجح هذا الاعتبار على ما
اعتبره سيبويه قوله : وبعض من يثبت
يقول فنسب الفتح إلى بعض من يثبت ولو
كان الفتح على ما ادعى من تقدير حذف
التاء لكان منسوبا إلى من يحذف لا إلى
من يثبت . وهذا بين ، والاعتراف به
متعين .

ويرى ابن مالك أن ما يطلق على

الواحد والجمع من الأسماء كقولك هجان

ودلاص إذا لم يثن فليس بجمع ، ويكون
كالمصدر يقع خبرا عن الاثنين نحو :
الزيدان عدل ، ومررت برجلين عدل
وإن ثنى فهو جمع مقدر تغييره فى رأى
بعض النحاة ، وذلك مثل : فُلْكَ تُقَدَّر فى
الإفراد كقفل ، وفى الجمع كأسد ، ولكنه
يرى أن الصحيح كونه عند إطلاقه على
الجماعة اسم جمع مستغنيا عن تقدير
التغيير ، قاللفظ مشترك بين المفرد واسم
الجمع ، لا بينه وبين الجمع^(١) .

قال الدمامينى^(٢) : وأحسن المصنف
فى وصفه : مستغنيا عن تقدير التغيير ، فإنه
أشار بذلك إلى علة ما اختاره من كونه اسم
جمع ، وذلك أنه على هذا الوجه لا
يحتاج إلى تقدير التغيير ، وأما على تقدير
كونه جمعا فيحتاج إلى تقدير التغيير كما
سبق ، وهو خلاف الأصل فيكون ما
اختاره راجحا على ما اختاروه .

٤ - ويتضح ميل ابن مالك إلى
التيسير فى قبول الأساليب التى ثبتت
ورودها عن العرب ، والتى تؤدى الغرض
منها ، فيما ذهب إليه من قبول رأى
البصريين الذين يجيزون أن يتصل المبتدأ
بضمير اسم متصل بالخبر إذا أمكن تقديم
صاحب الضمير فى مثل :

زيدا أجله محرر ، وزيدا أجله أحرر ،
يقول (٣) : فالحاصل أن الصحيح ما ذهب
إليه البصريون من التسوية فى الجواز بين :
زيدا أجله محرر ، وزيدا أجله أحرر ، بل
الآخر أولى بالجواز لأن العامل فيه فعل ،
وعامل المثال الأول اسم فاعل ، فمن منع
الآخر دون الأول فقد رجح فرعاً على
أصل ، ومن منعهما فقد ضيق رحباً ،
وبعد قريباً ، ومن حجج البصريين قول
الشاعر :

(١) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ٢٦٧

(٢) تعليقات الفوائد .

(٣) شرح التسهيل : ٣٠٣/١

خيرا المبتغية حار وإن لم

يقض فالسعى فى الرشاد رشاد

فهذا مثل : زيدا أجله أحرز .

كما يظهر ذلك فيما اتجه إليه فى أفعال :

المقاربة من إجازة حذف الخبر إذا دلّ عليه

دليل ، لأن ذلك - كما يقول (١) - جائز

فى غير هذا الباب إذا ظهر دليل ،

وضرب لذلك مثلا ما جاء فى الحديث

« من تأنى أصاب أو كاد ، ومن عجل

أخطأ أو كاد » ، وفى حديث آخر « فإذا

استغنى أو كرب استعف » .

وما أقره من جواز الفصل بين المضاف

والمضاف إليه بالظرف أو الجار والمجرور

بقوة إن تعلقا بالمضاف ، وإلا فبضعف :

يقول (٢) : وهو جدير بأن يجوز فى

الاختيار ، ولا يختص بالاضطرار ،

وبذلك أقول لوروده فى حديث أبى الدرداء

رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « هل

أنتم تاركولى صاحبي » ، أراد : هل أنتم

تاركو صاحبي لى ، ففضل بالجار والمجرور

لأنه متعلق بالمضاف ، وهو أفصح الناس

فدل ذلك على ضعف من خصه بالضرورة

ومما يدل على ذلك رفضه ما ذهب

إليه أبو على الفارسى من أن الميم لا تثبت

فى فم حال الإضافة إلا فى الشعر ،

يقول (٣) : وزعم الفارسى أن قول من

قال :

يصبح ظمآن وفى البحر فمه

من الضرورات ، بناء على أن الميم

حقها ألا تثبت حال الإضافة إلا فى الشعر

وهذا من تحكماته العارية عن الدليل ،

والصحيح أن ذلك جائز فى النظم والنثر ،

وفى الحديث الصحيح « لخلوف فم الصائم

أطيب عند الله من ريح المسك » .

ويجيز ابن مالك أن تحذف الفاء فى

جواب أما فى النثر لورود ذلك فيه ، كقول

(١) شرح الكافية : ٤٦٢/١

(٢) شرح التسهيل : ٢٧٣/٣ ، التذيل والتكميل : ج٧/ ٢٧٠ - ١٧١

(٣) شرح التسهيل : ٤٩/١ ، تهيد القواعد : ج١/ ٣٩

النبي ﷺ : « أما بعد ما بال رجال
يشرطون شروطا ليست في كتاب الله
وقوله « أما موسى كأتى أنظر إليه إذ انحدروا
في الوادي » .

قال (١) : ولا تحذف هذه الفاء غالبا إلا
في الشعر أو في قول أغنى عنه المقول
..... وقد خولفت هذه القاعدة في هذه
الأحاديث ، فعلم بتحقيق عدم التضييق ،
وأن من خصه بالشعر أو بالصورة المعينة
من النثر مقصر في فتواه ، عاجز عن نصر
دعواه .

٥ - وابن مالك يميل في تخريج
الأساليب وتوجيهها إلى اتباع الأسهل
تخريجا ، والأكثر نظيرا ، وقد رأينا أمثلة
لذلك كثيرة عند كلامه على الأصل
الذي قال به وهو أن ما له نظير أولى
مما لا نظير له ، ومن ذلك رأيه في
الأفعال التي تنصب ثلاثة مفعولات ، فقد

(١) شواهد التوضيح : ص ١٣٦ - ١٣٨

(٢) شرح التسهيل ١٠١/٢

(٣) سورة التحريم : آية / ٣

ذهب إلى أنها منصوبة بحذف حرف الجر ،
يقول (٢) : فدل ذلك على أن تقدير حذف
حرف الجر بعد نبا راجع عنده ، إذ ليس
فيه إخراج شيء عن أصله ، ولا تضمين
شيء معنى غيره ، وأيضا فإن النصب
بحذف حرف الجر بعد نبا مقطوع بثبوته
فيما حكى من قول بعض العرب : نبئت
ريدا ، مقتصرا عليه ، وبعد أنبا في قوله
تعالى (٣) : « من أنباك هذا » ، ولم يثبت
الإجراء مجرى أعلم إلا حيث حذف حرف
الجر ، فكان الحمل عليه أولى ، هذا في نبا
مع كثرة استعمالها بالصورة المحتملة ، وأما
أخواتها فيندر استعمالها بتلك الصورة . .
هذا أراه أظهر إن كان غيره أشهر .

٦ - كذلك لا يميل ابن مالك إلى
ما يبدو من بعض النحاة من تكلف
وتعقيد في النظر إلى بنية الكلمة ،
فما الكافة إذا جاءت بعد الكاف
أحدثت فيها معنى التعليل ، كقوله

تعالى^(١) : « واذكروه كما هداكم » وإذا
حدث فيها معنى التعليل ، ووليها
مضارع نصبته لشبهها بكى ، كقول
الشاعر :

فطرفك إما جئتنا فأصرفنه

كما يحسبوا أن الهوى حيث تنظر
وما اتجه إليه الفارسي من أن الأصل
كيما ، وحذفت الياء^(٢) : تكلف لا دليل
عليه ، ولا حاجة إليه كما يقول .

وهو يرى من أجل ذلك أن السين
وسوف بمعنى واحد ، وأن سوف هي
الأصل والسين وسف وسووسى كلها فروع
منها ، وإن خالف ذلك رأى البصريين ،
يقول^(٣) : واتفقوا على أن أصل سف
وسووسى سوف ، وزعموا أن السين أصل
برأسها غير مفرعة عن سوف ، لكنها منها
كنون التوكيد الخفيفة من نون التوكيد

الشديدة ، ويمنع منه تكلفه ، وأنها دعوى
مجردة عن الدليل ، وليس كذلك القول ،
بأن نون التوكيد الخفيفة أصل برأسها ، لأن
الذى حمل على ذلك ، أنا رأينا الخفيفة
تنفرد بمعاملة لا تعامل بها الثقيلة ،
كحذفها عند ملاقة ساكن . . والقول بأن
السين فرع سوف لا يفضى إلى مثل ذلك
فوجب قبوله والتمسك به ، لأنه أبعد من
التكلف ، وأيضا فقد أجمعنا على أن سف
وسووسى عند من أثبتها فروع سوف
فلتكن السين أيضا فرعها .

٧ - وابن مالك يعرف الوظيفة
الحقيقية للكلام ، وهى الفهم والإفهام ،
فما دام الكلام مؤديا لوظيفته ، فهو سائغ
مقبول ، فإذا لم يؤدها كان جديرا بالطرح
وعدم الاعتبار ، يقول - عند الكلام على
لا النافية للجنس^(٤) - : وحذف الخبر فى
هذا الباب إذا كان لا يجهل يكثر عند

(١) سورة البقرة : آية / ١٩٨

(٢) شرح التسهيل : ١٧٣ / ٣

(٣) شرح التسهيل : ٢٥ / ١

(٤) شرح الكافية : ٥٣٥ / ١ - ٥٣٨

الحجازيين ، ويلتزم عند التميميين ، فإن كان يجهل عند حذفه وجب ثبوته عند جميع العرب ، فمن حذفه لكونه لا يجهل « لا إله إلا الله » ، ولا فتى إلا على . . . ومن الواجب الثبوت لعدم العلم به قوله تعالى (١) : « لا ريب فيه » وقوله تعالى : (٢) : لا علم لنا إلا ما علمتنا ، وقول النبي ﷺ : « لا أحد أغير من الله » و« لا إله غيرك » ، وزعم قوم منهم الزمخشري والجزولي أن بنى تميم يحذفون خبر لا مطلقا على سبيل اللزوم ، إلا أن الزمخشري قال : وبنو تميم لا يثبتونه فى كلامهم أصلا ، وقال الجزولى ولا يلفظ بالخبر بنو تميم إلا أن يكون ظرفا .

وليس بصحيح ما قالاه ، لأن حذف خبر لا دليل عليه يلزم منه عدم الفائدة ، والعرب يجمعون على ترك التكلم بما لا فائدة فيه . قال الشلوين : ينبغى أن يكون خلاف أهل الحجاز وبنى تميم فيما هو

جواب لقول قائل ، كقولك لمن قال : هل من رجل أفضل من زيد ؟ لا رجل . وأما إذا لم يكن جوابا فلا ينبغى أن يحذف الخبر أصلا لأنه لا دليل عليه . وأنكر على الجزولى استثناء الظرف .

وهذا كلام لا يحتاج إلى تعليق لصحته وإحكامه .

٨ - وكما كان ابن مالك يميل إلى السهولة واليسر فى التأويل والتخريج ، وفى تقدير الإعراب أو العامل ، كان يميل إلى السهولة فى التعليل - وقد مر بنا قريبا ما اتجه إليه من تعليل عدم بناء فعل التعجب مما يعبر عن فاعله بأفعل فعلاء من الأفعال ، قال : وإنما لم يبن من هذا النوع فعل التعجب لأن مبناه من الفعل حقه أن يكون ثلاثيا محضا ، وأصل الفعل فى هذا النوع أن يكون على أفعل ، ولذلك صححت منه العين إذا كان ثلاثى اللفظ كهيء وعور . . . وهذا التعليل هو المشهور

(١) سورة البقرة : آية / ٢

(٢) سورة البقرة : آية / ٣٢

عند النحويين ، وعندى تعليل آخر أسهل منه ، وهو أن يقال : لما كان بناء الوصف من هذا النوع على أفعل ، لم يبن منه أفعل تفضيل ، لئلا يلتبس أحدهما بالآخر ، فلما امتنع صوغ أفعل التفضيل ، امتنع صوغ فعل التعجب لتساويهما وزنا ومعنى ، وجريانها مجرى واحداً فى أمور كثيرة ، وهذا الاعتبار هين بين ، ورجحانه متعين .

وإذا كنا قد لاحظنا ضعف هذه العلة ، فهذه الملاحظة لا تنافى أن الأصل الذى سار عليه هو تحرى السهولة واليسر فى التعليل .

٩ - ومن مظاهر تيسير النحو التى رآها ابن مالك ، والتى يكون لها أثر فعال فى تقريب تناوله ، وجعله سهل المأخذ ، قريب الجنى ، أن يفصل منه ما لا يدخل فى صميمه من الأبحاث ، وما هو أساسى فى فروع أخرى ، وقد تحدثت عن ذلك

فى رسالتى^(١) وضربت أمثلة متعددة لدراسات أعتقد أنها مقحمة على النحو ، وأنها من العوامل التى ساعدت على أن يجد دارسه فيه مشقة وعتا ، وقلت^(٢) : هذه الدراسات التى أعتقد أن تنحيتها عن وضعها الذى هى عليه ، والعناية بها فى مكانها من دراسة فقه اللغة تعود على النحو وعلى الدراسات اللغوية بجليل الفائدة ، تفيد النحو بإعفائه من دراسات طويلة لا تدخل فى صميمه ، وتريجه من خلافات عنيفة ليس هو طرفا فيها ، فليكن تيسير النحو إذا بإخراج ما لا يمت إليه بآصرة وثيقة ، إحدى الطرق التى ننتهجها فى هذه السبيل ، ولتكن الدراسة النحوية قائمة على ما ينضوى تحت لواء النحو حقيقة لا مجازا ، بهذا ينال النحو عناية أكثر ، ويقرب من الأذهان خطوة أكبر . ويخلص من كثير مما يشق على الأفهام ، ويكد كثيرا من العقول .

(١) مدرسة البصرة النحوية : / ٣٠٠ - ٣١٤

(٢) / ٣١٣

وتفيد الدراسات اللغوية بضم عناصر
ندت عنها ، وبحوث نفرت منها ،
فتكسبها قوة ، وتزيد أفقها اتساعا ،
وتعطي هذه الدراسات فرصة المقارنة
الشاملة ، والملاحظة الدقيقة ، والموازنة
المستقصية ، فتكون أكثر دقة وأوفر إنتاجا ،
وربما وفقنا عن طريق ضم المؤلف ،
وجمع التشابه ، إلى أن نقف على
الصواب في بعض ما غمض علينا من
مسائل ، أو نهتدي إلى شيء مما ضللنا
سبيله ، فنحسم نزاعا اضطرم ، ونقضي
على خلاف نشب ، كما فعل
برجستراس^(١) عندما أقام هو وغيره من
العلماء بحوثهم على الموازنة بين الكلمات
والتراكيب في اللغات المختلفة ، مما أدى
بهم إلى الوصول إلى نتائج ربما لم تكن
حاسمة ، ولكنها على كل حال تقضي
على الجدل النظري بين العلماء ، وتعفى
على التعليل الفلسفي ، وتقوم أحكامها

على التجربة المنتجة ، والموازنة الدقيقة
المجدية ، فقد عرض لبعض ما عرض له
النحاة من ألفاظ ، وبحث فيها ، وقارنها
بأخواتها من اللغات السامية ، وانتهى إلى
نتائج ضرب لها بعض الأمثلة تبشر
بالوصول إلى حقائق ذات قيمة عالية في
موضوعها .

يقول ابن مالك في باب الإبدال^(٢) :

حروف الإبدال المبوب عليها في كتب
التصريف هي الحروف التي تبدل من غيرها
لغير إدغام ، والتي لا بد من ذكرها وهي
هذه التسعة ، وما سواها مما ذكره الزمخشري
وغيره مستغنى عنه ، كاللام والنون والجيم
والسين ، وربما كان غير هذه الأربعة أولى
بالذكر كالصا د ، فإن إبدالها من السين عند
مجاورة حرف الاستعلاء مطرد على لغة ،
فذكرها أولى من ذكر السين إذ ليس للسين
موضع يطرد إبدالها فيه ، وكذلك اللام

(١) التطور. النحوى للغة العربية : ص ٥٤ ، ١٢١ ، ١٣٣

(٢) شرح الكافية : ٤ / ٢٠٧٧ - ٢٠٨٠

والنون إبدالهما من غيرهما إنما هو بالنقل
فى كلم محفوظة ، كقولهم فى : أصيلان
أصيلال ، وفى : اضطجع الطجع . .
وأما الجيم فإن قوما من العرب يبدلونها من
الياء المشددة فى الوقف باطراد ، وربما
أبدلت دون وقف ، كقولهم فى : الإيل
إجل ، ودون تشديد ، كقوله :
يارب إن كنت قبلت حجتج

فلا يزال شاحج بأتيك بج

أقمر نهات ينزى وفرتج

وهذا النوع من الإبدال جدير بأن يذكر
فى كتب اللغة لا فى كتب التصريف ،
والأ لزم أن تذكر العين لأن إبدالها من
الهمزة المتحركة مطرد فى لغة بنى
تميم، ويسمى ذلك عنعنة، وإنما ينبغى أن

يعنى فى الإبدال التصريفى بما لو لم يبدل
وقع فى الخطأ ، أو مخالفة الكثير .»

وهذا اتجاه صحيح ، وتميز ضرورى
بين أبحاث العلوم ، لتؤتى ثمرتها ،
وتحقق الغرض منها .

وقد وضع ابن مالك بهذا أساس
الطريقة الصحيحة للتيسير ، التى تحتفظ
للعلم بمقوماته ، وتبقى على ما يميزه من
مصطلحاته ، ولكنها تنحى عنه ما عقّد منه
السهل ، وشوه منه النقى ، حتى يعود إليه
من الرونق والصفاء ما يحببه إلى عقول
الدارسين ، وما يقربه من نفوس الراغبين،
وحتى يجد الجميع فيه المتعة والغناء .

عبد الرحمن السيد

عضو المجمع

* * *

قراءة جديدة

لوثائق مستعربي طليطلة

للأستاذ الدكتور محمود على مكي

تمهيد : أهل الذمة في الإسلام :

من المعروف أن المستعربين في المصطلح الأندلسي هم المسيحيون الذين احتفظوا بعقيدتهم في ظل الحكم الإسلامي للأندلس ، أي أنهم في نظر الشريعة الإسلامية إحدى طوائف «أهل الذمة» أو «أهل الكتاب» الذين عاشوا بصفقتهم أقلية دينية في مجتمع يحكم بشريعة الإسلام ، وذلك لأن العرب حينما حملوا الدين الجديد إلى البلاد التي فتحوها شرقاً وغرباً لم يعملوا أبداً على فرض ديانتهم على شعوب هذه البلاد ، وذلك تحقيقاً للمبدأ الإسلامي « لا إكراه في الدين » (القرآن الكريم ، سورة البقرة آية ٢٥٦) . ومن هنا تركت لهم حرية الاختيار بين اعتناق الإسلام وحيثئذ يصبحون جزءاً من المجتمع الإسلامي الجديد ، أو البقاء على ديانتهم السابقة ، فيكونون في «ذمة» المسلمين

أوحمايتهم ، وتكون لهم حرية ممارسة شعائرهم ، وتلتزم الدولة باحترام معابدهم ومؤسساتهم والاعتراف لهم بكيان له استقلاله بتدبير أموره ماداموا هم بدورهم يحترمون شريعة الدولة التي يعيشون في ظلها . وقد طبق هذا النظام على الطائفتين اليهودية والمسيحية اللتين عاشتا في ظل الدول الإسلامية باعتبارهما «أهل كتاب» ، بل طبق ذلك أيضاً على المجوس الذين آثروا الحفاظ على ديانتهم في شرق العالم الإسلامي . وأتت هذه السياسة التسامحة من جانب المسلمين أكلها بين مختلف الطوائف الدينية في المجتمعات الإسلامية . ولم يحل اختلاف العقائد من التعاون بين تلك الطوائف الدينية المتعددة ، ومن وصول غير المسلمين إلى مناصب رفيعة في المجتمع الإسلامي ، بقدر ما سمحت به كفاءاتهم وقدراتهم المتميزة .

أهل الذمة فى ظل الحكم الإسلامى
للأندلس :

لم يكن وضع شبه جزيرة إيبيريا
مختلفا عن وضع غيرها من البلاد التى
فتحها المسلمون ، فمنذ دخول العرب إلى
هذا القطر فى سنة ٩٢ هـ (٧١١ م) وعلى
الرغم من الانتشار السريع للإسلام فى
أوساط الشعب الإيبيرى الذى اصطبغ
بالصبغة الرومانية والذى كان خاضعاً خلال
القرون الثلاثة الأخيرة لحكم القوط فقد
بقيت نسبة من هذا الشعب محافظة على
ديانتها القديمتين : المسيحية واليهودية .
وظلت هاتان الطائفتان فى تعايش مع
المسلمين سادة الوثام خلال معظم العصور
التى كان للدولة الإسلامية فيها الكفة
الراجعة .

وقد أطلق على هؤلاء المسيحيين اسم
«المستعربين» (Mozarabes) وهو يعنى
الذين تشبعوا بالثقافة العربية واصطنعوا
عادات العرب ولغتهم وأسلوبهم فى الحياة
على الرغم من عدم انتمائهم إلى العرب
جنساً ولا إلى المسلمين ديناً . وهو وصف

يمكن أن ينسحب أيضاً على الطائفة
اليهودية ، غير أن المصطلح ظل مرتبطاً
بالمسيحية ، إذ كانوا هم الأقلية الأكثر عدداً
والأبرز دوراً فى حياة المجتمع الأندلسى .
وقد اهتم علماء عديدون ببحث أوضاع
هؤلاء «المستعربين» وحياتهم فى داخل
الكيان الإسلامى فى الأندلس ، ولكن
بعض هذه الدراسات انطلقت من مواقف
مسبقة غلبت عليها العصبية الدينية
والقومية بحيث انحرفت بها عن الموضوعية
وروح العلم المتجرد من الهوى . ولعل
أوضح مثل تتجلى فيه هذه النزعة هو
الكتاب الضخم الذى أفردته لدراسة أحوال
هذه الطائفة المستشرق الإسبانى
فرانسيسكو سيمونيت (عاش بين سنتى
١٨٢٩ و ١٨٩٧) الذى كان أستاذاً
للدراستات العربية فى جامعة غرناطة ، فهو
كتاب عظيم القيمة جليل الفائدة لولا أن
صاحبه تصور أن الأندلس طوال تاريخها
كانت منقسمة إلى فريقين : مسلمين
ومسيحيين فى حرب دائمة دامية لاهوادة
فيها . وأن المسيحيين ظلوا طوال قرون

عديدة أسرى فى مجتمع يصب عليهم أقصى ضروب الاضطهاد والتنكيل ويفرض عليهم لغته وثقافته على الرغم من أن حضارتهم كانت أرقى وأعظم من حضارة مستعبيهم من المسلمين^(١).

غير أن تقدم البحث العلمى فى هذا الموضوع وفى دراسة الحضارة الأندلسية قد انتهى بالباحثين إلى نتائج مضادة تماماً لذلك التصور ، وخلاصة هذه النتائج هى أنه إذا كان صحيحاً أن الشعبين الأندلسيين المسيحى والإسلامى قد دار بينهما صراع طويل فإنهما قد تعايشا أيضاً خلال فترات طويلة ، وأنهما تعارفا على نحو وثيق سمح بكثير من تبادل التأثير والتأثر بينهما سواء حينما كانت الكلمة العليا للدولة الإسلامية التى عاش فى ظلها المستعربون ، أو حينما انقلبت الأوضاع فأصبحت الغلبة للدولة المسيحية التى بسطت حكمها على المسلمين عن اصطلاح على تسميتهم « بالمُدَجَّجِينَ Mudéjares » ثم

« بالموريسكيين Moriscos » . فالحقيقة أن المستعربين والمُدَجَّجِينَ إنما هما وجهان لعملة واحدة .

وقد ناقش أنخل جونثالث بالنثيا هذه القضية فى دراسته التى مهد بها لنشر مجموعة الوثائق المستعربية فقال إن سيمونيت وأمثاله من أولئك الباحثين الذين طالما ذرفوا الدموع على المسيحيين « شهداء الاضطهاد الإسلامى » ينسون أن أهم طوائف المستعربين هم الذين كانوا يعيشون فى طليطلة . وكانت هذه المدينة هى أولى الخواضر الكبرى وقوعاً فى أيدي المسيحيين (فى سنة ٤٧٨ / ١٠٨٥) . وعلى الرغم من أن طليطلة ومنطقتها الواقعة فى وسط شبه الجزيرة قد أصبحت مركز الدولة المسيحية قشتالة Castilla فقد ظل سكانها المسيحيون يدعون أنفسهم بالمستعربين واستمروا يحملون أسماءهم العربية ويستخدمون باختيارهم وإرادتهم العربية فى معاملاتهم ووصاياهم مما تشهد به وثائقهم على مدى أكثر من ثلاثة قرون من الزمان بعد أن آلت إليهم الدولة والسلطة ، فهل

(١) Francisco Simonet : Los mozárabes , Madrid 1897 - 1903 .

وحول تقويم الجهد العلمى لهذا المؤلف وبيان ما وقع فيه من تجاوزات بسبب منطقه الخطأ انظر كتاب جيمس مونرو : الإسلام والعرب فى البحث العلمى الإشباني ، من القرن السادس عشر حتى الوقت الحاضر :

James T. Monroe : Islam and the Arabs in Spanish Scholarship , Leiden , 1970 , pp. 84 - 100 , 200 - 201 , 236 - 238 .

يمكن لأحد أن يتصور أن المسلمين الذين ظلوا في طليطلة أقلية مغلوبة على أمرها هم الذين فرضوا على الأكثرية المسيحية الغالبة لغتهم العربية ؟ النتيجة المنطقية التي وصل إليها جونثالث بالنشأ من هذه الحقيقة التاريخية هي أن المسيحيين سواء منهم الذين عاشوا في ظل الدولة الإسلامية أو الذين تمتعوا باستقلالهم السياسى رأوا في الحضارة العربية الأندلسية نموذجاً أرقى مما كان لديهم ، فحرصوا على تقليده والاحتذاء على مثاله . وما أكثر ما نجد هذه الظاهرة تتكرر في تاريخ الإنسانية ، وهي أن الغالب هو الذى يقلد المغلوب ويصطنع ثقافته حينما يراه أسبق منه فى مضممار الحضارة (٢) .

المستعربون فى طليطلة حتى عصر الطوائف :

كان هؤلاء المستعربون يؤلفون طائفة كبيرة العدد إلى حد ما فى المناطق الجنوبية من شبه الجزيرة حيث كانت العقيدة المسيحية قد رسخت منذ أواخر العصر الرومانى وخلال العصر القوطى ، يدل

على ذلك وجود العديد من الكنائس فى قرطبة وإشبيلية وغيرهما من مدن الجنوب ، والإشارات الكثيرة إلى المسيحيين فى المصادر العربية الأندلسية التى تؤرخ للقرون الأولى من تاريخ الإسلام فى شبه الجزيرة (فيما بين القرنين الثامن والعاشر الميلاديين) . أما طليطلة فقد كان المتوقع لأول وهلة وجود طائفة مسيحية كبيرة فيها ، لاسيما وأنها ظلت خلال العصر القوطى عاصمة لدولتهم ، وأن الملك القوطى ريكاردو Recaredo (الذى حكم بين سنتى ٥٨٦ و ٦٠١) اعتنق الديانة الكاثوليكية بعد أن كان أسلافه ومعهم الطبقة الحاكمة القوطية يدينون ببدعة مسيحية تدعى « الأريوسية Arrianismo » . كان الشعب الإيبيرى يكرهها وينفر منها . غير أن الباحثين ميكيل دى إيبالشا وزوجته ماريا خيسوس روبييرا أثبتا فى دراسة طريفة لهما حول الموضوع أن المسيحيين لم يكونوا كثيرى العدد فى طليطلة حينما فتحها المسلمون ، وأن عددهم اتجه

(2) Angel González Palencia : Los mozárabes de Toledo en los siglos XII y XIII , volumen preliminar , Madrid , 1930 , pp. 117 - 118.

إلى التناقص التدريجي بعد الفتح وذلك
لسيين : الأول أن زعماء هذه الطائفة
وعلى رأسهم أساقفتهم وقساوستهم عمدوا
إلى الفرار إلى الشمال ، والثاني أن كثيراً
من هؤلاء المسيحيين اعتنقوا الإسلام .
ومن أجل ذلك كان على نصارى طليطلة
أن يبحثوا عن أساقفة يقومون برعاية
شئونهم الروحية يستقدمونهم من قرطبة (٣) .

وقد انخدع بعض المؤرخين بأخبار
الثورات الكثيرة التي كان الطليطليون
يقومون بها في وجه النظام الحاكم في

قرطبة خلال القرنين الثامن والتاسع
الميلاديين ، فظنوا أن القائمين بها من
المسيحيين ، غير أن الذي ينعم النظر في
تلك الأخبار سرعان ما يتكشف له أن
حملة لوائها كانوا دائماً من المسلمين ، وأن
السبب في نزعاتهم التمردية لم يكن له
علاقة بالدين ، وإنما كان سياسياً واقتصادياً
في المقام الأول (٤) .

المستعربون الطليطليون بعد زوال الحكم
الإسلامي :

وظل الأمر كذلك على عهد الخلافة
ثم عصر الطوائف ، أي خلال القرنين
العاشر والحادي عشر الميلاديين حتى

(3) Mikel de Epalza y Maria Jesús Rubiera : Los cristianos toledanos bajo dominación musulmana .

(المسيحيون الطليطليون في ظل الحكم الإسلامي) ، مقال منشور في مجموعة الدراسات التي قدمت في « ملتقى
طليطلة الإسبانية العربية » ، سلمنكة :

Simposio Toledo hispanoárabe, Salamanca, 1986, pp. 130 - 131.

(٤-) من أجل الأدلة على ذلك أن رعيم ثورة الطليطليين على أيام الأمير الحكم بن هشام كان غريب بن
عبد الله الثقفي (المتوفى سنة ٨٢٣/٢٠٧) وكان « زاهداً معروف الفضل » ويذكر من ترجموا له « أن الذي أخرجه من
قرطبة إلى طليطلة وقعه في أمرائها وإعلانه بتجويرهم » . انظر ترجمته في تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية ،
المنشور بعناية خوليان ريبيرا ، مدريد سنة ١٨٦٨ ، ص ٤٦ ؛ وجذوة المقتبس للحميدى ، تحقيق محمد بن تاووت
الطنجي ، القاهرة ١٩٥٢ ، ترجمة رقم ٧٥٥ ص ٣٠٧ ؛ وبغية التمس للضبي ، تحقيق فرانسيسكو كوديرا ، مدريد
١٨٨٥ ، ترجمة رقم ١٢٨١ ، والمغرب في حلى المغرب لابن سعيد ، تحقيق شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٥٥ ، ٢٣/٢ ؛
والدليل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي ، السفر الخامس ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٥ ، ترجمة رقم ٩٩٥
ص ٥٢٢ ؛ ونفح الطيب للمقري ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ ، ٣٢/٤ .

سقوط طليطلة فى يد ألفونسو السادس Alfonso VI ملك قشتالة فى سنة ٤٧٨ (مايو ١٠٨٥) ، فقد أعقب فتحه لها تضخم كبير مفاجئ للطائفة المسيحية ، وذلك بسبب تزايد الهجرة إليها سواء من القادمين من مدن الجنوب فراراً من الفتن والحروب الأهلية أو الوافدين من الممالك والإمارات المسيحية الشمالية ، بل نحن نعرف أن ألفونسو السادس استعان فى فتحه طليطلة بأعداد كبيرة من الفرسان والجنود ورجال الدين الفرنسيين ، وعلى رأسهم الراهب برنارد Bernard الذى أصبح كبير أساقفة المدينة ، وهو الذى قام - فى غيبة الملك عن المدينة - بالاتفاق مع الملكة كونستانس Constance وكانت فرنسية أيضاً على تحويل مسجد طليطلة الجامع إلى كنيسة ، وكان ذلك نقضاً للمواثيق التى عقدها ألفونسو مع مسلمى المدينة والتى وعدهم فيها بالإبقاء على مساجدهم وعلى ممارستهم لشعائهم (٥) .

وكانت طليطلة قد بلغت أوج ازدهارها الحضارى والثقافى خلال القرن الحادى عشر الميلادى فى ظل دولة بنى ذى النون ، ووجد ألفونسو السادس نفسه هو ورجال دولته يحكمون رعية كان معظمها فى البداية من المسلمين ، ولهذا فإن المسيحيين الوافدين الذين زاحموا أولئك المسلمين فى مدينتهم لم يجدوا بُداً من التعامل معهم باللغة العربية التى كانت آنذاك هى لغة الحضارة ، وكان أكثرهم ولاسيما الذين قدموا إلى طليطلة من المدن الأندلسية الأخرى يعرفون العربية ويستخدمونها من قبل . وهذا هو ما يفسر لنا أن الوثائق التى جرى المسيحيون على التعامل بها والتى سلمت من عدوان الزمن وضلت إلينا مكتوبة بالعربية ، بل ظل التعامل بهذه اللغة سارياً كما ذكرنا على امتداد ثلاثة قرون أخرى من الزمان .

(٥) انظر كتاب تاريخ إسبانيا لأجوادو بلييه :

Aguado Bleye : Historia de España , Madrid, 1947, I, p.602.

الوثائق المستعربية :

يبلغ عدد هذه الوثائق التي اضطلع بتحقيقها وترجمتها إلى الإسبانية أنخل جونثالث بالنثيا ألفاً ومائة وخمسا وسبعين وثيقة (١١٧٥) ، وكان معظمها محفوظاً في كاتدرائية المدينة ، وباقيتها في دور المحفوظات أوفى مجموعات خاصة . وبين هذه الوثائق إحدى وعشرون وثيقة عربية إلا أنها مكتوبة بحروف عبرية ، وهي تشمل على معاملات بين أفراد الطائفة اليهودية ، وقد قام بتحقيق هذه الوثائق أستاذ اللغة والأدب العبريين في جامعة برشلونة الأستاذ ملباس فاليكروسا Millás Vallicrosa ، ورأى بالنثيا أن يضمها إلى الوثائق المستعربية ، إذ هي تنتمي في الحقيقة إلى هذه المجموعة لغة وموضوعاً . وقد اقتضت ضخامة عدد الوثائق أن تنشر في ثلاثة مجلدات كبيرة ، وأضاف إليها المحقق مجلداً رابعاً يضم دراسة وافية لها مع عدد من الملاحق والفهارس (٦) .

والشطر الأكبر من هذه الوثائق (٧٢٦ وثيقة) متعلق باليسوع ، أى عقود البيع والشراء ، وباقيتها يشتمل على وثائق الهبات وتحرير العبيد والمعاوضات والقروض والرهنون والإجارات والديون والمنازعات القضائية وعقود الزواج والشهادات والوصايا على اختلاف أنواعها .

وأما تواريخ هذه الوثائق فأولها مبيعة ترجع إلى سنة ٨٣-١٠ أى قبل استيلاء ألفونسو السادس على المدينة بستين ، والوثيقة الأخيرة ترجع إلى سنة ١٣٩١ ، ومعنى ذلك أنها تتناول حياة أهل طليطلة على مدى القرون الثلاثة الأولى من حكمها المسيحي .

والملاحظ مع ذلك أن جميع الوثائق تستهل بصيغة البسمة الإسلامية تليها عبارة « له الحمد وحده » أو « وبه أستعين » أو « توكلت على الله وحده » . وحينما يرد اسم شخص في الوثيقة فكثيراً ما يتبعه الكاتب بدعاء مثل « أدام الله بركته » أو « أعزه الله » أو « أكرمه الله » .

(6) Angel González Palencia : Los mozárabes de Toledo en los siglos XII y XIII , en 4 volumenés , Madrid, 1926 - 1930 .

أسماء الأعلام :

وحيثما نتأمل أسماء الأعلام المسيحية الواردة فى الوثائق نلتقى بكثير من الأسماء والكنى والألقاب العربية ، إذ تكثر فيها أسماء عبد الله وعبد العزيز وعبد الملك وعبد الكريم وعبد القوى وعبد الرحمن وعبد السلام وعلى وعمر ومفرح ومقاتل وهلال وخلف وحاتم وفرج ومريم وفطومة وعائشة ، وكنى مثل أبى الحسين وأبى الربيع وأبى العاص وأبى الخير وأبى السرور وأم الهدى ، وألقاب مثل ابن الغريبة والأحنف والأديب والأزرق والشقيق والكوسج (القليل شعر اللحية) واليتيم ، وملتقى أحياناً بالألقاب طريفة مما كان شائعاً بين مسلمى الأندلس مثل الأقرع ومعه ترجمته إلى الرومانسية أى الإسبانية القديمة وهو « القلب » . (El Calvo) وكذلك الأجد (El Crespo) والفخم الجسم وترجمته « الغرضه » (El Gordo) وبصفات يبرزون بها مثل « درهم ونصف » و« العينين فى رأسه » و« بوقه دى شابله الحوات » Boca de Sábalo ومعناه « فم الشابل » وهو نوع من السمك ،

والحوات هو بائع السمك أى السمك . ونجد أحياناً مزجاً بين ألفاظ عربية ولواحق عجمية فى مثل اسم « فرجال » ، وهو فرج أضيفت إليه اللاحقة العجمية الدالة على التصغير Farach - ello ، وكذلك سمرال ، وهو صفة أسمر أضيفت إليها نفس اللاحقة Samar - ello ، وهو لفظ كثيراً ما نجده فى الأزجال الأندلسية وفى خرجات الموشحات المكتوبة باللغة الدارجة . ومثل هذا أيضاً إضافة اللاحقة ez - التى تدل على معنى البتوة ، فكما أن الشائع فى الإسبانية استخدام Sánchez بمعنى « ابن سانشو Sancho » و Pelaez بمعنى ابن بيلايو Pelayo فكذلك نجد اسم حبيس Habibez أى « ابن حبيب » .

وتلحق ببعض الأسماء نسب منها فى أسماء المسيحيين البرشلونى والنربونى ، وبالنسبة لأسماء المسلمين نجد بعضها مرفوعاً إلى قبيلة عربية أو بربرية أو إلى مدن أندلسية ، منها الأنصارى والفهرى والحضرى والعذرى ، واللمطى والصنهاجى (نسبة إلى قبيلتى لمطة وصنهاجة البربريتين) ، وكذلك الأبدى

والغرناطى والبسطة والإشبيلية والمرشاني ، وهذه الأخيرة نسب إلى مدن أندلسية ، بل نجد أيضا من يدعى المراكشى والغزّى (نسبة إلى غزة بفلسطين) .

وكانت الأسماء العربية شائعة بين المستعربين ، وكثيراً ما نرى فى الأنساب الكاملة لبعض المتعاقدين أسماء مختلطة عربية وعجمية نورد فيما يلى أمثلة لها : مرتين Martin بن أبى البقاء ، أبو الأصبغ عبد العزيز لمبدير Lampader ، بطره لازره Pedro Lázaro ابن عبد القوى ، الوزير القاضى دون بيطره Don Pedro بن عبد الرحمن بن يحيى بن حارث ، دمنقه Domingo بن عبد العزيز ابن سفيان، فليز Feliz بن يحيى بن عبد الله ، وهكذا .

خطط طليطلة ومعالمها العمرانية :

ومن أهم ما تطلعنا عليه الوثائق خطط طليطلة وعمرانها ، ذلك لأنها - ولا سيما فى عقود البيوع تنص على مواقع المنازل والأحياء والميادين والشوارع فى دقة

متناهية . ومن المعروف أن المدينة تقع داخل منعطف من نهر تاجه Rio Tajo يحيط بها من ثلاث جهاتها : الشرقية والغربية والجنوبية ، فيكون النهر لها أشبه بسور غير مكتمل . وكانت مقتضيات الدفاع عنها تلزم بإقامة سور محكم البناء يحيط بها ولاسيما من جهة الشمال ، إذ كان النهر يمثل دفاعاً طبيعياً لها من بقية الجهات غير أن هذا الوضع الجغرافى جعل طليطلة تظل دائماً فى موقعها التاريخى القديم لاتستطيع النمو ولا التوسع إلا فى نطاق محدود جداً ، فلم يتغير تخطيط شوارعها ولا أحيائها حتى اليوم تقريباً عما كانت عليه فى عهدها الإسلامى . وميزها هذا الوضع الفريد عن مدن أخرى كان عمرها الإسلامى أطول بكثير ، غير أن وضعها الجغرافى سمح لها بتطور كبير غير الكثير من معالمها الإسلامية .

وتعد الكنيسة العظمى (الكاتدرائية)

- وهى مسجد طليطلة الجامع الذى حُوّل إلى كنيسة - هى مركز عمران المدينة ، وأمامها كان يمتد حى يدعى «كُدِيّة الخطب» ثم أصبح يدعى «الكدية» Alcudia (وهو

لفظ عربى كثر استخدامه فى الأندلس وهو
يعنى الراية أو المرتفع (. وأهم شوارع
الكدية كان يدعى «درب شبيب Adarve
de Sebib» وكانت توجد فيه عدة بيوت
يملكها ورثة سيف الدولة Zafadola ابن
هود (وهو سليل بنى هود الذين كانوا
ملوك سرقسطة على عهد الطوائف) ،
وكان سيف الدولة حليفاً لآل فونسو السابع
Alfonso VII الملقب بالسليطين (حكم
قشتالة بين ١١٢٦ و ١١٥٧ / ٥٢٠ - ٥٥٢
هـ .)

ويتصل بهذا الحى الواقع فى وسط
المدينة حى «البيرالمر Pozo Amargo»
حيث كان يوجد حمام مشهور يدعى حمام
يعيش ، ولا بد أن يكون هذا الحمام ملكاً
لأحد أفراد بنى يعيش الذين كانوا من أبرز
أسر المدينة وأكثرها جاهاً وثروة ، وكان
منهم يعيش بن محمد بن يعيش الذى كان
رئيس طليطلة ومدبر أمرها قبل أن تنتقل
السلطة فيها إلى بنى ذى النون (٧) .

ولما كان هذا الحى هو مركز النشاط
التجارى فى المدينة فقد كان يضم عدداً من
الأسواق التى يتجمع فيها أصحاب المهنة
الواحدة فى درب واحد على ما كان معتاداً
فى المدن الإسلامية . فقد كانت فيه أسواق
العطارين والجزارين والصرافين والحصّارين
(باعة الحُصُر) واللجّامين (باعة لُجْمُ الخيل)
والبلطيرين (وهو لفظ عجمى peletero
أضيفت إليه لاحقة الجمع العربية
ومعناه باعة الفراء) والحنّاطين (باعة
الحنطة) والحدادين والفخارين .

والى الشمال الشرقى من الكدية
توجد «قصبة» المدينة Alcazaba أى قلعتها
المحصنة المسماة بالحزام ، وهى مدخل
المدينة من جهة الشمال وأكثر أجزائها
تحصيناً ومنعة ، إذ يحيط بها سور متين
البنيان ، وفى طرفها الأعلى باب يدعى
«باب القنطرة» Puerta de Alcántara إذ
يطل على القنطرة المؤدية إلى خارج

(٧) يعيش بن محمد الأسدى كان فقيهاً له ، رحلة إلى الشرق ، وتولى الأحكام ببلده ثم صار إليه
تدبير الرياسة منذ أيام الفتنة التى انتهت بسقوط خلافة بنى أمية وكانت وفاته سنة ٤١٨ (١٠٢٧) . انظر
ترجمته فى الصلة لابن بشكوال ، رقم ١٥٢٠ ص ٦٥٠ .

المدينة . وفى هذا الجزء كان يقوم قصر حاكم المدينة على عهد المسلمين ، وقام ملوك بنى ذى النون بتجديده ، ثم أصبح قصر ملوك قشتالة منذ استولى المسيحيون على المدينة ، وكانت القصببة المتصلة بالقصر مستقر الحامية العسكرية . ويطل سور القصببة على سوق كبير كان يدعى «سوق الدواب» ومازال محتفظاً باسمه العربى محرفاً فى صورة Zocodover ..

والجزء الشمالى الشرقى من المدينة وهو المحيط بالقصر الملكى كان هو الحى الذى يقطنه كبار رجال الدولة ، فكانت منازلهم تتميز بالفخامة ، أما الجزء الجنوبى فهو الذى توجد فيه الأحياء الشعبية ، ومنها حى الدباغين الذى كان يحكم طبيعة هذه المهنة ملاصقاً لضفة النهر الجنوبية .

ولما كانت المدينة محاطة بأسوار تقتضيها ضرورة الدفاع فقد تخللت الأسوار عدة أبواب ، أهمها فى الشمال «باب المردوم» (ويدعى الآن Valmardom) وهو يطل على ربض (أى ضاحية) ألحق بالمدينة بعد توسعها شمالاً ثم أدير حوله

سور آخر ، وفتح فى هذا السور باب يدعى باب شقرا Puerta de Bisagra وهو الذى أصبح مدخل المدينة الرئيسى من جهة الشمال والشمال الغربى . وإلى الغرب من هذا الباب آخر يدعى «باب اليهود» لأنه كان مطلاً على الحى اليهودى . وفى أقصى الجنوب بابان آخران هما باب الدباغين وباب الحديد .

وكان لكل حى من أحياء المدينة مرافقه الخاصة من أسواق وحمامات ومساجد . ومن المؤكد أن كل كنائس طليطلة القائمة اليوم كانت هى مساجدها بعد نقض بنائها ، وإن كانت بقايا البنايات القديمة ماثلة فى عدد منها ، بل احتفظ بعضها بطابعه المسجدى سليماً إلى حد بعيد مثل مسجد باب المردوم الذى يدعى الآن كنيسة مسيح النور Cristo de la Luz ومسجد الدباغين الذى أصبح الآن كنيسة سان سباستيان San Sebastian ..

التكوين السكاني للمدينة :

يظهر من الوثائق أن المسلمين الذين ظلوا في المدينة بعد استيلاء الفونسو السادس عليها كانوا يقيمون متشرين في كل أنحاء طليطلة معاشين لمن قدم عليها من المسيحيين دون أن ينفردوا بأحياء معينة ، على العكس من اليهود الذين تجمعوا في حيهم الخاص . فإذا تأملنا تكوين سكان طليطلة بحسب ما تكشف عنه الوثائق أمكن لنا أن نعين منهم أربع طوائف :

الأولى المسلمون وكانوا يؤلفون غالبية السكان في بداية الفتح المسيحي ، ولكنهم أخذوا في التناقص بالتدريج بسبب هجرة الكثيرين منهم إلى المناطق التي ظلت في أيدي المسلمين من شبه الجزيرة ، ومع ذلك فقد بقي منهم عدد كبير إلى نهاية القرن

الثالث عشر . ولما كان المسيحيون المستعربون يستخدمون أسماء عربية فقد اقتضى التمييز بينهم وبين المسلمين أن تضاف صفة « المسلم » إلى اسم من كان على هذا الدين ، فنجد مثلا « ابن طورينه المسلم » الذي كان أمين الفخارين سنة ١١٣٥ (٥٢٩ هـ .) (٨) .

وكان بعض هؤلاء يتمتع بقدر كبير من الجاه والثروة ، مثل ورثة الأمير سيف الدولة ابن هود الذي تدل الوثائق على كثرة أملاكه في مختلف أحياء طليطلة (٩) ، ورجل يدعى « المواق » يتردد ذكره في الوثائق لكثرة ما كان يمتلكه هو ثم أبناؤه من بعده من ييوت وحوانيت ، وكانت داره في أرقى أحياء المدينة بجوار

(٨) انظر المجلد التمهيدى لكتاب بالثيا ص ٢٣٥ ، وقد عثرنا على ترجمة لفقيه من بلنسية يدعى أحمد بن عبد العزيز الأنصاري ويلقب بابن (في الأصل أبى) طورينه وكان يعيش في القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) (الدليل والتكملة لابن عبد الملك ، السفر الأول ، ترجمة رقم ٣١٦ - ٢٤٢/١) ونرجع أن تكون هناك صلة قرابة بين هاتين الشخصيتين .

(٩) المجلد التمهيدى لكتاب بالثيا ص ٥٥ ، ١٥٢ ، والوثيقة ١٣٠ - المجلد الأول ص ٩٣ - ٩٤ . وتاريخ هذه الوثيقة سنة ١١٧٧ (٥٧٢ - ٥٧٣ هـ .) .

الكنيسة العظمى والقصر الملكي مرجعاً
لكثير من الوثائق ، بل أصبح الشارع الذى
توجد فيه تلك الدار يعرف باسمه : «درب
المواق»^(١٠) ويظهر أن بعض من ينحدرون
من ذرية هذا الرجل قد آثروا بعد ذلك
فى زمن لانستطيع تحديده الهجرة إلى
غرناطة^(١١) . وذلك لأننا نجد فى بعض
مصادرنا العربية عن تاريخ غرناطة خلال
القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر
الميلادى) فقيها مشهوراً يدعى يوسف بن
أبى القاسم العبدري المواق ، ثم ابناً له كان
قاضى غرناطة وكبير فقهاءها والمفتين
بها فى السنوات الأخيرة من حياتها
الإسلامية ، وقد أدرك هذا القاضى وهو
محمد بن يوسف المواق سقوط غرناطة فى
أيدي الملكين الكاثوليكين سنة ٨٩٧

(١٤٩٢) ^(١٢) . ولا بد أن هذه الشخصيات
البارزة من مسلمى طليطلة كانت على
جانب كبير من سعة الثقافة وأنها لذلك
ساهمت فى العديد من ألوان التبادل
الثقافى بين المسيحيين والمسلمين ، لا سيما
ونحن نعرف أن حالات الزواج المختلط بين
المسلمين والمسيحيين لم تكن قليلة فى
المدينة^(١٣) .

والطائفة الثانية من سكان المدينة هم
المسيحيون المستعربون الذين كان عددهم
محدوداً فى البداية حينما استولى ألفونسو
السادس على طليطلة ، ولكن سرعان ما
تزايدوا فى القرون التالية حتى أصبحوا هم
غالبية السكان ، ولهذا فإننا لا نجد فى
الوثائق النص على مسيحية المثبتين فيها ، إذ
كان هذا هو الشائع المتوقع . على أن

(١٠) المجلد التمهيدى ص ١٥٢ والوثائق أرقام ١٦٠ ، ٣٠٢ ، ٣١٤ ، ٤١٧ ، ٥٨١ ، ٧٣٨ ، ٧٥١ .

(١١) آخر الوثائق التى تذكر اسم «المواق» هى رقم ٧٥١ المؤرخة فى سبتمبر ١٢١٣ (٦١٠ هـ .) حيث يرد ذكر «دار
كانت للمواق» . (المجلد الثالث) ص ٢٤ - ٢٥ .

(١٢) انظر ترجمة المواق هذا فى نبيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي ، على هامش الديباج المذهب
لابن فرحون ، القاهرة ١٣٥٠ ص ٣٢٤ - ٣٢٥ ؛ والضوء اللامع للسخاوى ٩٨/١٠ ؛ ودرة الحجال لابن القاضى
١٤١/٢ .

(١٣) تشهد بذلك وثائق عديدة . انظر مثلاً الوثائق ٩٤٥ و ٢٤٢ و ٩٣٥ ، وانظر المجلد التمهيدى ص ١٥٣ .

هؤلاء المسيحيين لم يكونوا مجتمعاً واحداً متجانساً ، فقد كان من بينهم أولاً المستعربون الذين كانوا مستقرين في المدينة في ظل الحكم الإسلامي ، ثم المسيحيون الغزاة القادمون من الشمال ، وكان هؤلاء أكثر خشونة وأدنى في المستوى الحضارى من الطائفة السابقة ، وكانت معرفتهم بالعربية أقل ، فكان الموثق يحتاج إلى أن يترجم لهم بلغتهم ما يكتبه من وثائق حتى يطمئن إلى فهمهم لها . ويلحق بهؤلاء من شاركوا في غزو المدينة من الإفرنج (الفرنسيين) الذين عاشوا في حى خاص بهم (ريض الإفرنج) وكانت هذه الطائفة هي أقل طوائف السكان معرفة بالعربية . وتكشف عن هوية الأفراد المتتمين إلى هؤلاء النسب الملحقة بأسمائهم والتي تدل أيضاً على المواضع التي قدموا منها . فنحن نجد في أسمائهم : غليام بيطاين Guillaume Pitevin (نسبة إلى بواتيسيه) ، وأرنالد

طلشان Arnaldo (Arnault) Tolosano أى المنسوب إلى طلوثة (تولوز Toulouse) (١٤)

والطائفة الأخيرة هم اليهود الذين كانوا يسكنون المسلمين قبل الفتح المسيحى ، وكان هؤلاء متشبعين بالثقافة العربية ، ولهذا فقد كتبوا وثائقهم بالعربية وإن كانت بحروف عبرية . وكان بعض هؤلاء اليهود من أصحاب الجاه العريض في المدينة . إذ نجد أسماءهم مشفوعة بأدعية تشريفية مثل «دام عزه» (١٥) ، بل نرى أحدهم وهو أبو عمر بن شوشان - وذكره يتردد في وثائق كثيرة - يوصف بأنه «الوزير الأكمل المشرف الأعز الأفضل» (١٦) وكان لهم معبد كبير أو «شنوغة» Sinagoga مقامة في حيهم الخاص بغربى المدينة كانت تدعى في الوثائق باسم المالكيك Almaliquim وكان قد اضطلع ببنائها الخاخام داود بن سليمان بن أبى درهم قبل سنة ١٢٧١ (٦٧٠هـ) (١٧) ويتضح من الوثائق أن كثيراً من هؤلاء

(١٤) انظر على الترتيب الوثيقتين رقم ٥٥٨ - المجلد الثانى ص ١٤٩ ؛ ورقم ٣٦٦ ، المجلد الأول ص ٣٠٦ .

(١٥) الوثيقة رقم ٣٣١ ، المجلد الأول ص ٢٧٢ .

(١٦) الوثائق أرقام ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٩٠ ، ٢٩٧ ، ٣٣٥ ، ٣٤٤

(١٧) الوثيقة رقم ١١٤٤ ، المجلد الثالث ص ٥٨٤ .

اليهود كانوا يمتهنون العديد من الحرف والصناعات ، فمنهم خياطون وحدادون وفرّانون وغير ذلك . ولكن الغريب - كما يذكر جونثال بالثيا - هو أننا لا نجد بينهم مرابين أو مقرضين للنقود وهى المهن التى تشيع نسبتها إليهم (١٨).

الوظائف والمهن :

نلاحظ أن كثيراً من أسماء الوظائف والمناصب والمهن تحتفظ فى الوثائق بأسمائها العربية نذكر منها :

- الحاكم ، القاضى : حاكم المدينة أو البلدة أو القرية ، ويقابله فى الإسبانية لفظ Alcalde (المأخوذ من لفظ القاضى العربى) .

- الوزير : وهو لقب تشريفى فجه فى الوثائق مضافاً إلى كثير من المناصب أو إلى أشخاص لايتولون وظيفة رسمية ، وإنما هو على سبيل التشريف ، وهو يرد بصورة alguacil حينما يترجم إلى العجمية .

- المستناب : وهو نائب الحاكم ، وهى

وظيفة كثيراً ما تراها متوارثة فى نفس الأسرة .

- صاحب الشرطة : ومهمته الحفاظ على الأمن فى المدينة .

- الكاتب : وهو يعنى الموثق الذى يتولى تحرير الوثائق .

- الوكيل : وهو الذى ينوب عن المتقاضين فى الدفاع عن مصالحهم وبيان حقوقهم . وهى وظيفة قديمة تميز بها نظام القضاء الإسلامى فى الأندلس ، وهى تقابل المحامى فى نظامنا الحاضرة ، ولجده يسمى فى بعض الوثائق « الثقة » .

- الخصيم : وهو محامى الدولة ، ويشبه فى نظامنا الحالى المدعى العام ، ويظهر أن هذه مهنة مستحدثة فى طليطلة فى عهدنا المسيحى ، إذ لا تراها فى النظام القضائى الأندلسى .

- المشرف : وهو لفظ انتقل إلى الإسبانية فى صورة almojarife ووظيفته منقولة عن

(١٨) انظر المجلد التمهيدي ص ١٤٣

تلك التى كانت قائمة فى الأندلس الإسلامية ، ويسند إلى متوليها الإشراف على الجبايات . وكثيراً ما يضاف إلى القائم بها لقب « الوزير » التشریفى .

- المحتسب : وكان يدعى أيضاً فى الأندلس الإسلامية صاحب السوق ، وقد ظلت وظيفة المحتسب فى طليطلة المسيحية كما كانت فى عصرها الإسلامى ، وانتقل اللفظ إلى الإسبانية فى صورة almotacén ومهمة المحتسب هى مراقبة الأسواق والحرص على صحة الموازين والمكايل .

- الأمين : ويطلق أحياناً على المحتسب .

- الناظر : ويدعى أيضاً « الرأى » وهو الذى يعهد إليه بالإشراف المالى على مؤسسة ما ، وكثيراً ما نجده فى الوثائق متولياً لتدبير أملاك كنيسة أودير ، كما نرى فى مثل هذه العبارة « الذى له النظر فى جميع مال الإفرائيلين » وهذا اللفظ الأخير هو جمع إفرائيل (تعريب fraile أى راهب) . وأحياناً يطلق على متولى هذه الوظيفة الاسم العجمى « ميردوم »

(تعريب mayordomo) ، كذلك يطلق عليه أحياناً لقب « الخازن » ، وهو مأخوذ من النظام الإسلامى القديم فى الأندلس ، وكان فى البداية يطلق على الوزير المكلف بشئون المال ، ثم أصبح يستخدم للدلالة على المدير أو المفتش المالى فى مؤسسة ما ، ومن الطريف أن نذكر أن اسم هذه الوظيفة قد ترجم فى العصور التالية ترجمة حرفية إلى الإسبانية ، فأصبح لقب veedor (اسم الفاعل من ver أى نظر) .

- المتصرف : وهى مديرة منزل أو دير .

- القائد : وهى رتبة عسكرية رفيعة ،

وكان الطبيعى أن يكون من يلونها من المسيحيين المقربين إلى الملك ، غير أننا نرى أحد من تصرفوا فى هذه الخطة يحمل اسماً عربياً هو « شبيب بن عبد الرحمن » الذى يتكرر ذكره فى الوثائق ، وكان اسمه يطلق على درب فى الكدية فى أرقى أحياء المدينة . ومن الطريف أن نجد وثيقة وصية أوصى بها أحد أعيان الإفرنج وهو أرنالدسقين Arnald Çequin ويقول فى

آخرها : « وجعل تنفيذ وصيته إلى القائد دون شبيب بن عبد الرحمن » واثنين آخرين « لما علم من فضلهم وديانتهم » (١٩) .

- الدليل : وهى كذلك وظيفة عسكرية رفيعة ، إذ هو الذى يوكل إليه توجيه حركة الجيش ، وقد انتقل اللفظ مع الوظيفة نفسها إلى النظام العسكرى الإشباني فى صورة adalid . وكان معظم من تولوا هذا المنصب من المسيحيين ، غير أننا نجد أيضا عدداً ممن كانوا يتولونه يحملون أسماء عربية ، منهم من يدعى بيطره مورُ Pedro Moro (أى العربى أو المسلم) وآخر يدعى رذريق بن أبى زيد (٢٠) .

- الرانس : وظيفة عسكرية بحرية ، انتقلت إلى إشبانيا المسيحية بلفظها Arráez ، ويقابل متوليها قائد الأسطول أو القبطان ، ويكاد كل من ولوا هذه الوظيفة يكونون ممن يحملون أسماء عربية أو مختلطة : عبد الملك ، جوان بن خلف ، حسن بن فرج ، فرج بن إسحاق .

أما المهن والحرف فنجد معظم من يقومون بها يلقبون بصفات عربية ، ومعظم هذه الصفات انتقلت إلى الإسبانية نذكر منها : العريف alarife وهو رئيس المشتغلين بحرفة معينة ؛ البناء albañil ؛ الفخار : صانع الأوانى الفخارية alfarero ؛ القرّاق : صانع الأقراق (أى الأحذية الفلينية) ، الرامى أو القواس أى صانع القسيّ ، الحمّار أى المكارى ، الحمّامىّ صاحب الحمام أو العامل فيه ، الحجّام (بالإسبانية alfageme) وهو الحلاق بلغتنا العصرية ، الطرّار أى المطرز ، الرقّامة أى المطرزة التى تقوم برقم الثياب ، النحّاس أو الصقّار أى صانع الأوانى النحاسية أو بائعها ، الصرّاف أو الصيرفى ، والحجار أو القطاع ويدعى أيضا قاطع الحجر ، الجيّار الذى يبيّض بالجير ، الكمّاد الذى يقوم بتلميع الأوانى ، النجّار بدلالاتها المعروفة ، الشعّار أى بائع الشعير ، الشمّاع أى بائع

(١٩) الوثيقة رقم ١٠١٣ المؤرخة فى مايو ١١٥٦ (ربيع الثانى ٥٥١ هـ .) ، المجلد الثالث ص ٣٧٩ .

(٢٠) المجلد التمهيدى ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

الشمع ، الجراح بدلالاتها الحالية ، القلاس
أى صانع القلائس أو بائعها ، الدبّاغ
بدلالاتها الحالية ، الحصار أى صانع الحصر
أو بائعها ، الدقاق بائع الدقيق ، الفران
صاحب الفرن ، الجنان أى البستاني ،
الماشطة بدلالاتها الحالية ، الحوات أى بائع
الحوت وهو اللفظ الأندلسى الذى يطلق
على السمّاك ، القزار بائع القزّ أى
الحرير ، السراج صانع السروج أو بائعها .
لغة الوثائق :

الوثائق كلها مكتوبة بالعربية فقط ،
فيما عدا بعض الوثائق التى ترجع إلى
تاريخ متأخر ، إذ أرفقت بنسخها العربية
ترجمات باللاتينية أو الرومانسية (عجمية
أهل الأندلس أى اللاتينية الدارجة التى
أصبحت هى الإسبانية) . وتتميز الوثائق
المبكرة التى كتبت فى زمن قريب من فتح
المسيحيين للمدينة بأنها سليمة اللغة فصيحة
التعبير إلى حد بعيد . وذلك لأن صيغ

الوثائق كانت منقولة عن الكتب العربية
المؤلفة فى هذا المجال . ومن الطريف أن
نذكر أن تحرير الوثائق كان من أهم ما عنى
به الفقهاء الأندلسيون ، وكان من أحسن
الكتب التى ألفت فى هذا المجال كتاب
لفقيه طليطلى مشهور هو أبو جعفر أحمد
ابن مغيث الصدفى يقول ابن بشكوال فى
ترجمته : « من جلة علمائها (علماء
طليطلة) عالم بالحديث وعلمه وبالفرائض
(أى المواريث) والحساب واللغة والإعراب
والتفسير وعقد الشروط (أى كتابة الوثائق)
وله فيها كتاب حسن سماه « المقنع » .
توفى فى صفر سنة ٤٥٩ (يناير ١٠٦٧)
ومولده فى ٤٠٦ (١٠١٥) » (٢١) .

ومن حسن الحظ أن مخطوطة هذا
الكتاب قد سلمت من غوائل الزمن فهى
محفوظة فى مكتبة المجمع التاريخى الملكى
بمدير برقم ٤٤ . وقد أتاح ذلك الفرصة
لناشر وثائق المستعربين أنخل جونثالث

(٢١) الصلة لابن بشكوال ، الترجمة رقم ١٢٤ ص ٦٣ .

بالنثيا أن يقارن بين الصيغ المستعملة في الوثائق وبين تلك الواردة في كتاب ابن مغيث قرأى تطابقاً كاملاً يصل إلى حد النقل الحرفي بين هذه وتلك ، مما يدل على أن كتاب الوثائق المستعربية اتخذوا من كتاب ابن مغيث مرجعاً لهم ومن الصيغ التي أوردها نماذج يحتذونها ، وأورد أمثلة لذلك في وثائق البيسوع ، وهو ما يوجد أيضاً في كثير من الوثائق الأخرى الخاصة بالإجارات والحوالات والهبات والوصايا والمعاوضات وغيرها . ومما يلفت النظر أنه كانت توجد في إسبانيا المسيحية وثائق قوطية قديمة كما كانت هناك وثائق حررت في الممالك والإمارات المسيحية الشمالية ، ولكن موثقي طليطلة أعرضوا عن كل هذه المادة واستخدموا كتب الوثائق العربية التي ألفها المسلمون ، وكان السبب في ذلك هو

تميز هذه الوثائق بدقتها البالغة وتحديداتها الواضح وهما سمتان تخلو منهما وثائق إمارات الشمال (٢٢) . ولم يكن ذلك غريباً فابن مغيث فقيه طليطلي توفى قبل فتح المسيحيين للمدينة بأقل من عشرين سنة ، وكان كتابه ذائع الصيت في الأندلس ، فرأى فيه موثقو طليطلة ضالتهم ، ولم يحل اختلاف الدين بينهم وبين الاعتماد الكامل عليه في تحرير وثائقهم .

ومن الواضح أن العربية التي كتبت بها الوثائق كانت مفهومة ولاسيما بين الأجيال الأولى للمستعربين المسيحيين ، ولكن هذه المعرفة تناقصت بمضي الزمن ، فكان على الموثق أن يشرح للمتعاقدين ما كتبه بالعربية ويفهمهم إياه . ونضرب على ذلك الأمثلة التالية :

(٢٢) انظر المجلد التمهيدي ص ٣٦٠ - ٣٦١ . وقد أورد بالنثيا في ص ٣٦١ صيغة شراء منزل واردة في كتاب المقنع لابن مغيث (الورقة ٣٦) ناصاً على أنها نفس الصيغة التي تستخدمها المجموعة في الحالات المماثلة .

- فى وثيقة مبايعة رقم ١٠٩٨ :
« ... بعد أن قرئ الكتاب على المبتاعين المذكورين بمحضر الشهود وفسرت معانيه إليهم بلسان فهموه فاعترفوا بذلك »
(بتاريخ ١١٦٩ / ٥٦٤ هـ .) (٢٣) .

- فى وثيقة مبايعة رقم ١١٠٠ :
« ... وبعد أن قرئ عليهم وفسرت معانيه إليهم بلسان فهموه فاعترفوا بفهمه » (بتاريخ ١١٩٣ / ٥٨٩ هـ .) (٢٤) .

- فى وثيقة اتفاق معقود بين رجل إفرنجى وزوجته وابنه ، رقم ٩٨١ :
« وبعد أن فهم ذلك عليهم بلفظ عجمى واعترفوا بفهمه كله » (بتاريخ ١٢٠٦ / ٦٠٢) (٢٥) .

- فى وثيقة مبايعة رقم ١١٠٤ :
« وفسر عليهم نصه بلفظ أعجمى فهموه واعترفوا به » (بتاريخ ١٢١٦ / ٦١٢ هـ .) (٢٦) .

- فى وثيقة اتفاق بين رئيسة دير للراهبات وإحدى الأسر ، رقم ٩٨٤ :
« بعد أن قرئ عليها هذا الكتاب المذكور أعلاه حرفا بحرف بالعربى والعجمى وفهم عليها معانيه كلها » (بتاريخ ١٢١٧ / ٦١٣ هـ .) (٢٧) .

وتدلنا هذه العبارات على أنه كان من واجبات الموثقين الذين كانوا يحررون هذه الوثائق بالعربية أن يفسروا ماتضمنته الوثائق والعقود للمتعاقدين وأن يترجموها لهم باللغة العجمية التى يفهمونها ، وقد يستعينون على ذلك بمن لهم القدرة عليه . ومعنى ذلك أنه وجدت فى طليطلة طائفة لا بد أن تكون كبيرة ممن يجيدون العربية واللاتينية أو الدارجة . ولسنا نشك فى أن هذه المعرفة اللغوية المزدوجة تجاوزت ميدان الوثائق والعقود إلى مجالات معرفية أخرى ، إذ إن ذلك يتفق مع ما أثبتته دراسات أخرى من تحول طليطلة منذ

(٢٣) المجلد الثالث ٣ / ٥١٧ .

(٢٤) المجلد الثالث ٣ / ٥٢٠ .

(٢٥) المجلد الثالث ٣ / ٣٢٢ .

(٢٦) المجلد الثالث ٣ / ٥٢٣ .

(٢٧) المجلد الثالث ٣ / ٣٢٥ .

استيلاء ألفونسو السادس عليها فى سنة ١٠٨٥ (٤٧٨ هـ .) إلى مركز انتشرت منه الثقافة العربية إلى باقى أنحاء إسبانيا المسيحية ، بل وإلى القارة الأوروبية بأسرها . فقد ازدهرت فيها وبصفة خاصة خلال القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) حركة ترجمة واسعة النطاق نقلت كثيراً من كتب العلوم والفلسفة العربية إلى اللاتينية ، وكان يرعى هذه الحركة المعروفة باسم « مدرسة مترجمى طليطلة Colegio de traductores toledanos » الأسقف رايونندو مرتين Raimundo Martin الذى كان كبير مستشارى ملك قشتالة ألفونسو السابع (الذى حكم بين سنتى ١١٢٦ و ١١٥٧ / ٥٢٠ - ٥٥٢ هـ .) . وقد اضطلع اليهود الذين نرى من الوثائق أنهم كانوا كثيرين فى طليطلة بدور كبير فى أعمال الترجمة بحكم إجادتهم للعربية (٢٨) .

ونعود إلى لغة الوثائق ، فنلاحظ أنه بمرور الزمن قد دخلها الفساد بالتدريج فأصبحت ولاسيما فى الوثائق المتأخرة تكتب بلغة قريبة من العامية الأندلسية الدارجة . وهذه ظاهرة على جانب كبير من الأهمية ، لأنه من خلال لغة الوثائق يمكن لنا أن نرصد بعض ملامح اللهجة الأندلسية ، وبخاصة فى منطقة وسط شبه الجزيرة .

- ومنها على سبيل المثال النبر الشديد على مقطع الكلمة الأخير أو السابق للأخير ، مما يحيل الكسرة مثلاً إلى ياء أو الضمة إلى واو . فنحن نجد مثلاً « أومها » بدلاً من « أمها » ، و « مؤمين » مكان « مؤمن » ، وداخيل (داخل) ، والبوحيرة (البحيرة) ، وتسكون (تسكن) ، وشاهيد (شاهد) ، وهوم (هم) ، والجيهة (الجهة) والهيبة (الهبة) ، ويذكوروا (يذكروا) . وهذا ظاهرة عامة

(٢٨) حول مدرسة مترجمى طليطلة انظر ماكتبه جونثالث بالثيا فى « تاريخ الفكر الأندلسى » (ترجمة الدكتور حسين مؤنس) ص ٥٣٦ - ٥٤٢ .

فى كثير من اللهجات الأندلسية ، وعليها شواهد كثيرة فى ديوان ابن قزمان وغيره من النصوص المكتوبة بالعامية ، بل نجد لها امتداداً فى كثير من اللهجات المغربية الحديثة .

- ونجد فى الوثائق عكس الظاهرة السابقة ، أعنى حذف بعض حروف اللين : « الدر » (الدار) ، رحها (روحها) .

- الخلط بين بعض الأصوات المتقاربة المخارج : فمثلاً بين التاء والطاء : فطقوا (فتقوا) ، قتع (قاطع) ، وبين السين والصاد : صفلى (سفلى) .

- الاستعاضة عن الإضافة باسم يدل عليها ، مثل متاع أو متع ، إذ يرد مثلاً « البيت متاع فلان » أى بيت فلان ، وهذه ظاهرة نجدها بكثرة فى نصوص عامية أخرى أندلسية ، ولفظ متاع الدال على الملك هو الذى تحرف فى العامية المصرية إلى « بتاع » بل نجد الوثائق تستخدم أحياناً

حرف الجر العجمى الدال على ضمير الملك وهو دى ، وذى ، ود (de) .

- استخدام السابقة « حرف الكاف » المتصل بالفعل المضارع للدلالة على الحاضر أو المتصل أو المتكرر الحدوث فى مثل « حيث كتدبح الكباش » أى حيث تجرى العادة بذبح الكباش ، وهى صيغة كانت شائعة فى عامية الأندلس ، ومازالت مستخدمة فى العامية المغربية .

- وأغرب من ذلك إقحام نون الوقاية بين الاسم وضمير المتكلم مثل « أمامنى » فى موضع « أمامى » . ويبدو أن هذه من ظواهر اصطناع المبالغة فى التحذلق أو التفاصح .

والحقيقة أن الظواهر اللغوية التى يمكن أن تستخلص من الوثائق كثيرة جداً ، وهى تحتاج إلى دراسة مفصلة يمكن أن تكشف لنا عن كثير من خصائص اللهجة الأندلسية وتطورها على مدى نحو ثلاثة قرون (٢٩)

★ ★ ★

(٢٩) جمع الباحث الباروجالميس دى فونتييس بعض الملاحظات الطريفة حول لغة مستعربى طليطلة الدارجة فى مقال قيم منشور فى مجموعة الدراسات التى قدمت فى « ملتقى طليطلة الإسبانية العربية » وهى التى أشرنا إليها من قبل :
Alvaro Galmés de Fuentes : La lengua de los mozárabes de Toledo, en Simposio Toledo hispanoárabe, Salamanca, 1986, pp. 135 -151.

مشهد إنسانى مؤثر فى نموذج للوثائق :

وبعد ، فلإنه على الرغم من الانطباع الذى توحى به هذه الوثائق لأول وهلة من جفاف أو رتابة فإن الفوائد التى يمكن أن تستخلص منها بالغة الغزارة والقيمة ، وقد أشرنا إلى أهميتها اللغوية ، ولكنها إلى جوار ذلك تلقى أضواءً كاشفة على حياة تلك المدينة التى كانت أشبه ببرج بابل فيما كانت تموج به من أجناس ولغات وثقافات وديانات مختلفة تعايشت فى جو من الوثام على مدى ثلاثة قرون بعد أن زالت عنها دولة الإسلام . وما عرضناه فى الصفحات السابقة ليس إلا لمحة سريعة تصور لنا ذلك الجو من التعايش .

ونختم هذه الدراسة بمشهد إنسانى مؤثر تصوره لنا إحدى هذه الوثائق إذ تنقل لنا حواراً دار بين دائن وامرأة

مدينة فى فبرابر سنة ١١٩٧ (ربيع الأول ٥٩٣ هـ .) . وسنورد النص كما جاء فى هذه الوثيقة (٣٠) .

« الذى يشهد به دون سبريان بن دون عبد الملك الشعَّار ودون لب بن بيطره مرتين ، وذلك أنهما حضرا فى شهر ينير الناجز الأقرب لتاريخ هذا الكتاب بمقربة من البير المر بداخل مدينة طليطلة حرسها الله ، ورأيا لشنجه يوانش مقبلة من ناحية الحمام ، ورأيا وسمعا لدمنقه . . . تليبيه قائلاً لها :

- شنجه يوانش ، أنصفى من السبعة

مثاقيل والأربعة الدا التى لى قبلك ، فلانى إليها محتاج ! . . .

فراجعته دونة شنجه المذكورة قائلة :

- اعلم بأنى ننصفك منها معجلاً
حرسك الله !

وقال لها دون دمنقه المذكور :

- ومتى يكون ذلك ؟ فإنك قد
محجتى عن ذلك كثيراً !
فقالت له :

- فى آخر هذه الشهر ننصفك .
(الذى كان شهر ينير المذكور) .
فقال لها :

- وإن لم تنصفى ؟

قالت له شاحجة يوانش :

- هذا مانسى بيدك . خذه
وبعه ، وانتصف من السبعة مثاقيل
وقطاعك .

فقال لها :

- مَلِّكِيهِ لى .

فجرت حينئذ مانت إشكرلاته وأعطته

له بيدها . فقال لها دون دمنقه المذكور :

- البسى مانتك من يدي حتى إلى

المدة . فإنك إن لم تنصفى نخذه منك
ونبعه كالذى أشرطت على نفسك .

فقالت له :

- نعم ، دون حكم حاكم . خذه وبعه
وانتصف من جميع مالك قبلى دون قلوونية
يلزمك عن ذلك . وإن لزمتم فى ذلك
قلوونية فلايلزمك شىء منها بل يلزم ذلك لى .
فأشهدهما بذلك دون دمنقه المذكور
عليها - أعنى للشاهدين المشهورين .

هذا ما شهداه به ، وقيدت شهادتهما
... وذلك فى شهر فبراير سنة خمس
وثلاثين وألف للصفر .

لب بن ميقايل السقلى ، دمنقه بن
بيطره شاهد ، وبيطره بن يوان بن طوما
ابن يحيى بن بلاى .

ودون دمنقه رمان يشهد بمثل شهادة
الشاهدين المذكورين «

ملاحظات :

عربية الوثيقة كما نرى تشتمل على
عدد من الظواهر اللغوية التى تكشف عن

التأثر بلغة الكلام التي كانت خليطاً من العامية الأندلسية والرومانسية أى عجمية أهل الأندلس . ونسجل فيما يلى أهم هذه الظواهر :

- استخدام حرف اللام مع الفعل المتعدى بنفسه : « رأيا وسمعا لدمنقه ، رأيا لشنجه ، ما يلزم ذلك لى ، أعنى للشاهدين » .

- استخدام الفعل المسند لجماعة المتكلمين مع ضمير المتكلم المفرد « : باني نصفك منها ، فى آخر هذا الشهر نصفك ، نخذ منك ونبيعه » . وهذه ظاهرة شائعة فى العامية الأندلسية ، وهى موجودة أيضاً فى لغة الكلام لدى أهل الإسكندرية حتى اليوم .

- استخدام حرفى جر يؤديان نفس المعنى : « حتى إلى المدة » .

- استخدام الثلاثى المزيد فى موضع الثلاثى المجرد : « كالذى أشرطت على نفسك بدلا من « شرطت » .

- تعدية الفعل اللازم : « ماشهداه به » فالمقصود « شهدا » .

- إلحاق الياء بتاء المخاطبة : « مَحَجَّتِي » . ولا يعد هذا من الخطأ ، إذ نجد عليه شواهد من النصوص الفصيحة ، ولكنه استعمال شائع فى معظم اللهجات العربية الدارجة فى عصرنا الحاضر وذلك للتمييز بين ضميرى الخطاب للمذكر والمؤنث .

- من الناحية الإملائية نجد فى الوثيقة إهمالاً لكتابة بعض الحروف المهموزة أو حروف اللين : نخذ (نأخذ) ، وشهدتهما (وشهادتهما) ، نبعه (نبيعه) والاسم الأعجمى شانجه Sancha يكتب مرة بألف ومرة بدونها .

- استعمال اختصارات شائعة فى لغة الكلام الأندلسية ، فنحن نجد هذه العبارة « أنصفنى من السبعة مثاقيل والأربعة الدا » ، فلفظ الدا فى المصطلح الأندلسى هو اختصار للفظ الدراهم ، والدراهم وحدة نقدية هى جزء من المثقال وهو عملة ذهبية .

- استعمال ألفاظ أندلسية شائعة مثل « قطاع » ، وهو جمع قطعة ، والمقصود بذلك قطع النقد الصغيرة أى الدراهم الأربعة .

- أسماء الشهور المستخدمة فى النص : ينير وفبرير هى التى شاع استعمالها فى الأندلس ، فقد كان المسلمون يستخدمون التقويمين الهجرى والميلادى بنفس الصورة التى نراها فى الوثيقة ، وهى نفسها الشائعة فى المغرب العربى اليوم .

- استخدام ألفاظ عجمية ، أولها لقب « دون » (Don) ، و« دونة » (Doña) وهما يعنيان السيد والسيدة ، وكذلك لفظ « مانت » فى قول المرأة « هذا مانتى بيدك » وقول الدائن : « البسى مانتك » ، فهذا اللفظ هو تعريب manto الإشبانى ويعنى المعطف . ونرى بعد ذلك لفظ

« قلونية » وهو تعريب Calōna ويعنى ضريبة كانت تفرض على المبيعات ، وقد انقرض هذا اللفظ فلم يعد مستعملاً . ثم يأتى لفظ « إشكرلاته » صفة للمعطف ، وهو تعريب اللفظ العجمى escarlata ويعنى الأحمر القرمزى . وقد استخدم الأندلسيون المسلمون هذا اللفظ للدلالة على لباس من الصوف الأحمر القرمزى . يقول المقرئ نقلاً عن ابن سعيد فى حديثه عن زى الأندلسيين : « وكثيراً ما يتزيا سلاطينهم وأبناؤهم بزي النصارى المجاورين لهم ، فسلاحهم كسلاحهم ، وأقبيتهم من الإشكرلاط وغيره كأقبيتهم » (٣١) .

وعلى الرغم من كون لغة الوثيقة أقرب إلى العامية فإنه مما يفاجئنا فيها استخدام بعض الألفاظ الممعنة فى الفصاحة إلى درجة الإغراب ، نرى ذلك فى هذه العبارة « وسمعا لدمنقه ... تلبيه » ، فالتليب استخدام مجازى يقصد به المطالبة الملحة الشديدة ، وهو مصدر « لبَّ » ،

(٣١) نفع الطيب ، بيروت ١٩٦٨ - ٢٢٣/١ ؛ وانظر تكملة المعاجم العربية لدوزى ترجمة سليم النعیمی ، بغداد

Pedro b. Juan b.

Tomas b. Yahya b. Pelayo

- دمنقه رومان Domingo Román

والمشهد هو الموقف الذى جمع بين

رجل دائن هو السيد دمنقه . . . وامرأة

مدينة هى شانجه يوانش Sancha Juanes

وكان لقاؤهما بمقربة من موضع مشهور فى

طليطلة هو البير المر (Pozo Amargo) ،

وذلك فى شهر يناير سنة ١١٩٧ . وكانت

المرأة مقبلة من ناحية الحمام - ولا بد أنه

حمام يعيش المشهور والكائن فى

حتى « البيرالمر » ، فتوجه إليها الرجل

مطالباً بأداء دينه ، وهو سبعة مثاقيل وأربعة

دراهم . وتعهده السيدة شانجة بأن تؤدى

إليه دينه فى آخر الشهر ، ولكن الرجل

يتشكك فى مدى وفائها بوعودها ، فيسألها

كيف يكون الأمر لو أخلفت . فما كان من

المرأة إلا أن عرضت عليه المعطف الذى

كانت تلبسه لكى يبيعه ويتقاضى ماله من

يقال لبث الرجل إذا جمعت ثيابه عند

صدره ونحره ، ومنه التعبير الشائع

« أخذت بتلابيه » أى ضيقت عليه فى

المطالبة واستبلغت فى الإلحاح عليه .

كذلك نجد هذه العبارة « فإنك قد محجتى

عن ذلك كثيراً » ، وأظن أن الكاتب قصد

« ما حجت » ، والمماحجة هى المماطلة ،

وهو لفظ لا يكاد يستعمل الآن ، ولو

استعمل لبدا غريباً غير مفهوم .

ونعمد بعد هذا التحليل اللغوى إلى

شرح موضوع الوثيقة :

نحن الآن أمام واقعة يسجل عدد من

الرجال شهادتهم عليها ، وهم .

- سبريان بن عبد الملك الشعار (أى

بائع الشعير) . . . Cebrian

- لب بن بيطره مرتين

Lope b. Pedro Martin

- لب بن ميقايل السقلى (كذا ،

والمقصود الصقلى) Lope b. Miguel

- بيطره بن يوان بن طوما بن يحيى

ابن بلاى

ثمنه ، إلا أن الدائن لا يشق فى كلام
شأنه ، ويظهر أن تجاربه السابقة معها
علمته سوء الظن بها ، فطلب إليها أن
تدلل على جِدِّها بأن تملكه المعطف . ولم
تتردد المرأة ، فإذا بها تخلع عنها معطفها
الصوفى الأحمر وتدفعه إليه . وهنا تدرك
الرجل الشهامة ويغلبه التأثر والحياء ،
لاسيما إذا ذكرنا أن المشهد فى شهر يناير ،
والبرد فى شتاء طليطلة قارس شديد
الوطأة . ولهذا يرد الرجل عليها معطفها .
غير أنه - وهو الحريص على استرجاع حقه

يناشدها أن ترد الدين فى آخر الشهر كما
وعدت ، وإلا لم يربداً من بيع المعطف
بحسب ما شرطت على نفسها .

والذى نعرفه من نهاية الوثيقة المؤرخة
بعد هذا المشهد بشهر أن المرأة عادت إلى
الماطلة ، فلم تؤد الدين فى نهاية شهر
يناير كما وعدت ، وواصل الرجل مطالبته
إلى مدى لانعرف نهايته ، وكأن السيدة
الطليطلية صاحبة كعب بن زهيرالتى قال
فيها بيته الخالد :

صارت مواعيد عرقوب لها مثلاً

وما مواعيده إلا الأباطيل

محمود على مكى

عضو المجمع

قوانين المقابلات الصوتية فى اللغات السامية

للأستاذ الدكتور محمود فهمى حجازى

أولاً - تقديم :

فى اللغة الإنسانية ، بنيتها وتغيرها . وهذا البحث دراسة للتغيرات التى حدثت للوحدات الصوتية الجزئية فى العربية ولهجاتها فى ضوء اللغات السامية وعموميات اللغة .

إن التغير الصوتى يحدث على نحو دائم فى إطار تعدد أشكال الأداء اللغوى ، ولكن النظم الصوتية أكثر ثباتاً . قد يكون تغير صفات أداء الصوت غير مؤثر فى التمييز بين الوحدات الصوتية فى تلك اللغة ، فيظل النظام الصوتى قائماً دون تعديل (٣) . وليس لدينا من اللغات التى وصلت إلينا مدونة ما يدل على أشكال الأداء النطقى ، ولكن الباحثين توصلوا إلى وحدات النظام الصوتى لكل لغة من هذه اللغات .

القوانين الصوتية من أهم ما توصل إليه علم اللغة المقارن ؛ وفى هذا السياق تعد هذه القوانين أدق محاولة علمية لتفسير التغير فى الوحدات الصوتية فى اللغات المتتمية إلى فصيلة لغوية واحدة . وقد بحثت هذه القوانين أول الأمر فى اللغات الهندية الأوروبية ، ثم فى اللغات السامية (١) . ومع تقدم البحث فى لغات كثيرة أخرى بدأ التفكير - فى إطار علم اللغة العام - فى تعرف القوانين العامة المفسرة للتغير فى بنية اللغة عند الإنسان بصفة عامة ، وهذا الموضوع جزء من البحث فى " كليات اللغة " أو " عموميات اللغة " (٢) ، وهو مجال جديد نسبياً يدرس السمات المشتركة

(١) انظر : Th . Bynon, Historical Linguistics, Cambridge University Press, 1993, P.23-56

(٢) انظر كتاب جرينبرج : J . H . Greenberg, Language Universals, The Hague 1966

(٣) الوحدة الصوتية = الفونيم Phonem ، الوحدات الصوتية الجزئية Segmental Phonemes وهى الوحدات

الصوتية للأصوات المفردة ، أما العلاقات التركيبية الصوتية لها مثل النهر والتنغيم والمقاطع فتسمى Suprasegmental

Phonems أى الوحدات الصوتية فوق الجزئية

وعرف علماء الدراسات السامية قوانين
النظائر الصوتية بين اللغات السامية ،^١
وعلى سبيل المثال فإن نولدكه^(٤) لم يكن
يذكر المقابل أو النظير إلا بعد مراعاة هذه
القوانين بدقة . أما بروكلمان فقد صدر في
كتبه الثلاثة في النحو المقارن للغات السامية
عن هذه المعرفة^(٥) ، ولكنه تجاوز التفصيل
في هذا الجانب وانصرف إلى جوانب
- أحيانا - من غموض في العبارة .

(٤) انظر بحوث نولدكه في علم اللغات السامية المقارن :

Th. Nöldeke, Beiträge Zur semitischen Sprachwissen Schaft Neue Beiträge Zur semitischen Sprachwissenschaft Strabburg . 1904 Strabburg 1910 .

(٥) عمدة الدراسات في النحو المقارن للغات السامية ، وعنوانه :

C . Brockelmann, Grundriss der Vegleichenden Grammatik der Semitischen Sprachen, Berlin 1908 - 1913 .

ويقع القسم الصوتي في النصف الأول من المجلد الأول من هذا الكتاب الكبير ذى المجلدين ، غير أن القوانين المقارنة للأصوات المفردة لا تشغل إلا صفحتين وعدة أسطر (44 - 1/42) أما في كتابه الموجز في النحو المقارن للغات السامية اقتصر الأمر على جدول ، انظر :

C . Brockelmann, Kurzgefasste Vergleichende Grammatik der Semitischen Sprachen, Berlin 1908, S.13.

وقد ناقش المؤلف نفسه هذا الموضوع في كتابه الثالث ، وعلى الرغم من أنه الأكثر إيجازا فإنه يضم قدراً من التفاصيل في هذا الموضوع تقع في نحو أربع صفحات ، انظر :

C . Brockelmann, Semitische Sprachwissen schaft, Leipzig 1906, s. 50 - 64 .

(٦) انظر :

C . Bergsträsser, Einführung in die semitischen Sprachen, München 1928, s . 4 - 6

(٧) طبعت بعنوان: التطور النحوي للغة العربية ، سلسلة محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية الأستاذ الكبير Bergstraesse
أستاذ اللغات السامية بجامعة ميونخ ، القاهرة ١٩٢٩ ؛ وطبعة مصورة بالمركز العربى للبحث والنشر ، القاهرة ١٩٨١ .

أما الكتب الحديثة التي تناولت الأصوات العربية ، فقد اقتصرت - بصفة عامة - على الدراسة الوصفية لهذه الأصوات في نطقها الحديث مع الاعتماد - أيضا - على وصف سيبويه لها والإشارة إلى نطقها عند القراء ، ولكنها - بصفة عامة - لم تتضمن بحثا للأصول السامية (٨) ومن الجانب الآخر ، اهتم المتخصصون في الدراسات السامية بالجامعات العربية بقضايا البحث في بنية الكلمة وفي المعجم ، ولما يشغلوا بقضايا علم الأصوات المقارن في اللغات

السامية (٩) . ولعل الاستثناء الوحيد للإفادة من اللغات السامية يتمثل في ما كتبه اللغوي الفرنسي جان كانتينو (١٩٥١) فقد صدر في كتابه في الأصوات العربية عن معرفة عميقة باللغات السامية (١٠) .

وقد أفاد هذا البحث من هذه الدراسات كلها ، وأعاد النظر في الموضوع في ضوء البحوث الكثيرة في اللغات السامية المفردة ، وفي مقدمتها كتب فون زودن في نحو الأكادية (١١) وجوردون في نحو الأجرية (١٢) ،

(٨) انظر : إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، القاهرة ١٩٦١ ؛ محمود السمران ، علم اللغة ، القاهرة ١٩٦٢ ؛ تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، القاهرة ١٩٧٩ .

(٩) انظر : السيد يعقوب بكر ، دراسات مقارنة في المعجم العربي ، بيروت ١٩٧٠ .

(١٠) عن حياته ومؤلفاته كتب وليام مارسى مقدمة لكتاب يضم دراسات في علم اللغة العربية من تأليف كانتينو :

J . Cantineau, Etudes de Linguistique Arabe, Paris 1960 .

(١١) عنوانه كتابه :

W . Von Soden, Grundriss der Akkadischen Grammatik, Analecta Orientalia 33 / 47 , Rome 1969

C . H . Gordon, Ugaritic Textbook, Roma 1965

(١٢) عنوان التحرير الأخير من عمل جوردون :

موضوع يوضح لنا أن أكثر الوحدات الصوتية المكونة للنظام اللغوي للعربية أقدم بنحو عشرين قرناً من الشعر الجاهلي ، فأكثرها استمرار مباشر للوحدات الصوتية في اللغة السامية الأم ، قبل بداية الهجرات من مهد الساميين نحو سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد . ولكن أهمية تأصيل الأصوات العربية ومعرفة نظائرها في اللغات السامية ترجع - أيضاً - إلى أن هذه القوانين أداة الإفادة من هذه اللغات في تأصيل مفردات المعجم العربي^(١٧) . والمعرفة بها ضرورية - أيضاً - لحسن قراءة التأصيل السامي في " المعجم الكبير " الذي يصدره مجمع

وفردريخ وروليج وفي نحو الفينيقية^(١٣) وماير في نحو العبرية^(١٤) وبيستون في نحو عربية النقوش الجنوبية^(١٥) . وأفاد البحث - أيضاً - من الدراسات المفردة الكثيرة في اللهجات العربية الحديثة^(١٦) . وهذا كله يجعل المادة اللغوية المتاحة للمقارنة أكبر بكثير مما كان متاحاً للباحثين الذين تناولوا الموضوع في أوائل القرن العشرين .

لا تقتصر أهمية هذا الموضوع من الدراسة على كشف هذا الجانب المهم لتأصيل الأصوات العربية في ضوء الأصوات في اللغات السامية ، وهو

(١٣) عنوان كتاب ماير : R . Meyer, Hebräische Grammatik, Berlin 1966 .

(١٤) عنوان كتاب فردريخ وروليج : Friedrich and Röllig, Phonizisch Punische Grammatik, Roma 1970 .

(١٥) عنوان كتاب بيستون : A . F . L Beeston, A Descriptive Grammer of Epigraphic South Arabian, London, 1962 .

(١٦) عن هذه الدراسات ، انظر : H. Sobleman, Arabic dialect studies, Washington D . C 1962 .

M . H Bakalla, Bibliography of Arabic Linguistics, London Mansell, 1975 .

(١٧) في مقدمة معجم الأصول السامية الذي ظهرت منه حتى اليوم فصلتان ، جدول في صفحة واحدة بالنظائر

الصوتية في اللغات السامية ، انظر :

D . Cohen, dictionnaire des Racines sémitiques, Paris 1970 - , Fascicule, 1 . 2 -

اللغة العربية بالقاهرة وفيه يظهر التأصيل اللغات ، ولإمكانات البحث فيها فإن
 فى أول كل مادة لغوية موضحا الكلمات مصطلح "الصوت" يستخدم هنا بمعنى
 المشتقة من المادة نفسها فى اللغات السامية الوحدة الصوتية الجزئية . أما مصطلح
 المختلفة ، الأمر الذى يثبت - بمراعاة "حرف" فبدل على الصورة المدونة المرئية التى
 قوانين النظائر الصوتية - أصالة هذه المادة وصلت إلينا .

ثانيا : - المجموعة الحنجرية :

حالة تكررها فى اللغات المختلفة مع
 المطابقة للقوانين الصوتية المطردة لهذه
 النظائر ، أو عدم أصالتها فى العربية
 بمخالفتها لتلك القوانين المطردة لأسباب
 يحاول البحث اللغوى إيضاها . هذا
 البحث محاولة لإيضاح موضوع المقابلات
 الصوتية فى اللغات السامية ، ونظراً إلى
 طبيعة المادة التى وصلت إلينا من هذه
 احتفظت اللغة العربية بالمجموعة
 الحنجرية^(١٨) التى افترض الباحثون وجودها
 فى اللغة السامية الأم . تضم هذه المجموعة
 صوتين ، هما : الهمزة والهاء^(١٩) . أثبتت
 مقارنة العربية واللغات السامية الأخرى
 أن الصوتين قديمان قدم اللغة السامية
 الأم ، لم تستحدث العربية منهما صوتا
 ولم تفقد صوتا . أما ما يظهر

(١٨) عدلنا هنا عن المأثور فى التراث اللغوى العربى عندما وصفت هذه الأصوات بأنها "حلقية" ، وبدل مصطلح
 "الحلق" عند الخليل بن أحمد (انظر : كتاب العين تحقيق عبد الله درويش ، بغداد (١٩٦٧ ، ٦٥٩) على عدة
 مناطق ، يصنفها القدماء إلى أقصى الحلق وأوسط الحلق وأدنى الحلق (انظر : سيبويه ، الكتاب ٢ / ٤٠٥) يصنفها
 المحدثون إلى عدة مناطق أيضا وهى : الحنجرة Larynx والتجويف الحلقى Pharynx والهاء Uvula وأقصى
 الحنك الأعلى Velum (= الحنك اللين soft Palate) ، انظر : محمود السمران ، علم اللغة ١٤٣ - ١٤٤
 ، Haffner, General phonetics .

(١٩) مخرج الهمزة الحنجرة ، والمقصود همزة القطع ، وهى وقف حنجرى Glottal stop ، ويتم نطقها بأن ينطبق
 الوتران الصوتيان انطباقا تاما ، فتسد الفتحة الموجودة بينهما ولا يسمح للهواء بالتفاد من الحنجرة ، ثم ينفرج الوتران
 فينفذ الهواء من بينهما فجأة محدثا صوتا انفجاريا (محمود السمران ، علم اللغة ١٧١) ، أما نطق الهاء فيتكون بأن
 يمر الهواء خلال الانفراج الواسع الناتج عن تباعد الوترين الصوتيين محدثا صوتا احتكاكيا (المرجع السابق ١٩٦) .

من فروق بين العربية وبعض اللغات السامية الأخرى ، فيرجع إلى تغير حدث في أصوات مفردة بأعيانها في بعض اللغات السامية ، بينما حافظت العربية على الموروث .

كادت التغيرات في المجموعة الحنجرية تقتصر على الأكادية ، لا تميز الأكادية بين الهمزة والهاء وأصبحت وحدة صوتية واحدة^(٢٠) ، لم يكتب الأكاديون الهمزة الواقعة في أول الكلام ، إلا إذا كانت لها وظيفة مثل همزة الفعل الحاضر الدالة على المتكلم المفرد . وعرف الخط الأكادي إظهار تضعيف الهمزة على نحو واضح متميز يجعل الهمزة الأولى في مقطع والثانية في المقطع التالي . أما الهمزة في آخر الكلمة فلا تدون . وحلت الهمزة محل الهاء ، وظهرت في أمثلة كثيرة داخل الكلمة ،

وثمة أمثلة أخرى طرأ على الهمزة فيها تخفيف فلم تعد محققة وحلت محلها حركة طويلة ، يتضح هذا من كلمة نهر بتحويل الهاء إلى همزة ، ثم أخذت الهمزة تخفف وتختفي ونتج عن حذفها مد الحركة القصيرة السابقة ، فظهرت صيغة (nā ru) .

أما أكثر لغات المجموعة الكنعانية الآرامية والفرع الجنوبي من اللغات السامية فقد احتفظ بصوتى الهمزة والهاء . وأهم تغير طرأ على مكان هذين الصوتين في النظم اللغوية لهذه اللغات يتصل بتخفيف الهمزة في وسط الكلام وآخره من جانب ، وضعف النطق في العبرية بصوت الهاء من الجانب الآخر . كأن الهمزة والهاء في العبرية صوتين متميزين ، ثم

(٢٠) انظر :

Von Soden, Grundriss, S. 24 - 26

Brockelmann, Grundriss 1/128

Ungnad - Matous, Grammatik des Akkadischen, s. 14 , 21 , 22 .

تميز الفينيقية لأصوات الحنجرة والتجويف
الحلقى ، واستبدل على ذلك ببعض
الكلمات الفينيقية التي دونها اليونان
بالحروف اليونانية دون أن يرمزوا لأصوات
الحلق برموز متميزة دالة عليها ، وهذا
الرأى فيه نظر ، فاليونان لم يهدفوا إلى
تدوين الفينيقية على نحو صوتى دقيق . ولم
يكن فى حروف الأبجدية اليونانية ما يفيد
فى تدوين الأصوات الفينيقية غير الموجودة
فى اليونانية (٢٢) .

فقد الصوتان قيمتهما بعد ذلك . وعندما
أخذ علماء العبرية القديمة يضعون - بعد
ذلك بقرون - الضوابط النطقية لقراءة
العهد القديم ابتكروا رموزاً إضافية لبيان
النطق الصحيح (٢١) لكل صوت توخيا
لعدم الخلط بينهما ، أما النقوش الفينيقية
التي وجدت فى منطقة ساحل الشام
فكانت تميز الهمزة والهاء . كما يتضح -
أيضا - من نظام الكتابة الأبجدية الفينيقية .
وكان بعض الباحثين المحدثين قد شك فى

(٢١) انظر ما كتبه ماير عن نطق العبرية القديمة :

R . Meyer, Hebräische Grammatik, I, 63-64, 92.

وقد لاحظ ماير أن الضبط النهائى للنص العبرى للعهد القديم بالحركات كان محاكاة لضبط النص العربى للقرآن الكريم
فالمصاحف كانت قد دونت فى وقت لم يكن علماء اليهود قد انتهوا فيه من ضبط ما عندهم من أسفار . وقد قاموا
بهذا العمل على مدى زمن طويل ، ولكنه تم - على أية حال - فى وقت كانت فيه اللغة العبرية قد انتهت من
الاستخدام الفعلى منذ قرون ، حاول العلماء ضبطها فى ضوء معرفتهم بها ، فاختلف أحبار الشام (طبرية) عن
الريانيين فى العراق (بابل) فى طرق الضبط الهادف - أيضا - تأكيد أن الحاء والعين والهاء بوصفها صوامت وليست
حركات .

(٢٢) انظر فى هذا رأى الباحث الألمانى شرودر Schröder المذكور عند بروكلمان 125, I, Brockelmann, Grundriss,

وكذلك ما كتبه سبرير عن الكلمات العبرية المدونة بحروف لاتينية ويونانية :

A . Sperber, Hebrew based upon Greek and Latin transliterations. Hebrew Union College An-
nual 12/13 (1938) P . 103 - 104 .

ثالثاً - مجموعة التجويف الحلقى :

تضم مجموعة التجويف الحلقى التي افترض الباحثون وجودها في اللغة السامية الأم صوتين ، هما : الحاء والعين ، ويختلفان من حيث الهمس والجهر ، فالحاء مهموس والعين مجهور^(٢٣) . وقد احتفظت اللغة العربية بكلا الصوتين دون تعديل .

تقتصر التغيرات في مجموعة التجويف الحلقى على الأكادية والآرامية . لم تعرف الأكادية صوتاً متميزاً للحاء أو للعين ، فقد ضاع كلا الصوتين ،

وحلت محلها الهمزة . ويميز الباحثون المحدثون في تدوين الأكادية لأغراض البحث العلمي على أساس اشتقاقى بين الهمزة التي كانت في اللغة السامية الأولى حاء والهمزة التي يقابلها في اللغة السامية الأولى صوت العين ، فيرمز إلى الحاء القديمة برمز الهمزة مع رقم (3) وإلى العين القديمة برمز الهمزة مع رقم (4) .

تميز النقوش الفينيقية التي وجدت في منطقة ساحل الشام تمييزاً واضحاً بين الحاء والعين ، ولكل صوت منهما رمز متميز^(٢٤) .

(٢٣) مخرج الحاء العربية في الفراغ الحلقى أعلى الخنجرة ، يضيق المجرى الهوائى في هذا الموضع بحيث يحدث مروره

احتكاكا (محمود السمران ، علم اللغة ١٩٤) ، أما صوت العين فهو النظير المجهور للحاء ، يتكون على نحو

ما يتكون صوت الحاء ، إلا أنه عند النطق بالعين تصحبه نغمة موسيقية نتيجة لاهتزاز الوترين الصوتيين (المرجع

السابق ١٩٥) .

(٢٤) انظر في بنية الفينيقية والبنونية :

Friedrich, Phönizisch Punische Grammatik, S . 8 - 41 .

أما فى اللغة البونية فقد أخذ نطق الحاء والعين يضعف شيئاً فشيئاً ، كما يتضح من الأخطاء الإملائية فى تلك النقوش . وبعد ذلك اختفى نطق أصوات التجويف الحلقى . فى بداية هذا التغير نطقت الحاء نطق الهاء وكتبت بها ، ثم نطقت هذه الهاء (والهاء القديمة أيضاً) نطق الهمزة ، ثم اختفت هذه الهمزة . وعندما حاول البونيون المحدثون - بعد أن هزمهم الرومان - تقليد المتصرين بتدوين الحركات بحروف مستقلة ، أفادوا من الحروف التى لم يعد لها نطق واضح فاستخدموها للدلالة على الحركات . وهكذا أصبح على سبيل المثال الحرف الذى كان يدل على صوت العين يستخدم لتدوين الفتحة ، وهكذا باقى الحروف .

تتفق الآرامية بلهجاتها القديمة فى الاحتفاظ بصوتى الحاء والعين . يستثنى

من هذا ما حدث فى لهجة المندعيين (المندائيين = المندثيين) الآرامية ، فقد فقدت صوت العين وتحولت كل عين إلى همزة^(٢٥) . وهذا التغير نفسه حدث فى عدد من اللغات السامية الجنوبية الحديثة ، وفى مقدمتها : المهرية فى إحدى محافظات اليمن ، والأمهرية فى الحبشة . ويعد وجود العين أو عدم وجودها من السمات الفارقة بين لغة وأخرى فى اللغات السامية الجنوبية الحديثة .

يتضح من هذا كله أن صوتى الحاء والعين، وإن كانا قد فقدوا من عدد من اللغات السامية فى مراحل متأخرة من تاريخها، فإنهما موجودان فى أقدم مراحل أكثر اللغات السامية الأولى. وقد ورثت العبرية كلا الصوتين وحافظت عليهما .

(٢٥) انظر ما كتبه نولدكه فى النحو المندعى :

رابعاً - مجموعة الأصوات الرخوة من أدنى الحلق واللهاة :

تضم هذه المجموعة صوتى الغين
والحاء ، وكلاهما صوت رخو يبدو أن
مخرجه الأقدم كان فى منطقة أدنى الحلق
واللهاة ، وهى منطقة تسمح بعدة صور
صوتية لكل وحدة منهما^(٢٦) . ونقتصر
هنا على بيان الوحدتين الصوتيتين فى النظم
اللغوية للعربية واللغات السامية الأخرى .
يكاد يكون ثابتاً أن الصوتين موروثان عن
اللغة السامية الأم ، ولكن ثمة تغيرات
حدثت لهما فى عدد من اللغات السامية
المفردة .

فقدت الأكادية صوت الغين وحلت
الهمزة محلها ، ويرمز الباحثون المعاصرون

للهمزة الناتجة فى الأكادية عن الغين بعلامة
الهمزة مع رقم ٥ . وقد احتفظت الأكادية
بصوت الحاء ، وكادت هذه الحاء تحل فى
حالات بأعيانها محل أصوات أخرى كثيرة ،
وذلك فى إطار الخلط بين الأصوات
الحنجرية والحلقية واللשוوية ، ومن أمثلة
هذا الخلط كتابة الكلمة المقابلة لكلمة
"برعم" ، كتبت تارة بالهمزة وأخرى
بالحاء ، وكذلك الكلمة المقابلة لكلمة
"نبح" كتبت بالحاء . وهكذا حلت الحاء
فى تدوين بعض الكلمات الأكادية محل
العين ومحل الحاء فى السامية الأولى ،
وهذه أمثلة محدودة . ولكن تبقى الملاحظة
العامة بأن العين والحاء الساميتين تحولتا إلى
همزة فى الأكادية ، وهذه الهمزة اختلطت
فى التدوين فى أمثلة بأعيانها بالحاء .

(٢٦) عند سيبويه (٤٥٣/٢) أنهما من أدنى الحلق ، وصنفهما كائيتو بأنهما تكونان مجموعة « الحروف الرخوة اللهوية »
(انظر : جان كائيتو ، دروس فى علم أصوات العربية ، تونس ١٩٦٠ ، ص ١١٣) . ويبدو أن لكل تحديد منهما
جانبا من الصواب ، وقد أثبت العائى تجريباً أن الوحدة الصوتية (غ) لها فى النطق صورتان صوتيتان ، إحداهما :
لهوية Uvular الثانية من أدنى الحلق Velar (انظر : -

إلى حاء فى اللغات العبرية والفينيقية
والآرامية ، وحدث التحول نفسه فى لهجة
عربية واحدة وهى المالطية - وربما كان
التحول فى المالطية بتأثير الأساسى
اللغوى البونى (٢٧) - وحدث هذا التحول
- أيضاً - فى لغة عربية جنوبية حديثة
وهى السقطرية . أما اللغات السامية
الحديثة فى الحبشة فلم تحتفظ بصوت الحاء
الذى تحول فى اللغات المختلفة إلى حاء
أو إلى هاء أو حدث له اختفاء تام (٢٨) .

لم تحتفظ بصوت الحاء من بين اللغات
السامية إلا الأكادية والأجريتية من جانب
والعربية الشمالية والعربية الجنوبية والجعر
من الجانب الآخر . ومعنى هذا أن الحاء
استمرت فى أقدم لغتين فى الشرق
والشمال ، وهما : الأكادية والأجريتية ،
وفى أقدم لغات الفرع الجنوبى ، وهى :
العربية الشمالية والعربية الجنوبية ولغة
الجعر . ولهذا يمكن القول بأن هذا
الصوت وحدة صوتية موروثة عن اللغة
السامية الأولى . وقد تحول صوت الحاء

(٢٧) انظر : كانتينو ، دروس فى علم أصوات العربية ١١٥ ، وبرجشتراسر :

Bergsträsser, Einführung 177 - 179 .

وفيه نص مالطى مع تدوينه بالخط الصوتى وترجمته إلى الألمانية وإيضاح الأصل القديم فى العربية الفصحى ، فكلما خبز
العربية يقابلها ما يكتب فى العربية المالطية المحلية hopz وبالخط الصوتى hops ، وكلما خرج يقابلها ما يكتب
محلياً hareg وبالخط الصوتى hare . وفى المثالين نجد الحاء قد حلت محل الحاء .

(٢٨) انظر ما كتبه كانتينو عن الأصوات فى اللغات السامية وذلك فى J . Cantineau, Etudes, P . 287 وما كتبه

أولندروف عن الأصوات فى اللغات السامية فى الحبشة : E.ullendorf, The semitic Languages in Ethiopia:

وفيه دراسة مفصلة للبنية الصوتية فى اللغات السامية المختلفة فى الحبشة وأثبت أن الامهية أقل اللغات السامية

الصوت صورة صوتية للعين ، أو بعبارة أخرى : العين والغين معا وحدة صوتية واحدة لها صورتان صوتيتان . يستدل أصحاب هذا الرأي بأمثلة بينها علاقة دلالية ، وفي العربية (عميق وغميق) ، ويجعل هذا الرأي العين أصلا ساميا موروثا ، ثم حدث في اللغة العربية انقسام لهذه الوحدة الصوتية إلى وحدتين صوتيتين اثنتين . وقد أثبت كانتينو أن العين والغين وحدتان صوتيتان متميزتان في اللغة السامية الأولى ، بدليل تميزهما في العربية

أما الغين ، وهي المقابل الجهور للحاء ، فقد ورثتها العربية والأجريتية والعربية الجنوبية عن السامية الأم . وتحولت في باقي اللغات السامية إلى عين وهكذا التقى في هذه اللغات صوتا العين في تلك اللغات تقابل العين والغين معا في اللغات السامية الأخرى . وقد أثار موضوع قدم صوت الغين في اللغات السامية عدة تساؤلات ، وشك البعض في وجود الغين في السامية الأم (٢٩) يقول أصحاب هذا الرأي - وفي مقدمتهم الباحث التشيكي روتشيك - بأن هذا

الحبشية محافظة على الأصوات الموروثة على عكس لغتي التجري والتجرينا ، وانظر - أيضا - ما كتبه المؤلف نفسه عن اللغات في كتابه عن الأحباش :

E . Ullendorf, The Ethiopians, London 1960, P.116 - 135 .

وما كتبه ليتمان عن اللغة الحبشية في :

E . Littmann, Die äthiopische Sprache, in : Handbuch der Orientalistik, (ed. Spuler) , Leeden 1954 , S . 354 ff .

(٢٩) انظر البحوث المتتابعة في هذا الموضوع :

R . Ruzicka, Über die Existenz des gim Hebräischen, in : Zeitschrift für Assyriologie XXI 1908, S . 293 - 340 .

_____ , Zur Frage der Existenz des g im Ursemitischen, in : WZKMXXCC 1912, S . 96-106, XXVIII 1914 S . 21 - 45 .

_____ , L'attribution de - g en Arabe d'après les témoignages des grammairiens et lexicographes arab-s, in : Journal Asiatique, CCXX , 1932, P . 67 - 115 .

وفى بعض الأبجديات السامية القديمة
ومنها الأبجدية العربية الجنوبية ، التى
جعلت للعين رمزاً متميزاً عن الرمز الخاص
بالعين . ووجود هذا التمييز بين العين
والعين فى الأجرية والعربية الجنوبية (٣٠)
والعربية الشمالية يشهد بكون كل صوت
منهما وحدة صوتية متميزة موروثه عن
اللغة السامية الأولى .

خامساً - مجموعة الأصوات الشديدة
من أقصى الحنك واللهاة :
تضم هذه المجموعة فى اللغات
السامية ثلاث أصوات شديدة (٣١) ، وهى
الكاف المهموسة والجيم المجهورة والقاف
اللهوية (٣٢) . وقد تغير نطق هذه
الأصوات تطورات مختلفة ولكنها لم

(٣٠) انظر :

A . Beeston, P . 11 - 12 .

J . Cantineau, P . 287 .

(٣١) مصطلح المحدثين Stop وقف ، أو Plosive انفجارى يعنى شديد بمصطلح سيويه (طبعة بولاق ٢ / ٤٠٥) ،

وفى مصطلح تعريف المحدثين لهذا الصوت : تتكون الأصوات الانفجارية بأن يحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين

حبساً تاماً فى موضع من المواضع ، وينتج عن هذا الحبس ، أو الوقف أن يضغط الهواء ، ثم يطلق سراح المجرى

الهوائى فجأة - فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً (محمود السمران ، علم اللغة ١٦٦) .

(٣٢) مخرج الكاف والجيم المجهورة الحنك اللين Velum ، وهو القسم اللين الخلفى من سقف الفم ، ويوصف الصوتان

بأنهما Velar . أما مخرج القاف فى نطق العربية الفصحى ، فهو اللهاة Uvula ، وتوصف بأنها Uvular .

الجنوبية القديمة بالقاف لأن كليهما كان صوتاً شديداً (٣٣) . ويعد بروكلمان هذا الصوت الشديد كما عرفت العربية الجنوبية استمراراً للصوت نفسه في اللغة السامية الأولى ، ويرى أن الجيم المعطشة هي ظاهرة ناتجة عن تحويل الجيم الشديدة إلى مركب احتكاكي (الجيم الفصحى) . ويشير بروكلمان في هذا إلى تحول مواز وهي الكاف الشديدة إلى مركب احتكاكي (٣٤) ، نعرفه في بعض لهجات الخليج العربي . أما الكاف الشديدة فهي ذلك الصوت الذي نعرفه في العربية الفصيحة .

تختلط وفي هذه المجموعة احتفظت العربية الشمالية بصوتى الكاف والقاف من اللغة السامية الأم ، ولكن الجيم المعطشة كما تعرفها الفصحى ليست امتداداً لصوت سامي قديم ، بل هي ثمرة تطور في العربية ، فلا تعرف أية لغة سامية سوى العربية الفصحى الجيم المعطشة . في العربية الجنوبية كانت الجيم تنطق مثل الجيم في لهجة القاهرة . وقد ثبت عند المتخصصين في العربية الجنوبية القديمة أن الجيم كانت صوتاً شديداً ، ولم تكن صوتاً احتكاكياً أو مركباً احتكاكياً . وقد أشار بيستون إلى اختلاط كتابة الجيم في العربية

A . Beeston P . 12

(٣٣) المرجع السابق لبستون

(٣٤) بروكلمان

Brockelmann, Grundriss I / 123 .

وقد أشار بعض الرحالة والباحثين إلى وجود هذا النطق الشديد للجيم في مناطق من الجنوب العربي وعمان ، انظر

المقدسى ' أحسن التقاسيم ' ص ٩٦ والإشارة المذكورة عند بروكلمان ١/ ١٢٢ . وتنطق هذه الجيم حتى اليوم .

للعربية الفصحى فهو شيء حادث جاء
بعد تغير صوتى .

وثمة ملاحظة حول الكاف والجيم فى
الفرع الكنعانى كما يتضح فى العبرية ،
وفى الفرع الأكادى من اللغات السامية .
فالوحدة الصوتية الكاف تنطق فى العبرية
والآرامية فى صورتين صوتيتين ، إحداهما
شديدة أى مثل الكاف العربية والأخرى
احتكاكية أى مثل الخاء العربية . والوحدة
الصوتية الجيم تنطق فى العبرية والآرامية
فى صورتين صوتيتين ، إحداهما شديدة
أى مثل الجيم العربية الجنوبية القديمة
والجيم فى لهجة القاهرة ، والأخرى
احتكاكية مثل الغين فى العربية . والتمييز
بين الصورتين الصوتيتين المذكورتين
لكل وحدة من الوجدتين الصوتيتين
المذكورتين هو أمر حادث ، ولا يعكس

أما القاف فقد كان سيويه دقيقاً فى
وصفه لنطق هذا الصوت بالجر ، وما
تزال القاف تنطق عند البدو فى كل أنحاء
العالم العربى كما تنطق فى لهجات الخليج
العربى نطقاً مجهوراً ، يجعلها فى بعض
المناطق أقرب إلى الجيم المصرية وفى مناطق
أخرى أقرب إلى الغين^(٣٥) ، وكلاهما
صوت مجهور . أما القاف فى الأكادية
فقد اختلطت فى الكتابة أحياناً بالغين ،
والغن صوت مجهور ، فقد أحس
الأكاديون بالغين والقاف صورتين صوتيتين
لفونيم واحد ، مما يشهد بأن القاف
الأكادية كانت صوتاً مجهوراً^(٣٦) . ومن
كل هذا نخرج بأن القاف فى السامية الأم
وفى الأكادية وفى العربية كما وصفها
سيويه كانت صوتاً مجهوراً ، وأما النطق
الحالى المهموس للقاف فى الأداء المعاصر

(٣٥) قانون تفصيل ذلك عند كاتينو ، دروس فى علم أصوات العربية ، الترجمة العربية ص ١٠١ - ١٠٣ ،

وجونستون : Johnstone, Eastern Arabian Dialects, London .

وكذلك عند عبد العزيز مطر ، خصائص اللهجة الكويتية ، الكويت ١٩٦٩ ، ص ٣٧ - ٤٤ .

(٣٦) أنظر : Von Soden, Grundriss, s. 27 - 28

لاحظ فون زودن الخلط بين الكاف والجيم فى الكتابة الأكادية مع أن وجود الأخطاء فيها نادراً جداً ، ويكن تفسير هذا

باختلاف الكاف المهموسة عن الجيم المجهورة . انظر المرجع السابق ص ٢٨ .

النطق الموروث عن اللغة السامية الأولى^(٣٧) . وقد حدث تمييز النطقين الشديد والاحتكاكي للكاف والجيم في الآرامية أول الأمر ، ثم تأثرت به العبرية ابتداء من القرن السادس قبل الميلاد ، واستقر هذا الأمر في القرن الثالث قبل الميلاد^(٣٨) ، وينبغي هنا أن نلاحظ أن العبرية والآرامية لا تعرفان وحدة صوتية للخاء ولا وحدة صوتية للغين . وأن الصوتين قد ظهرا فيها في هذه الفترة في إطار جديد ، وهو تعدد الصور النطقية أو الصور الصوتية للكاف والجيم على الترتيب ، ولا صلة لهما من حيث مكانهما في النظام الصوتي بغير هاتين الوحدتين الصوتيتين .

وقد احتفظت اللغات السامية في الحبشية بالكاف والكاف والجيم بوصفها وحدات صوتية متميزة ، وإن تغير نطق هذه الأصوات . وقد وصف بروكلمان نطق هذه الأصوات في الجعر والامهرية والتيجرينية بأنه يحدث باستدارة الشفتين^(٣٩) ، وفسر هذا التغير النطقي بتأثير اللغات الكوشية المحيطة باللغات السامية في الحبشة . والملاحظ هنا أن هذه اللغات لا تعرف وحدة صوتية متميزة للخاء ، ومن ثم فهم يكتبون الألفاظ الدخيلة في لغتهم من العربية مستخدمين الحرف الخاص بالكاف الحبشية لنقل صوت الخاء في العربية^(٤٠) .

(٣٧) حول التمييز في الكتابة بين الصورتين الصوتيتين والعلامات الإضافية المينة لذلك انظر ماكنه ماير :

R . Meyer, Hebräische Grammatik , s. 45 .

(٣٨) عن رموز الضبط النطقي التي أضافتها كل من مدرسة طبرية ومدرسة بابل . R . Meyer , s. 92 .

C. Brockelmann, Grundriss, 1/124

(٣٩) انظر :

(٤٠) وعلى هذا فهم يكتبون الكلمات العربية خدام ، خلص ، خسارة رخام ، تاريخ مستخدمين حرف الكاف

الحبشية ليعبر عن الخاء العربية .

سادساً : الأصوات الأسنانية :

(١) عرفت اللغة السامية الأولى - فى رأى علماء المقارنات - ثلاثة أصوات أسنانية^(٤١) هى : التاء والذال والطاء .

(٢) احتفظت العربية بهذه الأصوات الثلاثة ، كما احتفظت بها كل اللغات السامية الأخرى . وتتقابل أصوات هذا الثلاث على النحو التالى : التاء صوت مهموس غير مطبق ، والذال مجهور وغير مطبق ، والطاء صوت مطبق .

أما الجهر والهمس فى الطاء فموضوع نظر ، فالطاء تنطق فى كل اللغات السامية الحديثة نطقاً مهموساً ، وهى بهذا تعتبر المقابل المطبق للتاء المهموسة . ولكن سيبويه^(٤٢) جعلها بالنسبة للعربية فى القرن الثانى الهجرى من الأصوات المجهورة . ولاحظ فون زودن^(٤٣) أن الطاء

كانت تنطق فى اللغة البابلية القديمة فى جنوب العراق نطقاً مجهوراً أيضاً ، واستدل على ذلك بأنها كثيراً ما كتبت هناك بالرمز الخاص بالذال عندما ضعف الإحساس بالتمييز بين المطبق وغير المطبق . وعلى هذا كانت الطاء القديمة ، كما تشهد بذلك العربية والآرامية صوتاً أسنانياً مجهوراً مطبقاً .

سابعاً : الأصوات بين الأسنانية :

أ - كانت اللغة السامية الأولى تضم كما اتضح من المقارنات اللغوية ثلاثة أصوات بين أسنانية ، هى : التاء والذال والطاء . وقد احتفظت اللغة العربية بهذه الأصوات . أما فى اللغات السامية الأخرى^(٤٤) فقد تغيرت هذه الأصوات فى عدة اتجاهات . يلاحظ أن العربية الشمالية.

(٤١) يطلق عليها بروكلمان وغيره مصطلح Dentale ويسمىها كاتينو وغيره "a pointe haute" Les apicales انظر

بروكلمان ١٢٨/١

وكاتينو J. Cantineau, le Consonantisme du semitique, en: Etudes de Linguistique Arabe, P.282.

(٤٢) قال سيبويه فى « الكتاب ٢ / ٤٠٧ ما نصه : لولا الأطباق لصارت الطاء دالا »

Von soden, Grundriss, s. 29

(٤٣)

C. Brockelmann Grundriss, 1/128 Syrische grammatik s. 15

(٤٤)

G . Bergsträsser, Einführung in die Semitischen Sprachen s. 4.

وهناك اختلاف فى الرموز المستخدمة عن كل من بروكلمان وبرجشتواسر للدلالة على صوت الطاء ، رمزها عند برجشتواس (d) جعل هذا الصوت مجهوراً مطبقاً بين أسناني ، وهذا صحيح فالطاء صوت مجهور فى العربية ، وقد رمز برجشتواس فى مواضع أخرى للطاء فى العربية برمز مخالف (Z) ، وهو فى هذا يتابع العرف السائد عن كثير من المستشرقين فى النقل الحرفى للطاء العربية إلى الخط الصوتى ، وفى هذا العرف قصور فى الدلالة على كون الطاء فى نطقها فى العربية الفصحى صوتاً بين أسناني ، ويرمز للأصوات بين الأسنانية بخط صغير تحت الحرف كما جاء فى الجدول المذكور .

تتفق مع اللغات العربية الجنوبية في
هذه المجموعة^(٤٥) . ولعل أهم تحول طرأ
على هذه المجموعة في العربية هو ما حدث
لصوت الظاء ، فقد كانت في السامية الأم
- كما يفترض بروكلمان وفيشر - صوتاً
مطبقة بين أسناني مهموسا ، أي أنها كانت
المقابل المطبق للثاء في السامية الأم
فأصبحت المقابل المطبق للذال^(٤٦) . وهذا
الرأى يجعل من الممكن تفسير تغير هذا
الصوت المطبق المهموس بين الأسناني إلى
طاء في الآرامية ، وذلك بتغير سمة واحدة
من سمات الصوت - وهي المخرج - من بين
أسناني إلى أسناني على نحو ما حدث لباقي
الأصوات بين الأسنانية .

وقد لوحظ بالنسبة لصوتي الذال
والظاء في العربية الجنوبية ما يأتي :

(١) وجد ليتمان حرف الذال في
تدوين الكلمتين الجنوبيتين : (ذ ك ن م)
(ق ر ذ) وهما تقابلان في العربية
الشمالية : دكين وقرد ، واستنتج من هذا
أن الحضرمية كانت تنطق الذال نطقاً مشابهاً
للذال ، ومن ثم حدث خلط بينهما في

(٤٥) رمز بيستون A.F.L. Beeston في :

A descriptive Grammar Epigraphic South Arabian P . 12 , 13 , 15

لثاء كما رمزنا لها وللذال كما رمزنا لها ولكنه رمز للظاء بالرمز Z كما فعل برجشتراسر بالنسبة للعربية .

W . D. Fischer, Die Position von

(٤٦) انظر مقال فيشر : ض

im Phonem system des Gemeinsemitischen, Wiss . Z . Universität Halle, XVII 68 G . H . 2/3 s.

55 - 63 .

كتابة الكلمتين المذكورتين^(٤٧)، ويرى بيستون
 أن المثالين المذكورين لا يشكلان ظاهرة
 عامة في الخلط بين الدال والذال^(٤٨) .
 (٢) هناك نقوش كثيرة يبدو فيها خلط
 بين حرف الصاد وحرف الظاء في رأى
 بعض الباحثين^(٤٩) . ومن الصعوبة بمكان
 أن يميز الباحث بين الحرفين للشبه الكبير
 بينهما في الكتابة العربية الجنوبية القديمة^(٥٠)
 (٣) جعل التغير في الأكادية
 والكنعانية مجموعة الأصوات بين الأسنان
 تتحول إلى مجموعة أصوات الصفيير .
 كان هذا التحول قد تم في الأكادية منذ
 وقت طويل ، ولكن اللغة الأجرية لم
 تعرف هذا التغير في كل جزئياته ، فقد
 احتفظت الأجرية بالثاء السامية القديمة ،
 ويتضح هذا من الكلمة الدالة على الرقم
 ثلاثة فقد كتبت بالأجرية بالثاء . وظلت
 الذال كذلك في الأجرية ثم بدأ تحول
 الثاء إلى شين ، والذال إلى دال في
 النقوش الأجرية المتأخرة^(٥١) .

(٤٧) E . Littmann, in ZDMG , 101 s , 377 .

(٤٨) A . Beeston, P . 13 .

(٤٩) يقول بيستون ، المرجع المذكور ص ١٥ . إن عدد أمثلة الخلط (بين الصاد والظاء) يشكل نسبة عالية جدا من كل الكلمات التي تدخل الظاء في حروفها الأصول ، وهناك أسباب للاعتقاد أن الحرفين لم يكونا في منطقة من البيئة اللغوية العربية الجنوبية وحدتين صوتيتين متميزتين .

(٥٠) انظر قائمة الرمز العربية الجنوبية في الكتب التالية :

M. Höfner, Altsüdarabische Grammatik (Porta linguarum Or ., 25) Leipzig,(1943)

D Brockelmann, Grundriss, 1 . 128 - 129 : (٥١)

A . Beeston , P . 15

J . Friedrich, Phöizisch-Punische Grammatik, s . 8 .

ويوصف التحول الذي أصبح مطردا في العبرية والفينيقية والذي كان من شأنه أن تحولت الثاء السامية القديمة إلى شين والذال السامية القديمة إلى زاي والظاء إلى صاد بأنه « التحول الصوتي الكنعاني » .

وبهذا اختلفت اللغات الكنعانية عن اللهجات الآرامية من هذه الناحية ، نجد

شينا في الكنعانية يقابلها في الآرامية تاء

بدلا من الثاء العربية ، ونجد طاء بدلا من

الظاء العربية ، ودالا بدلا من الذال

العربية . وبهذا حدث في الآرامية تحول

صوتي تكرر فيما بعد في اللهجة العربية

في مصر إذ تحولت الثاء إلى تاء ثلاثة و

(ذا : ده) أما الفعل الآرامي (نظر) فيقابل تأصيليا الفعل العربي (نظر) . وقد اللغة العربية في منطقة الشام ثم في دخل المناطق الأخرى فهم يتحدثون عن الفعل (نظر) وعن (الناطور) . وهذه الكلمات بهذه الصيغ ذات الطاء مأخوذة عن الآرامية مباشرة ولو كانت عربية لاحتفظت بالظاء . (٥٢)

ثامنا : صوت الضاد :

(١) ليس هناك وصف دقيق لنطق

الضاد يوضح خصائصها دون لبس (٥٣)

وعلى الرغم من هذا فقد استطاع الباحثون

تتبع الأصوات المقابلة للضاد في اللغات

السامية المختلفة (٥٤)

(٥٢) انظر : العرب للجواليقي ٣٣٤ ، ٦٨ ، وعلم اللغة العربية لمحمود حجازي ، الكويت ١٩٧٣ ، ص ٢١١ - ٢١٢ .

(٥٣) انظر : سيبويه ، كتاب سيبويه ، طبعة بولاق ٤٠/٢ ، طبعة القاهرة ١٩٧٥ ، بتحقيق عبد السلام هارون ، ٤٣٢/٤ .

(٥٤) R . Meyer, Hebräische Grammatik, 1/25 92.

وكذلك

W . Fisher, Die Position von im Phonem system des Gemeinsemitischen, Wiss . Z . Universitat Halle, 1968, 55 - 63

ظلت الضاد السامية القديمة فى كل لغات المجموعة الجنوبية وهى العربية الشمالية والعربية الجنوبية والحبشية ، أما فى الأكادية والكنعانية فقد تحولت الضاد إلى صاد ، كما تحولت فى الآرامية إلى عين . ويرى جان كانتينو أن الضاد كانت فى اللغة السامية الأولى ضمن مجموعة أصوات أطلق عليها مصطلح Les Laté-ralisées الأصوات الجانبية . وبهذا خالف كانتينو رأى القائل بأن النطق الجانبى لهذه الأصوات هو تغير حدث فى العربية الجنوبية الحديثة^(٥٥) ورأيه أن الضاد السامية القديمة كانت صوتاً يتسم بالإطباق والنطق الجانبى emphatique latéralisée .

(٢) يتفق الباحثون على أن اللغات

السامية الجنوبية قد احتفظت بالضاد السامية القديمة وهناك خلاف كبير حول نطق الضاد العربية القديمة ، فقد ترك وصف سيويه لها بعباراته غير الواضحة مجالا كبيراً للتفسير . أما فى اللغة العربية الجنوبية فأمثلة وجود الضاد فى النقوش القديمة كثيرة^(٥٦) . وتنطق هذه الوحدة الصوتية فى اللهجات العربية الجنوبية الحديثة نطقاً يختلف من لهجة لأخرى (السقطرية والمهرية والشحرية) . تنطق الضاد فى النطق التقليدى للحبشية لا يعكس النطق الجعزى القديمة لها ، فهم ينطقونها صاداً أو طاء^(٥٧) للحبشية نطقاً يعكس النطق الجعزى القديم لها ، فهم ينطقونها صاداً أو طاء^(٥٧)

J . Cantineau, Etudes de Linguistique Arabe, P . 233 - 284

(٥٥)

ورفض كانتينو ص ٢٨٥ كذلك رأى القائل بأن الصوت السامى القديم الذى نتجت عنه الضاد العربية كان مهموساً على عكس الصوت السامى القديم الذى نتجت عنه الطاء العربية المجهور ، واعتمد كانتينو فى رفضه لذلك على أنه لا توجد أية لغة سامية قديمة تميز فى داخل الأصوات المطبقة عن طريق الهمس والجهر ، وفى العبرية والحبشية وربما كذلك فى الأكادية كل الأصوات المطبقة مهموسة .

(٥٦) هناك أمثلة بين الضاد والطاء من جانب والضاد والصاد من الجانب الآخر . وليس من الصواب أن نتفق مع رأى الباحث Stehle فى كون تبادل الضاد والصاد فى الكتابة فى تلك الأمثلة القليلة دليلاً على أن الرمزين كانا لصوت واحد وقد اعتبر بيستون هذه الأمثلة شاذة ونادرة ولا تعكس ظاهرة عامة .

Grundriss, 1/134

(٥٧) انظر بروكلمان

E. Mittwoch, Die traditionelle aussprache des Athiopischen, Berlin (1926)

Handbuch der Orientalistik , Semitistik s . 135 - 136.

وكذلك

(٣) ينبغي أن نميز في الآرامية بين صوتين مختلفين تحولت إليهما الضاد السامية الأولى ، ففي النقوش الآرامية القديمة نجد صوت القاف في مقابل الضاد السامية^(٥٨) ولكن كل اللهجات الآرامية عرفت العين في مقابل الضاد السامية القديمة ، وهناك محاولات كثيرة غير مقنعة لتفسير تطور نطق الضاد إلى قاف^(٥٩) ، وليس من الصعب تفسير تحول القاف إلى عين ، إذا تصورنا هذه القاف ذات نطق مماثل لنطق الغين كما في الكويت والسودان عندما تحولت كل غين إلى عين في الآرامية انطبق هذا أيضاً على ذلك الصوت . وبصفة عامة كان الآراميون ينطقون العين في مقابل العين والغين والضاد في السامية الأولى^(٦٠) .

(٥٨) انظر :

N . Yousmanov, la correspondance du arabe au araméen comptes-rendus de L'Académie des sciences de l' V. R . S . S. (1926) p . 41 .

(٥٩) انظر بحث فيشر .

(٦٠) انظر قائمة الألفاظ السامية عند بر برجشتراس

G.Bergstrasser, Einführung S.182 - 192

(٦١) اطلق جان كانتينو على مجموعة السين والضاد والزاي مصطلح : Les sifflantes وخص الشين بمصطلح آخر هو Le chuintante

(٦٢) انظر بروكلمان : C . Brockelman, Grundriss, 1/128

(٦٣) عرف الخط الإجماعية رموزاً مستقلة لكل صوت من هذه الأصوات ، كما يميز الخط العبري بين الشين ذات الأذرع الثلاثة والسين ذات الأذرع الثلاثة والسامح والزاي والضاد ، كذلك في الخط الفينيقي ، أما في الخط العربي الجنوبي القديم فهناك بجانب الضاد المطبقة والزاي المعهورة ثلاثة رموز أخرى ، تدل على سين وشين وعلى صوت ثالث .

F. A . Schaeffer, RRV II, 184

R . Meyer, Hebräische Grammatik, 192

F . Friedrich, Phöizisch- Punische Grammatik,s.6 .

A . Beeston, A Descriptive Grammar of Epigraphic south Arabian, P . 4 .

C . Brockelmann, Grundriss, 1/128

D . Stehle, Sibilants and Emphatics in South Arabic Journal of the American Oriental society 60 (1440)

PP . 507- 43 .

J . Cantineau, Mutation des sifflantes, in Melanges . Gaudefroy - Demombynes 1939 - 46, PP 313 - 323 .

تاسعاً : أصوات الصغير :

(١) تعرف كل اللغات السامية أربعة صوامت من أصوات الصغير هي السين والضاد والزاي والشين^(٦١) . وأضاف إليها البحث المقارن في اللغات السامية صوتاً خامساً بائداً هو السين الجانبية أو الشجرية وتوجد أصوات الزاي والضاد والسين والشين في كل اللغات السامية . والزاي صوت مجهور غير مطبق ، والسين صوت مهموس غير مطبق ، والضاد صوت مهموس غير مطبق . أما الشين فهي صوت مهموس غير مطبق أما في اللغات الكنعانية والعربية الجنوبية فكان يوجد صوت آخر^(٦٢) ، وعبروا عن ذلك في الخط بحرف مستقل^(٦٣) .

وقد لاحظ بيستون (٦٤) أن اللهجات العربية الجنوبية الحديثة مثل المهرية والسقطرية والشجرية تتفق من هذا الجانب مع اللغة العبرية ، فالشين في العبرية تقابل اشتقاقيا الشين في العربية الجنوبية الحديثة والسين تقابل السين وأما ما يرمز إليه في العبرية بحرف السامخ فهو يقابل السين الشجرية في اللهجات العربية الجنوبية الحديثة ، ووجود هذا الاتفاق في أطراف متضادة من عالم اللغات السامية جعل بيستون يميل إلى القول بأن هذا يعكس العلاقات التي كانت قائمة في اللغة العربية الجنوبية ومعنى هذا أن تغيرا ما قد حدث في العربية الشمالية .

وبذلك يمثل صوت السين العربية صوتين اثنين كانا مختلفين في اللغة السامية الأولى وفي الكنعانية وفي العربية الجنوبية القديمة ولا يزالان متميزين في اللهجات العربية والجنوبية الحديثة . وبينما يقابل صوت الشين في العربية صوتاً واحداً في كل من الكنعانية والعربية الجنوبية القديمة والحديثة . (٦٥)

A . Beeston , A . Descriptive Grammar of Epigraphic South Arabian, P . 13. (٦٤)

(٦٥) يقابل الرمز S1 عن بيستون الشين نطقاً وذلك بدليل أنه يعبر عن الحرف العربي الجنوبي الذي كتبت به الشين في الكلمات ذات الشين التي دخلت من اللغة السريانية العربية الجنوبية القديمة . أما الرمز S2 فيعبر بالنسبة للعربية الجنوبية الحديثة عن السين الشجرية . ويعبر الرمز S3 عن صوت السين وهو نقل للحرف العربي الجنوبي الذي كتبت به السين في الكلمات الدخيلة من اليونانية في العربية الجنوبية القديمة . وهناك خلاف بعيد حول القيمة الصوتية للحروف العربية الجنوبية القديمة الدالة على هذه الأصوات الثلاث ، قارن ماسبق ببحث ماريا هوفنر .

Maria Höfner, Des Südarabische der Inschriften und der Lebenden Mundarten, in : Handbuch der Semitistik, s . 318 .

عاشراً : أصوات الذلاقة :

إلى نون فى العربية ، وعلى هذا فقد

- (١) توجد فى كل اللغات السامية أصوات الراء واللام والنون ، ويطلق على الراء واللام مصطلح الأصوات المائعة^(٦٦) Liquides بينما تعد النون صوتاً شفوياً^(٦٧) وهذه الأصوات الثلاثة من اللغة السامية الأولى .
- وتحولت الميم إلى نون فى أداة الشرط ، «إن» وتوجد هذه الأداة فى كل اللغات السامية الأخرى بالميم ، وفى العبرية im ، كما أن نون التنوين متحولة وفق نفس القانون عن ميم التميم التى توجد فى الأكادية ، ولكن المواد ذات الميم مثل قوم فى قام يقوم احتفظت بهذه الميم النهائية أصوات الذلاقة . وقد تحولت الميم النهائية دون تعديل .

(٦٦) A . F . L. Beeston, Phonology of the Epigraphic south Arabian Unvoiced Sibilants

(Transactions of the philological Society (1951) .

J . Cantineau, Etudes, P . 286 .

Von Soden Grundriss, s. 31 - 32 .

(٦٧) أفندنا هنا من وصف الخليل بن أحمد لها بأنها ذليفة أو ذلفة (كتب العين ، تحقيق عبد الله درويش ، بغداد ١٩٦٧ ، ٥٧) وقد

أطلق بركلمان مصطلح Sonorlaute للدلالة على أصوات الراء واللام والنون والميم ، وبدل المصطلح على الأصوات الصامتة ذات الوضوح

السمى القوى ، وهذه الأصوات موجودة بوصفها وحدات صوتية متميزة فى كل لغة من اللغات السامية ، سماها برجشتراسر « الحروف الصوتية

المخفضة » التطور النحوى ١٣ . وترجع تسميتها بالأصوات المتوسطة إلى أنها أكثر وضوحاً فى السمع من باقى الصوامت وأقل وضوحاً من الحركات

السامية إلى فاء ، ومعنى هذا أن الباء
فيالمهموسة في لغات الفرع الجنوبي من
الأكادية والكنعانية والآرامية تقابل الفاء في
العربية الشمالية والعربية الجنوبية والحبشية،
ويتضح هذا من مقارنة الكلمات العربية
والعربية الجنوبية : فرق ، نفس ، ألف
من جانب بالمقابل للاشتقاقى فى باقى
اللغات السامية من الجانب الآخر نجد الفاء
فى العربية والعربية الجنوبية والحبشية تقابل
الباء فى العبرية والأكادية والآرامية .

وفوق هذه التغيرات فى الكلمات
الوظيفية والنظام اللغوى هناك
أمثلة لكلمات وردت فى العربية من
الناحية المعجمية منتهية بالميم أو النون^(٧٥)
منها : الحزم = الحزن ، بمعنى الأرض
الغليظة ، قاتم = قاتن ، بمعنى أسود .
حادى عشر : الأصوات الشفوية :

(١) عرفت اللغة السامية الأولى ثلاثة
أصوات شفوية هى الباء المهموسة والباء
المجهورة والميم . وقد تطورت الباء اللغات

(٧٥) الأمثلة المذكورة من كتاب القلب والإبدال لابن السكيت فى الصفحات ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ومن كتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاجى

ص ١٠٠ - ١٠١ ومن كتاب الإبدال لأبى الطيب اللغوى ص ٤٢٣ وما بعدها .

C . Brockelman , Grundriss, 1 / 136 .

J . Cartineau , Etudes, P . 280 .

A . Beeston , A descriptive Grammar of Epigraphic South Arabian, P , 15 - 16 .

Von doden, Grundriss der Akkadischen Grammatik , s 26 - 27 .

(٢) وقد أثار بعض الباحثين قضية وجود صوت مطبق شفوى فى اللغة السامية الأولى^(٦٩) ، واستدلوا على هذا بلغة الجعر ، وهناك فرق بين رأى القائل بوجود الباء المهموسة التى يرمز إليها عادة بحرف P وبين وجود الباء المطبقة المجهورة التى يرمز إليها بحرف b . فالصوت P مهموس أما والصوت b وكذلك b فهما مجهوران ، لقد عرفت اللغة السامية صوت الباء المهموسة واحتفظت به اللغات السامية الشمالية وتغيرت هذه الوحدة الصوتية فى لغات المجموعة الجنوبية إلى فاء . أما وجود صور صوتية مختلفة للباء (أو للفاء أو للميم أو للام أو للراء)

بالتفخيم أو بالترقيق ، فيبدو أنه لا يدل على اللغة السامية الأولى بل هو ثمرة تحول تال فى لغة أو أكثر من اللغات السامية ، ففى عدد من اللهجات العربية نجد باء مفخمة وأخرى غير مفخمة^(٧٠) ، ولكن كليهما فى العربية وحدة صوتية واحدة ، ومثل هذا يقال بالنسبة للباء المهموسة فقد تحولت إلى الفاء العربية وهذا لا ينفى وجود الباء المهموسة فى بعض اللهجات العربية لا بوصفها وحدة صوتية متميزة بل باعتبار أنها صورة صوتية للباء وعلى هذا لا يمكن اعتبار وجود الباء المهموسة فى الحبشية دليلا على وجود صوت شفوى مطبق فى اللغة السامية الأولى .

(٦٩) انظر :

H . Möller, Semitisch and Indogermanisch, I (Kopenhagen, 1906) , p . 33 , 105 ff,

Die Semitischen P- Laute, in ZDMC LXX (1916) s . 145 - 163 .

H . Grimme, Semitische P - Laute, in ZDMC, LXVIII (1914) s 259 - 269 .

J . Cantineau, Etudes sur quelques parles de nomades arabes d' Orient, 1 P. 12 - 16. (٧٠)

Le dialecte arabe de Palymre, I , P, 44 - 48, Etudes , P . 281 .

R . S. Harrell, The Phonology of Collognial Egyptian Arabic , P. H .

ثاني عشر : الثوابت والمتغيرات .

(١) هناك ثوابت ومتغيرات في تطور النظم الصوتية للغات السامية ، والمقصود هنا بالثوابت تلك الوحدات الصوتية التي تجدها في اللغات السامية كلها من أقدمها إلى لهجاتها الحديثة ، ونفترض أيضا أنها كانت مع هذا النحو في اللغة السامية الأم وقد اتضح من العرض السابق أن الوحدات الصوتية التالية تعد من الثوابت في بنية اللغات السامية :

- أ- وحدات الأصوات الشفوية . ب م
- ب- وحدات أصوات الذلاقة . ر ل ن
- ج - وحدات أصوات الصفير : س ز س
- د - وحدات الأصوات الأسنانية : ت د ط
- هـ - الوحدات الصوتية للوقف الحنجري : همزة .

(٢) هناك تغيرات لم تنشأ إلا في ظروف تأثيرات قوية من لغات أخرى ، لها سمات صوتية مخالفة لبنية اللغات السامية وهي الوحدات الصوتية التالية :

أ - الوجدتان الصوتيتان من الأصوات اللهوية الرخوية : الغين والحاء .

ب - الوجدتان الصوتيتان من أصوات التجويف الحلقى : العين والحاء .

ج - الوحدات الصوتية من أصوات الحنجرة : الهاء .

(٣) هناك تغيرات أخرى حدثت في مناطق جغرافية متباعدة ، تمثل الظاهرة

اللغوية نفسها في داخل اللغات السامية . وأهمها التخلص من الأصوات بين الأسنانية ، واتخذ هذا التحول اتجاهين اثنين :

أ - تحوّل الوحدات الصوتية بين الأسنانية إلى المقابل الأسناني :

ث ت

ذ د

ظ ز (مطبقة)

حدث هذا التغير في اللغة الآرامية في الشام والعراق قبل الإسلام ، ثم حدث بعد ذلك اللغة العربية في مصر وصقلية .

ب - تحوّل الوحدات الصوتية بين الأسنانية إلى المقابل الشفوي أو الأسناني

ث ف ،

ذ د

ظ ضاد

حدث هذا التغير في بعض لهجات الجزيرة العربية القديمة ، ويلاحظ اليوم في بعض لهجات ريف البحرين .

(٤) تغيرات بعض الأصوات في أكثر اللغات السامية تغيرات بعيدة المدى ، الأمر الذي يثبت قضية الصعوبة النطقية لهذه الأصوات ، وأهم الوحدات الصوتية التي طرأ عليها تغيرات :

أ - أصوات الإطباق :

الطاء ، الطاء ، الضاد .

ب - أصوات أقصى الحنك :

القاف ، الجيم ، الكاف .

٥ (اتجاهات التغير فى اللغات السامية ولهجاتها ليست مقصورة عليها ، وقد لوحظ عدد كبير من هذه التغيرات فى لغات أخرى لا تمت للغة السامية بصلة قرابة لغوية أو مكانية ، وأهم هذه الاتجاهات ما يأتى :

أ - تحول الباء المهموسة (p) إلى فاء (F) حدث هذا التغير بين اللغة السامية الأولى واللغة العربية ، وهو أشهر هذه التغيرات التى حدثت عند تكون النظام الصوتى للعربية ، وحدث التغير نفسه فى الأسرة الهندية الأوربية ففى اليونانية Pater تقابل Fadar فى القوطية (٧١) وهنا نجد (P) قد تحولت إلى (F) ، وفى كلتا الحالتين نجد التغير واحداً ، وهو تحول الصوت شفوى (P) إلى صوت شفوى أسنانى (F) .

ب - تحول الكاف (K) إلى صوت الكشكشة المركب (TČ) . حدث هذا

التغير فى العبرية الفصحى ولهجات الخليج ومنطقة شرق الجزيرة العربية ، وهذا ما حدث أيضاً فى الأسرة الهندية الأوربية ، فى تاريخ اللغة الإنجليزية فى رحلتها المبكرة عندما ظهر هذا الصوت إلى جوار الحركات الأمامية : Pitch pic . (٧٢)

ج - تحول الكاف (K) إلى صوت الكشكشة الاحتكاكى (Č) . حدث هذا التغير فى العربية ، وهو المقصود - فى أرجح الآراء - بالكشكشة عند اللغويين العرب ، وهذا التغير ملاحظ اليوم أيضاً فى بعض لهجات البدو فى شرق الجزيرة العربية وهذا ما حدث فى الأسرة الهندية الأوربية ، فمثلاً فى اللغة اللاتينية نجد Camera يقابلها chambre فى الفرنسية (٧٣)

د - تحويل الجيم الشديدة إلى مركب احتكاكى حدث هذا التغير بين اللغة السامية الأولى واللغة العربية الفصحى . وحدث التغير نفسه بين اللاتينية واللغات الرومانية المختلفة (٧٤) .

(٧١) انظر حول هذا التغير - مثلاً :

W . P. Lehmann, Historical Linguistics, 164 - 165 .

L . Bloomfield, Language 378

L . Bloomfield, Language P . 377

L . Bloomfield P. 378.

(٧٢) انظر مثلاً

(٧٣) انظر

(٧٤) انظر

هـ - انقسام المركب الاحتكاكي (dg) إلى عنصرين وحذف أحد العنصرين .

حدث هذا التغير في العربية الفصحى ولهجاتها ، ففي لهجات عربية حديثة نجد الجيم مركباً احتكاكياً وفي لهجات أخرى نجد الجيم صوتاً احتكاكياً ، وفي لهجات ثالثة نجد مقابل ذلك صوت الدال ، وهذا بالتغير نفسه حدث في الأسرة الهندية الأوربية (٧٥) .

و - تحول الجيم إلى ياء حدث هذا التغير داخل العربية ولهجاتها وحدث التغير نفسه في الأسرة الهندية الأوربية وهو من التحولات المميزة للغة الانجليزية داخل اللغات الجرمانية في أقدم المراحل (g) وفي الإنجليزية الحديثة (y) . geldenyield .

ز - تحول الثاء إلى فاء حدث ذلك داخل اللغة العربية ، وفي أمثلة قديمة وفي لهجات حديثة في البحرين ، وحدث التغير نفسه في الأسرة الهندية الأوربية ،

ففي اليونانية نجد الثاء (th) تقابل (f) في الآتينية (٧٦) .

٦ - العربية الفصحى احتفظت بين اللغات السامية بأكثر الوحدات الصوتية الموروثة عن اللغات السامية الأولى ، والتي تغير قدر منها في اللغات السامية المفردة . وتقتصر التغيرات بين اللغة السامية الأولى واللغة العربية على ما يأتي :

أ - تغير الباء المهموسة في السامية إلى الفاء في العربية .

ب - تغير نظام أصوات الصفيير ، فاختفت الشين الشجرية في العربية .

أما باقى الوحدات الصوتية في العربية فترجع إلى اللغة السامية الأولى ، أى إلى ما قبل أول هجرة سامية إلى أرض العراق نحو سنة ٢٥٠٠ ق . م ومعنى هذا أنها تشكل وحدات في النظام الصوتي للعربية منذ أكثر من خمسة وأربعين قرناً .

محمود فهمى حجازى
الخبير بالمجمع

L . Bloomfield, Language 378.

(٧٥) انظر :

(٧٦) انظر تفصيل ذلك فى :

L . Bloomfield, Language, London 1979 , P . 348

L . Bloomfield 377

من التراث اللغوي المفقود

« مع كتابين مفقودين للفراء »

للأستاذ الدكتور أحمد علم الدين الجندى

(١)

٢١٠ هـ وأبو زيد الأنصارى ٢١٥ هـ ،
والأصمعى ٢١٦ هـ ، وابن دريد وغيرهم .
وجميعها مفقودة إذا استثنينا كتاب
اللغات لأبى عمرو الشيبانى ٢٠٦ هـ ،
والمعروف بكتاب (الجيم) .

ولقد جمعتُ هذه الكتب المفقودة فى
هذين الفين حيث تعقبت كتب العربية
على اختلاف نحلها جرذا وبحشا حتى
وضعت يدى على المادة التى أرجح أن هذه
الكتب الضائعة قد اشتملت عليها لهؤلاء
الأعلام .

فرصدت الروايات والسماعات والنقول
الخارجية المبثوثة فى كتب علوم القرآن
والشعر والنحو والعربية والطبقات والأمثال
والتي كان مصدرها هؤلاء العلماء الذين
ألفوا هذه الكتب . وأعرض الآن هيكلًا
لكتابتى الفراء فى (اللغات) (ولغات
القرآن) ، وهما مفقودان

وقد وضعت على الجانب الأيسر رمز
(غ) إشارة إلى أن النص

ألف الفراء (ت ٢٠٧ هـ) كتب
كثيرة وأغلبها مفقود^(١) ومن هذه الكتب
المفقودة :

أولا : كتاب (لغات القرآن)
الفهرست لابن النديم ٥٩ . وقد أشار إليه
أبوحيان فى تفسيره (البحر المحيط ٣/
١٩٣) وورد ذكره فى حاشية الشيخ عبادة
على شذور الذهب ١٤٨/١

ثانيا : (كتاب اللغات)
وهو مفقود كسابقه ، وقد عزاه له
ابن النديم (الفهرست ١٠٦) والسيوطى
فى بغيته (٤١١) ومزهره (٩٦/١) .

وقد ألف كثير من العلماء فى الفن
الأول ، منهم هشام بن محمد بن
السائب الكلبي ٢٠٤ هـ وأبو زيد
الأنصارى ٢١٥ هـ ، وابن دريد ٣٢١ هـ
والقطيعي ٥٥٤ هـ ، والبيهقي ٥٥٤ هـ ،
وغيرهم . كما ألف فى الفن الثانى
يونس بن حبيب البصرى ١٨٢ هـ ، وأبو
عمرو الشيبانى ٢٠٦ هـ ، وأبو عبيدة

(١) انظر قائمة مؤلفات الفراء ، الموجود منها والمفقود فى كتاب (أبو زكريا الفراء ومذهبه فى النحو واللغة ص ١٦٩ -
وما بعدها للدكتور أحمد مكى الأنصارى . والمعجم العربى ، نشأته وتطوره الجزء الأول ، الدكتور حسين نصار)

- على ما أرجح - من كتاب اللغات) ،
ورمز (ق) إشارة إلى أن النص من كتاب
(لغات القرآن) .

١ - المستوى الصوتي ويشمل (علم
الأصوات العام وعلم الأصوات التنظيمي
أو علم التشكيل الصوتي)
أولا : حركية الكلمة :

١ - فاء الكلمة :

الفراء ١ - يقال فيه غِلْظَةٌ
وغلْظَةٌ^(١)، ويقال رِفْقَةٌ ورَفْقَةٌ) ، لغة قيس
وتميم . إصلاح المنطق ١ / ١١٥ (غ) .
٢ - وسمعت من بعض كلب : وِجْنَةٌ
وَوِجْنَةٌ ، لبعض العرب بكسر الجيم وفتح
الواو . إصلاح المنطق ١ / ١١٧ (غ) .
وحكى الفراء عن الكسائي وُجْنَةٌ
وأُجْنَةٌ ووِجْنَةٌ عن أهل اليمامة . إصلاح
المنطق ١ / ١١٦

٣ - هو يأكل الحِينَةَ ، والحِينَةُ لأهل
الحجاز^(٢) (غ) .

٤ - قال الفراء في قوله تعالى

(ونمارق مصفوفة) هي الوسائد واحدها
نُمرْقة .

قال سمعت بعض كلب يقولون :
نمرقة بالكسر . لسان العرب ١٢ / ٢٣٩ (ق) .

٥ - الجهد - بضم الجيم لغة أهل
الحجاز ، والوجد ، ولغة غيرهم ، الجهد
و الوجد بالفتح .

معاني القرآن للفراء ١ / ٤٤٧^(٣) (ق)

٢ - عين الكلمة :-

١ - ويقال : مخ رير ورار . وزعم
الفراء قال : لغة القناني رير بفتح
الراء . وأنشد : (والساق منى بارادات الرير)
إصلاح المنطق ١ / ٨٩^(٤) (غ) .

٢ - قال صاحب العباب ، قال الفراء
في نوادره^(٥) : الحلقة بكسر اللام لغة
للحارث بن كعب في الحلقة بالسكون
وأورد شاهدا (غ) .

٣ - حكى الفراء عن بنى
أسد : هل رأيت عينا فى معنى
(أحد) يروى بسكون الياء وفتحها .

(١) وحكى أبو عبيدة وابن الأعرابي : غلظة : إصلاح المنطق ١ / ١١٧ وعزيت في الإنحاف ٢٤٥ بالفتح لغة لأهل الحجاز . وفي البحر المحيط
بالكسر لغة أسد وبالقسم لغة تميم : البحر المحيط ١١٥ / ٥ .
(٢) أى وجبة في اليوم . إصلاح المنطق ١ / ١١٧ والمخصص ٢٤ / ٥ .
(٣) بمناسبة قول الله (لا جهمهم) سورة براءة آية : ٧٩ .
(٤) الحركة البسيطة تحولت إلى حركة مركبة في لغة القناني .
(٥) يظهر أن كتب اللغات والنوادر كانت تسير في فلك واحد .

كثر الحفاظ ٢٧٣ (غ) .

٤ - قال الفراء : البخل^(١) مثقلة
لأسد ، والبخل خفيفة لتميم ، والبخل
لأهل الحجاز ، ويخففون أيضا فتصير
لغتهم ولغة تميم واحدة ، وبعض بكر بن
وائل يقولون : البخل . البحر ٢٤٧/٣
ومختصر الشواذ لابن خالويه :
٢٦ (ق) .

٥ - أهل الحجاز يقولون : أعطها
صدقتها بضم الدال ،
وتميم تقول : صدقتها بسكون
الدال : معاني القرآن للفراء ٥٩/٢ (ق) .
٣ - المماثلة في الحركات :

١ - حكم هاء التنبيه الفتح عند أكثر
العرب ، ويجوز ضمها وهي لغة عربية
حكاه الكسائي والفراء . قال الفراء : هي
لغة بني أسد : إبراز المعاني ٢٠٠ . وقرأ
بها ابن عامر في (أية المؤمنون)^(٢) يأيه
الساحر - بضم الهاء . إرشاد المريد على

إبراز المعاني ٢٠٠ (ق) .

٢ - سيويه^(٣) والفراء : ناس من بكر
بن وائل يكسرون الكاف من نحو : منكم
وأحلامكم . وهي لغة رديئة جدا ، حكاه
سيويه والفراء ، الهمع ٥٩/١ (غ) .

٣ - ذكر الفراء في (كتاب لغات
القرآن) له : أن الصلب وهو الظهر على
وزن قفل - هو لغة أهل الحجاز . ويقول
فيه تميم وأسد الصلب : بفتح الصاد واللام
قال : وأنشدني بعضهم : (و صلب^(٤)
مثل العنان المؤدم) .

قال : وأنشدني بعض بني أسد .
(إذا أقوم أتشكى صلبى) البحر
المحيط ١٩٣/٣ (ق) .

٤ - في قوله تعالى « الحمد لله » أما
أهل البدو فمنهم من يقول : الحمد لله ،
ومنهم من يقول الحمد لله ، ومنهم من
يقول الحمد لله فيرفع الدال واللام^(٥) معاني
القرآن للفراء ٣/١ (ق) .

(١) في القرآن : « ويأمرون الناس بالبخل » : سورة النساء آية : ٣٧
(٢) وفي البحر المحيط ٤٥٠/٦ ، ٩٣/١ عزاه لغة لبني مالك (ر هط شقيق بن سلمة) . وينو مالك من بني أسد
(٣) اشترك الفراء مع سيويه في حكاية اللهجة عن العرب .
(٤) والبيت في اللسان (صلب) للعجاج يصف امرأة وهو :
رباً العظام فخمة المؤدم . في صلب مثل العنان المؤدم ويقال للظهر :
صلب ، وصلب ، وصلب ، اللسان مادة (صلب)
ولعل نص الفراء الذي ذكر أنه في كتابه (لغات القرآن) كان بمناسبة قوله تعالى « من أصلا بكم » سورة النساء آية
٢٣ ، أو قوله « من بين الصلب » سورة الطارق آية ٧
(٥) علل الفراء صوتيا لكل قراءة ، إلا أنه أهمل العزو ، فالحمد لله ، بكسر الدال واللام لغة تميم وبعض
غطفان ، الإتحاف ١٢٢ هامش ، نزهة الألبا ٣٦٤ . والحمد لله - بفتح اللام اتباعا لنصب الدال وهي لغة بعض قيس
النشر ٤٨/١ .

٥ - فى قوله تعالى

« ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرختى إنى » سورة إبراهيم آية ٢٣ . حكى الفراء كسر الياء ، لغة بنى يربوع ^(١) النشر ٢٩٨/٢ ، إتحاف ٢٧٢ (ق) . :

وفى التصريح ٦٠/٢ أن هذه اللغة حكاها الفراء وقطرب . وفى معانى القرآن للفراء ٧٥/٢ « قال الفراء ولعلها من وهم القراء طبقة يحيى فإنه قلّ من سلم منهم من الوهم . انظر البحر المحيط ٤١٩/٥ ، والنهر الماد ٤١٨/٥ .

ثانيا : ظاهرة التقريب

١ - الإمالة والفتح :

أهل الحجاز يفتحون ما كان مثل شاء وخاف وجاء وكاد وما كان من ذوات الياء والواو . قال : وعامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس يُسروُن إلى الكسر من ذوات الياء فى هذه الأشياء ، ويفتحون فى ذوات الواو مثل : قال وجال . شرح المفصل ٥٤/٩ والأشمونى ٢٢١/٤ (غ) .

٢ - الإدغام والإظهار :

١ - وسمعت بعض بنى أسد يقولون : قد اتَّغَرَّ ^(٢) . وهذه اللغة كثيرة فيهم خاصة وغيرهم قد اتَّغَرَّ . معانى القرآن للفراء ٢١٥/١ (غ) .

٢ - وسمعت بعض بنى عسقل يقول : عليك بأبوال الظباء فاصعَّظها فإنها شفاء للطَّحَل ^(٣) . معانى القرآن : ٢١٦/١ (غ)

٣ - فى (مذكر) ومذكر فى الأصل مذكّر - فصيرت الذال وتاء الافتعال دالا مشددة . قال : وبعض بنى أسد يقول : (مذكّر) لسان العرب ٣٧٦/٥ (ق) .

ثالثا : الهمز والتسهيل

١ - روى الأزهري بإسناده عن الفراء قال : سمعت أعرابيا من بنى سليم ينشد : (فإنها حيل الشيطان يَحْتَلُّ) . قال : وغيره من بنى سليم يقول (يحتال) بلاهمز . اللسان : ١٩٨ - ١٩٩ (غ) .

(١) وعقب أبو عمرو بن العلاء على هذه القراءة بأنها «جائزة وحسنة» ولا التفات إلى إنكار النحاة لها . الدر اللقيط ٤١٩/٥ ووصفها الزجاج بأنها « عند جميع النحويين رديئة مردولة » الخزانة ٢٥٩/٢ إبرار المعانى ٣٦٩ ، كما أنكرها أبو حاتم (البحر المحيط ٤٢٠/٥) وربما الزمخشري بالضعف (الخزانة ٢٥٩/٢) وزاد فى إضعافها وتوهمها بأن الشاهد الشعرى عليها لرجل مجسول . والحق أن الشاهد للأغلب المعلى ورآه أبو شامة فى أول ديوانه (حاشية زين الدين على التصريح ٦٠/٢) وقال القاسم بن معن عن هذه القراءة (إنسها صواب) النشر ٢٩٩/٢ وكان القاسم بن معن ثقة بصيرا . إبرار المعانى ص ٣٦٩

(٢) وصيغة (اتغر) أسهل ، لأن اللسان قد يسهل عليه الاصطدام بالحنك والالتقاء به التقاء محكما ينحبس مسمه النفس . وهو ما يكون مع الأصوات الشديدة - من أن تقف حركته عند مسافة قصيرة من الحنك ، ليكون بينهما مجرى يتسرب منه الهواء ، كما يحدث فى الأصوات الرخوة .

(٣) مرض ، (اصعظها) اتعمل من الصعوط وهو لغة فى السقوط وهى : ما يستشق فى الأنف .

الفراء أنها لغة طيء . إبدال أبي الطيب
٢٥٨/١ (غ) .

وقال الفراء أيضا : وهم يقلبون الياء
الخفيفة أيضا إلى الجيم . وذلك في بنى
ديبر من بنى أسد خاصة . الإبدال لأبي
الطيب ٢٦٠/١ (غ) .

٤ - يقال سكران مُلْتَخٌ ومُلْتَكٌ .
حكاهما الفراء عن امرأة من بنى أسد .
الإبدال لأبي الطيب ٣٤٣/١ (غ) .

٥ - أهل الحجاز أكثر شيء قولاً :
الفيعال من ذوات الثلاثة فيقولون
للصَوَّاع : الصيَّاع^(٢) معانى القرآن للفراء
١٩٠/١ (ق) .

٦ - ومَرَضُوا^(٣) لغة أهل الحجاز .
معانى القرآن للفراء : ١٧٠/٢ (ق) .
٧ - وقيس تقول : طين لاتب .
معانى القرآن للفراء ٣٨٤/٢ في قوله
تعالى « طين لازب » الصافات آية
١١ (ق)

خامسا : الوقف

١ - حكى عن بعض العرب أنهم
يسكنون حركة الهاء^(٤) إذا كانت بعد

٢ - سمعت امرأة من طيء تقول (١) .
رثأت زوجي بأبيات معانى القرآن للفراء
٤٥٩/١ ونقل اللسان عن الفراء أنه قال
سمعت امرأة من غنى تقول : رثأت
زوجي بأبيات . اللسان ١٠/١ (غ) .

٣ - ونسأ الله في أجلك : أى زاد الله
فيه ، ولم يهمزها أهل الحجاز ولا
الحسن معانى القرآن للفراء ٣٥٦/٢ (غ)
ومثلها : وقد ترك همز (التناوش : سورة
سبا آية ٥٢) أهل الحجاز وغيرهم جعلوها
من نشته نوشا وهو التناول . . . وقد يجوز
همزها . معانى القرآن للفراء ٣٦٥/٢
(ق) .

رابعا : مدارج اللهجات في إبدال الحروف

١ - والتَّقْتَر لبنى أسد . (وهى لغة
في الدَّفتر) إبدال أبي الطيب ١٠٩/١ (غ)
٢ - بنو أسد يقولون : المغْشور
وغيرهم بالفاء . إبدال أبي الطيب ١٨٦/١
معانى القرآن للفراء ٤١/١ (غ) .

٣ - كل ياء مشدودة للنسبة وغيرها
فإن بعض العرب يبدلها جيما . وزغم

(١) وبعضهم يقلط العرب في مثل هذا ، ويرى الفراء أنه من همز التوهم وهو همزهم مالا همز فيه إذا ضارع
المهمور : المزهر ٢/٢٥٢، ٤٩٦

(٢) في الحديث عن قول الله (القيوم : آل عمران آية ٢ :) وقراها عمر بن الخطاب وابن مسعود (القيام) .

(٣) بمناسبة قوله تعالى « مرضيا » سورة مريم الآية : ٥٥

(٤) ولقد سمعها الكسائي من أعراب عقيل وكلاب : يقولون : « لربه لكنود » بالجزم وغير أعراب عقيل وكلاب
يوجد في كلامهم اختلاس ولاسكون . البحر المحيط ٢/٤٩٩ . وقال أبو اسحق عن الإسكان إنه غلط بين . وقال
أبو حاتم إنه غلط : الاتخاف : وانظر البحر المحيط ٣/٧١ ، واللسان ٢/٣٦٧ . كما رآه بعضهم ضرورة .

الخزاة ٢/٤٠١ كما نقل ابن جنى في المحتسب والخصائص ، وابن السراج في الأصول أن الظاهرة لغة لأرد السراة
الخزاة ٢/٤٠١ والمحتسب ١/٤٠٢ وانظر شاهدا من الشعر على هذه اللغة في الجمهرة ٣/١١٨

متحسرك . البحر المحيط
٤٩٩/٢ (ق) .

٢ - جمع التصحيح والمحمول عليه
كالهندات والبنات والأخوات . الأفصح
الوقف عليه بالتاء . ويجوز الوقوف
عليها بالهاء (غ) .

وحكاة الفراء لغة لقوم من طيء .
يقولون في مسلمات = مسلماء . عبث
الوليد ٦٧ ، وفي الهمع ٢٠٩/٢ حيث
أضاف قطربا إلى الفراء في حكاية
اللهجة عن العرب .

٣ - والعرب تقف على كل هاء
مؤنث بالهاء الإطيا فإنهم يقفون عليها
بالتاء مثل : هذه أمت^(١) وجاريت .
لسان العرب ٣٧٠/٢٠ ، شرح
السيرافي ٦١/١ (غ) .

٢ - المستوى الصرفي

أولا : التصحيح والإعلال .

المشهور في لسان العرب تسكين
العين إذا كانت غير صحيحة في مثل :
بيضات ، عورات . وقال الفراء :
العرب على تخفيف ذلك إلا هذيل
فَتُثْقَلُ ما كان من ذوات الواو والياء (٢) .
البحر المحيط ٤٤٩/٦ ، اللسان
٣٠٣/٦ شرح المفصل ٣١/٥ (ق) .

ثانيا : الممدود والمقصور .

عندما ذكر ابن هشام أن (هؤلاء
بالمدلغة الحجازيين) شذور الذهب :
١٤٧/١

وبها جاء القرآن . وبالقصر لغة تميم
- علق صاحب الحاشية بقوله : في لغة
تميم وقيل وأسد وربيعة ، ذكر ذلك
الفراء في كتابه (لغات القرآن) ولم
يخصه بتميم . (حاشية عبادة على
الشذور ١٤٨/١ ، كما ساق صاحب
التصريح ١٢٨/١ هذا النص السابق
وعزاه إلى الفراء في كتابه (لغات
القرآن) (ق) .

ثالثا : الأفعال .

١ - (المهموز) أبو زيد والفراء ،
رويا : اسل زيدا ، لغة عبيد القيس
حكاها أبو زيد والفراء يريدون : اسأل
فنقلوا حركة الهمزة إلى السين وأسقطوا
الهمزة (٣) . ليس في كلام العرب ص ١٢
(ق) .

٢ - (تداخل) لغة الحجاز :
دام يدوم . وتميم : دمت يدوم (بكسر
الدال) في الماضي . فيجتمعون في
المضارع (ق) .

(١) وفي المصباح ٩٩٧/٢ عزاه الحميز .

(٢) قال أبو حيان في البحر المحيط ٥١٥/٧ : ولم يقرأ أحد من علمناه بلغتهم والتصحيح أن الأعمش قرأ « ثلث عورات

لكم » سورة النور آية : ٥٨ وقد عزاه ابن خالويه إلى تميم . مختصر الشواذ لابن خالويه ص ١٠٣

(٣) وباللهجة عبد القيس قرأت فرقة من القراء . البحر المحيط ١٢٦/٣ .

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى ويحيى بن وثاب والأعمش : دمت بكسر الدال وهى لغة تميم فى (مادمت عليه قائما)^(١) س ٣ آية ٧٥ . مختصر

شواذ القرآن : ابن خالويه : ٢١

٣ - (باب نصر وضرب من الصحيح) فى قوله تعالى : « وإذا قيل انشزوا فانشزوا » سورة المجادلة آية : ١١ قال الفراء . قرأها الناس بكسر الشين ، وأهل الحجاز يرفعونها . قال وهما لغتان . لسان العرب ٧/٢٨٥ (ق) .

٤ - (الأجوف) ضُمَّت السعامة الصاد فى قول الله (فصرهن إليك س^٢ آية : ٢٦) وكان أصحاب عبد الله يكسرونها^(٢) ، وهما لغتان . فأما الضم فكثير ، وأما الكسر ففى هذيل وسليم قال : وأنشد الكسائى :

(وفرع يصير الجيد وَحَف كَأَنه) اللسان ٦/١٤٨ ومعانى القرآن للفراء ١/١٧٤ (ق) .

٥ - (لغتان فى الصحيح من غير باب نصر وضرب) : عجزت عن

الشيء بفتح الجيم (ماتلحن فيه العامة للكسائى ص ٢٤) هامش والكسر لغة حكاهما الفراء قال ابن القطاع (إنه لغة لبعض قيس) : ما تلحن فيه العامة ٢٤ هامش(غ) .

٦ - (المبنى للمجهول) فى نحو قيل ويبيع ثلاث لغات :

١ - إخلاص الكسر وهو لغة قريش ومن جاورهم من بنى كناية . البحر المحيط ١/٦٠

٢ - وإخلاص الضم وهو لغة هذيل ، وبنى دبير وبنى فقعى^(٣)

(أسرار اللغة : تيمور ص ١١١ والروض الأتف ٢/٦٦ ، الأشمونى ٢/٦٢) وقد حكى الفراء إخلاص الضم إلى بنى أسد ، وأورد شاهدا (وقول لأهل له ولا مال)^(٤) اللسان ١٤/٩٣ (ق) .

رابعا : المشتقات

١ - إذا جاءك فعل مما لم يسمع مصدره فاجعله فَعَلًا للحجاز وفعولا لنجد^(٥) شرح الشافية ١/١٥٢ (غ) .

٢ - فى قوله تعالى « من ماء دافق » مدفوق . قال : وأهل الحجاز

(١) وقال أبو إسحق : دمت تدام مثل : نمت تنام وهى لغة . البحر المحيط ٢/٥٠٠

(٢) والمعنى : قطعهن : من صَرَيْتُ أَصْرِي أى قطعت فقدمت ياؤها . الأضداد لابن الأنبارى ص ٢٩ .

(٣) من فصحاء بنى أسد .

(٤) ولغة قيس وعقيل ومن جاورهم . الإشمام فى ذلك . اتحاف ١٢٩ كما حكى إخلاص الضم عن ضبة . التصريح

١/٢٩٤ - ٢٩٥ ، وقد قرئ بهذه اللغات فى « قيل ، سىء ، غيظ ، حيل » البحر المحيط ٧/١٥١

(٥) قياس أهل نجد أن يقولوا فى مصدر مالم يسمع مصدره من فعل المفتوح العين : فعول ، متعديا كان أو لازما . وقياس الحجاز بين فيه : فَعَل ، متعديا كان أولا .

أولا : فعل وأفعل :

١ - العرب تقول .. أعصفت
الريح ، وعصفت ، وبالألف لغة لبنى
أسد ، وأنشدني بعض دبیر^(٣) (حتى إذا
أعصفت ریح مزعزعة) معانى الفراء :
١ / ٤٦٠ (ق) .

٢ - أهل الحجاز يقولون : «مأنتم
عليه بفاتنين»^(٤) وأهل نجد : «بمفتنين»
اللسان ١٥٦ / ١٧ معانى الفراء ٣٩٤ / ٢
(ق) .

٣ - ينع الثمر وأينع : أحمر .
وفي البحر ١٨٤ / ٤ بفتح الياء فى لغة
الحجاز وبضمها لغة لبعض نجد ، وقرىء
بها فى الأنعام آية ٩٩ « وينعه » مختصر
شواذ القرآن ابن خالويه ٣٩ (ق) .

ثانيا : التذكير والتأنيث :

١ - الهدى مذكر ، إلا أن بنى أسد
يؤنثونه^(٥) المذكر والمؤنث للفراء ص ٢١
(ق) .

٢ - الأصابع إناث كلهن إلا الإبهام
فإن بنى أسد أو بعضهم يقولون : هذا

أفعل لهذا من غيرهم أن يفعلوا المفعول
فاعلا إذا كان فى مذهب نعت كقول
العرب : هذا سرّ كاتم ، وهم
ناصب . ثم قال : وأعان على ذلك
أنها وافقت (رؤس الآيات التى هى
معهن . اللسان ٣٨٧ / ١١ (ق) .

٣ - يقولون : هو مسكن ، قال
عنها الفراء : هى لغة يمانية فصيحة^(١)
البحر المحيط ٢٦٩ / ٧ (ق) .

٤ - أهل الحجاز يقولون :
مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء
فيما ارتفعت به ويكسرون مرفق
الإنسان (البحر ١٠٧ / ٦)^(٢) . (ق)

٥ - ذكر لى أن بعض العرب
يسمون مأوى الإبل مأوى بكسر الواو -
قال : وهو نادر لم يسجد فى ذوات
الواو والياء مفعول بكسر العين الإحرفين
مأتى العين ومأوى الإبل وهما نادران
واللغة العالية فيها مأوى . اللسان
١٨ / ٥٤ ، شرح الشافية ١ / ١٨٢ (غ) .

٣ - الظواهر العامة فى لهجات القبائل

(١) وأهل أبو زيد عزوها . المخصص ٢٠٤ / ١٤ ، اللسان ٧٤ / ١٧

(٢) لعل هذا فى قوله تعالى (ويهى لكم من أمركم مرفقا) الكهف آية ١٦

(٣) ودبیر : بطن من بطون أسد بن خزيمه من العدنانية معجم كحالة ٣٧٤ / ١

(٤) الصافات آية ١٦٢

(٥) فى التذكير والتأنيث للسجستاني ص ١٠ خط تيمور رقم ٢٦٤ والمخصص ١٧ / ١٧ (بعض أسد)

إيهام . المذكر والمؤنث للفراء : ١٥ -
١٦ والبحر ٨٤ / ١ (١) (ق) .

٣ - الذراع أنثى . وقد ذكّر الذراع
بعض عكل . المذكر والمؤنث للفراء
١٥ ، عبث الوليد ١٣٤ (غ) .

٤ - والقدر : أنثى ويذكرها بعض
قيس . المذكر والمؤنث للفراء ١٨ (غ) .

٥ - الرياح كلها إناث . وشاهد من
بنى أسد على التذكير . ويقول الفراء :
أنشدني عدة من بنى أسد . المذكر
والمؤنث للفراء ٢٧ (غ) .

٦ - (رأيت بعض بنى تميم وسقط
ابن له في البير - والله ما أخطأ الركي
- فوحده بطرح الهاء فإذا فعلوا ذلك
ذهبوا به إلى التذكير كأنه اسم للجمع^(٢))
، وهو موحد . المذكر والمؤنث للفراء :
٣٠ ، والمخصص : ١٧ / ١٠ (غ) .

٧ - ذكرت كتب اللغة أنه يقال
للرجل (زوج) ولأمراؤه أيضا (زوج)
وذلك في لغة الحجاز ، ولغة تميم وكثير
من قيس وأهل نجد يقولون (هي
زوجته) البحر ١٠٩ / ١ . المخصص
١٧ / ٢٤ . وأبى الأصمعي لهجة تميم
وقال (زوج لاغير) لسان ٣ / ١١٧ .

ويقول ابن منظور وكانت من
الأصمعي في هذا شدة وعسر . اللسان :
١٠٧ / ٣ .

أما الفراء فقد وصف لهجة نجد في
الظاهرة السابقة (زوجة) بأنها (أكثر)
ولهجة الحجاز بأنها (أفصح) المذكر
والمؤنث للفراء : ٢٦ . وفي كل ذلك
يستشهد الفراء ويحتج بالقرآن والشعر .
(ق) .

ثالثا : القلب :

١ - تميم تقول : صاعقة في صاعقة
وأنشد لابن أحمر :

ألم تر أن المجرمين أصابهم .
صواعق لابل هن فوق الصواعق^(٣) (ق) .

٢ - لغة أهل الحجاز عميق ، وبنو
تميم يقولون : معيق^(٤) اللسان ١٢ / ١٤٣
البحر ٦ / ٣٤٧ (ق) .

٣ - من العرب من يتم (حاش)
وفي لغة الحجاز (حاش لك) وبعض
العرب حشى زيد - كأنه أراد : حشى
لزيد ، وهى فى أهل الحجاز . البحر
٥ / ٣٠ (ق) .

(١) يتصل بـ (يجعلون أصابعهم) البقرة .

(٢) والفراء يشير إلى أن من أسباب اجتماع التذكير والتأنيث فى الكلمة : الجمع والافراد : مثل ركيّة وركىّ .

(٣) وفى القرآن : من الصواعق : البقرة ، وقرأ الحسن : الصواعق ، وهى لغة تميم وبعض ربيعة . الإنحاف ١٣٠
هامش . . .

(٤) فى قوله تعالى « من كل فج عميق » الحج . ويقال : معيق .

٤- سمعت بعض قضاة يقول : اجتحنى ماله، واللغة الفاشية اجتاح ماله . وشاهد لها . معانى الفراء ١٢٤ / ٢ (غ) .

رابعاً : التشديد والتخفيف .

روى الفراء وأبو عبيد : يقال : اجلس ههنا أى قريباً - قال : وههنا أيضاً تقوله : قيس وتميم . اللسان ٣٧٤ / ٢ (غ) .

خامساً : مطلق الحركات والحروف وانتقاصها فى لهجات القبائل .

١ - أجاز الكوفيون حذف الياء المفتوح ما قبلها مثل اخشين ياهند فتقول على لهجتهم : اخشن ياهند بحذف الياء . وحكى الفراء أنها لغة لطىء . الأشمونى ٢٢٣ / ٣ ، الهمع ٧٩ / ٢ ، الخزانة ٥٨٠ / ٤ (غ) .

٢ - وقد تسقط العرب الواو وهى واو جماعة ، اكتفى بالضممة قبلها فقالوا فى : ضربوا قد ضرب . وهى فى هوازن وعلياً قيس^(١) معانى الفراء ٩١ / ١ (غ) .

٣ - ويقال للمنخُر : مُنخور^(٢) وهم طيء . معانى القرآن للفراء ٥٢ / ٢ (غ) .

(١) وأورد شواهد ثلاثة على هذه اللهجة .

(٢) ولعل السبب فى وجود صيغة (مُنخور) اختلاف موقع الثبر .

٤ - المستوى النحوى أولاً : الإعراب والبناء .

١ - وحكى الفراء عن كثير من أهل نجد أنهم يجرون الخبر بعد (ما) بالباء وإذا أسقطوا الباء رفعوا . الخزانة ١٣٣ / ٢ (ق) .

وفى ابن عقيل ٢٦٦ / ١ أن سيبويه والفراء (رحمهما الله تعالى نقلوا زيادة الباء بعد (ما) عن بنى تميم - فلا التفات إلى من منع ذلك .

٢ - عزا الفراء فتح لام كى إلى تميم^(٣) ، معانى القرآن للفراء ٢٨٥ / ١ (غ) .

٣ - حكى الفراء أن فتح لام الأمر لغة معزوة إلى قبيلة سليم . وقد نقل ذلك ابن مالك . البحر المحيط ٤١ / ٢ ، والنهر الماد ٤١ / ٢ (غ) .

٤ - بعض العرب يجرى (كلا وكلتا) مع الظاهر مجراهما مع المضمرة فى الإعراب بالحرفين وحكى (رأيت كلئ أخويك) وعزاها الفراء إلى كنانة . ارتشاف الضرب ٦٤ / ١ مصور بالدار رقم ٦١٥٦ ، الهمع ٤١ / ١ (غ) .

٥ - عزا الفراء فتح نون المثنى مع الياء

(٣) وزعم يونس أن ناساً من العرب يفتحون اللام التى فى مكان (كى) وزعم خلف الأحمر أنها لغة لبنى العنبر . خزانة ٣٧٦ / ٤ . وفى حاشية

الأمير ١٨٥ : أن عكلاً وبلعبر يفتحون لام الجر بشرط أن تدخل على فعل منصوب بأن مضمرة

لغة لبنى أسد^(١) . ارتشاف الضرب
٦٤/١ (غ)

٦ - بعض العرب يجرى (بنين
وباب سنين) وإن لم يكن علما مجرى
غسلين فى لزوم الياء والحركات على
النون منونة غالبا على لغة بنى عامر ،
وغير منونة على لغة بنى تميم حكاها
عنهم الفراء^(٢) . التصريح ٧٧/١ ،
الهمع ٤٧/١ (غ) .

٧ - الجرب (لعل) لغة عقيلية
حكاها أبو زيد والأخفش والفراء^(٣) .
الهمع ٣٢/٢ لسان ٥٠٢/١٣ (غ) .

٨ - كما روى عن الفراء على
المستوى النحوى ما يتصل بالاستثناء عند
القبائل . معانى القرآن للفراء ٤٨٠/١ .
٩ - بعض بنى أسد وقضاعة^(٤)

ينصبون (غيرا) إذا كانت فى معنى
(إلا) تم الكلام قبلها أو لم يتم .

يقولون :

ما جاءنى غيرك ، وما أتانى أحد

غيرك (غ) .

التصريح ٣٦١/١ . اللسان
٣٤٤/٦ معانى القرآن للفراء

٣٨٢/١
١٠ - فى نقل عن الفراء نصب
الجزئين بـ (ليت) وهى لغة تميم .
الخزانة : ٢٩١/٤ (غ)
١١ - وكنانة يقولون : (اللذون)^(٥)
معانى القرآن للفراء ٧٨/٢ (غ) .

١٢ - وقال الفراء فى (لغات
القرآن) وربما قالوا : هذان ذوا تعرف .
وهؤلاء ذوو تعرف (التصريح ١٣٨/١)
(ق) .

١٣ - وقال الفراء فى (لغات
القرآن) سمعنا أعرابيا من طيء يسأل
فى المسجد الجامع ويقول (بالفضل ذو
فضلكم الله به ، والكرامة ذات
أكرمكم الله به) التصريح ١٣٨/١ .

فبنى (ذات) - على الضم ونقل
حركة الهاء الأخيرة إلى ما قبلها وحذف
الألف فسكنت الهاء (٦) (ق) .

(١) وقال الكسائى هى لغة لبنى زياد بن قعس . التصريح ٧٨/١ .

(٢) وإعراب هذا النوع : إعراب الجمع لغة الحجاز وعلياء نيس . الهمع ٤٧/١

(٣) وسمع أبو زيد من عقيل (لعل زيد قائم) .

(٤) وقد أضاف الجوهري إلى هاتين القبيلتين بنى شهل . المصباح ٧٠٤/٢

(٥) عزيت هذه الصيغة لبنى عقيل . النوادر لأبى زيد ٨٩ . وعزاها الأشمونى ١٤٩/١ لهذيل أو عقيل . ثم يقول : وأر : للشك (التصريح

١٣٣/١) وابن عقيل : ١٢٥/١ يعزوها لهذيل فقط ، وابن الشجرى فى الأمالى ٣٠٨/٢ يعزوها كذلك لهذيل ، وذكر ابن مالك أنها لغة طيء :

الارتشاف ١٣٦/١

(٦) أثبت أمثلة لهذه الظاهرة فى كتب علوم القرآن (البحر ٣٣٨/٢) وكتب الأدب والأمثال (الأمثال للميدانى ٦٨/١) وكتب اللغة (نوادر أبى

زيد ٦١ ، الكامل ١٣٨/٢ ، آمال الشجرى ٣٠٦/٢ ، المزهرة ٥٣٦/١ ، ٤٣٨/٢) ومؤلفات الشعر (شرح الحماسة ٥٩١/٢) والمعجم

العربية (المخصص ١٤/ ١٠٢/١ لسان : ٣٤٨/٢٠) ومصادر النحو العربى (شرح السيرانى على سيويه ٤٣/٤ . الإنصاف ٢٣٥/١ . ابن

يميش : ١٤٨/٣ . الشذور ٦٥/١ التصريح ١٣٨/١) كما أثبت لها أمثلة فى كتب التاريخ القديمة (الإكليل ٢٣٨/٨ للهمدانى) ونلخص

الانتهابات التى فى هذه المصادر : ذو = استعملت بمعنى الذى عند طيء وعند غيرهم تكون بمعنى صاحب ، ويظهر أن ذو - الطائية كانت

مضطربة عند قبائل طيء ، فبعض طيء وهم أكثرهم تكون عندهم بلفظ واحد للمذكر والمؤنث مفردا ومثنى وجمعاً ، كما أنها تكون للماعل وغيره

والفرق الآخر من طيء كان يعربها بالوار رفعا وبالألف نصبا وبالياء جرا - ومعنى هذا أنها كانت مثل (ذى) بمعنى صاحب كما أن بعض طيء قد

اتجه ناحية مخالفة لما مضى فهو يثنىها ويجمعها . كما وجدنا بعض طيء يجعل مكان الذى - ذو - ومكان التى - ذات ويرفعون التاء على كل

حال . وإذا كان المعروف فى طيء أنها لاتثنى ولا تجمع كلمة (ذات) وأنها تبقى مبنية على القسم ، فقد حكى عن بعضهم تشبثها وجمعها

وقال أبو حيان (حكى لى شيخنا الإمام بهاء الدين الخلبى أن بعضهم حكى إعرابها إعراب ذوات - بمعنى صواب ثم عقب على ذلك بقوله : وهو

نقل غريب (الارتشاف ١٣٧/١ مصور) وقد ورد صدق لبعض هذه الظواهر فى كل اللغات العربية الجنوبية ، وكذلك فى اللهجات العربية

القديمة كالثمودية والصفوية واللحيانية

٥ - التراكيب الأثرية فى لهجات القبائل

٢ - يعزو إلى بنى أسد كقوله:
الحائب فى لغة بنى أسد^(١) القاتل
(الأضداد لابن الأنبارى ١٤٦).

قال الفراء وسمعت بعض بنى سليم
يقول فى كلامه : كما أُنْتِنِي ومكانَكْنِي
- يريد : انتظرني فى مكانك^(١) . معانى

القرآن للفراء ٣٢٣/١ (غ) .

٦ - المستوى الدلالى

ولعله كان يتحدث فى تفسير قول الله
« إنه كان حوبا كبيرا » النساء آية ٢ .
وفى مكان آخر يقول ورأيت بنى أسد
يقولون معانى القرآن للفراء
٢٣٥/١ (ق)

١ - سمعت أعرابيا يقول: بع لى
تمرا بدرهم - يريد: اشتر لى تمرا . وقيل
لجريح من أشعر الناس ؟

قال الذى يقول :

٣ - قال الفراء والكسائى فى
(هيت) ^(٥)هى لغة وقعت لأهل الحجاز
فتكلموا بها . النشر ٢٩٥/٢ (ق) .

ويأتيك بالأخبار^(٢) من لم تبع له .
بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

أراد من لم تشتتر له، والبتات :

قال الفراء ، ويقال إنها لغة لأهل
حوران * ، سقطت إلى أهل مكة
فتكلموا بها . لسان (هيت) .

الزاد (الأضداد لابن الأنبارى ٦١)
وفى معانى الفراء ٥٦/١ أن هذه اللغة
فى تميم وربيعة . وكان الفراء يفسر قوله
تعالى « بثسما اشتروا به أنفسهم » البقرة
آية ٩٠ (٣) (ق) .

.. (١) والمعروف فى العربية أن العرب تأمر بالظروف وحروف الجر ، مثل : عليك ، ودونك ، وإليك ، يقولون : إليك إليك يريدون : تأخر .

(٢) فى معانى القرآن للفراء ٥٦/١ أنشده بعض ربيعة .

(٣) وقال قطرب : شريت بمعنى بعت لغة لغاضرة . الأضداد لابن الأنبارى ٦١

(٤) وفى اللسان ٣٢٩/١ : الحوب لاهل الحجاز ، والحوب لتميم ومعناها : الإثم .

(٥) وقال أبو زيد الأنصارى هى بالعبرانية . وأصله (هَيْتَالَجْ) أى تعال . الإثنان ١٤١/١ لسان (هيت) . وعن ابن عباس بالقبطية . وقال

الحسن : بالسريانية وقال عكرمة هى بالخورانية . الإثنان ١٤١/١ وفى المتوكلى للسيوطى ١١ بالنبطية ، ومعناها : هلم لك . وقرئ (هَيْتُ

لك) ومعناها : تهيات لك وانظر تعليق أباعمرى على هذه القراءة : مجاز القرآن لأبى عبيدة ٣٠٥/١ . وقرأ على رضى الله عنه :

ها أنالك . شواذ القرآن لابن خالويه ص ٦٣ ، وقرئ هَيْتُ لك - فعل صريح مبنى للمفعول : البحر ٢٩٤/٥

(٦) بمناسبة قوله تعالى « أيمسكه على هون » النحل آية ٥٩

*-يراد بالخورانية أو النبطية - اللغة الآرامية عند اللغويين المسلمين كما أشار إلى ذلك تولدكه فى ZDMG ١٢٢/٢٥

٧ - المنهج الذى سار عليه الفراء من خلال الروايات والنقول والنصوص الخارجية التى نقلت عنه

١ - يلاحظ أن الفراء كان يعزو كثيرا إلى قبائل أسد ويطونها ، فقد قمت بإحصائية عن اللهجات فى معانى القرآن له ، وشملت الكتاب كله وكانت حصياتها كما يلى :

عامر	حوران	نجد
٢	١	٥
النَّخَع	كندة	بنو إنسان
١	١	١
الأنصار	الحارث بن كعب	كنانة
١	١	٢
حضر موت	اليمن	تهامة
٢	٣	١
نمير	عليا قيس	
٣	٢	

أزد عمان	بكر	مكة
١	١	١
كلب	أسد	تميم
١	١٤	١٣
ربيعة	هوازن	بعض قيس
٢	١	٦
قريش	هذيل	سليم
٢	٣	٥
الحجاز	عكل	عقيل
٢١	٣	٢
العالية	قضاة	عمان
٢	٤	١
طبي	فزارة	كلاب
٣	١	١

وتشير الإحصائية إلى أن قبيلة أسد لم يتقدم عليها فى الكثرة إلا لهجة الحجاز وحدها ، مما يحسم الخلاف بين المؤرخين حين اختلفوا فى نسب الفراء هل هو مولى لبني أسد أم مولى بني منقر ؟ فهو إذن أسدى وقد رجح هذا الدكتور / أحمد مكى الأنصارى فى كتابه (أبو زكريا الفراء) ص ٤٢ ، ولا غرو إذا فتن بقبيلته ولغتها (وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى) .

٢ - والحديث عن معانى القرآن للفراء ، يدعونا إلى الحديث عن كتاب آخر صنوه وهو كتاب (المجاز) لأبي عبيدة ، وحسبنا أن نذكر إحصائية اللهجات القبائل فى كتاب (المجاز) حتى نقف على مدى اهتمام الفراء بتسجيل اللهجات القبائل وروايتها عن العرب . وكان ميدان هذا الإحصائية كما سبق فى معانى القرآن للفراء وهى :-

تميم	أكلونى البراغيث	نجد
١	١	١
الججاز	العالية	كنانة
١	١	١
بعض المكين		
١		

وهذا الخلاف بين الرجلين فى رواية اللهجات يوضح إلى حد كبير الخلاف بين المدرستين البصرية وهى التى ينتمى إليها أبو عبيدة ، والكوفية وهى التى ينتمى إليها الفراء . كما أننى أرجح أن كتابى الفراء كانا أعظم قدرا ، وأوفى نصيبا من كتابى الأصمعى فى (اللغات) و (لغات القرآن) ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى الاختلاف بين المدرستين التى ينتمى إليها كل منهما . فالأصمعى البصرى كما يروى أبو حاتم لم يقل (ديار ولا ديور ، لأن ديارا فى القرآن : الجمهرة ٣ / ٤٨٣) ويقول ابن دريد (ورغا اللبن وأرغى وسرى وأسرى ، ولم يتكلم فيه

الأصمعى ؛ لأنه من القرآن) . الجمهرة ٣ / ٤٣٤ . وسحته وأسحته ... ولم يتكلم فيه الأصمعى الجمهرة ٣ / ٤٣٦) لأن فى القرآن (فيسحتكم) ولعله كان يخاف أن يزل فى القرآن . كما كان الأصمعى ينكر لهجات عربية مثل : تميم (المصباح ٢ / ١٠٣٨) ونجد (اللسان ١٧ / ١٩٤) كما أنه لم يتكلم فى «عصفت الريح» و «أعصفت» ، لأن فى القرآن (ريح عاصف) ، الجمهرة ٣ / ٤٣٥ . لكن الفراء المتحرر عزاها إلى بنى دبير ، وهم بطن من أسد ، وأورد شاهدا لها . معانى القرآن للفراء : ١ / ٤٦٠ . كما كان الفراء يحتج للهجات العربية بالقراءات القرآنية توجيها وتنظيرا (انظر نصوص الكتابين) .

٣ - إن كتابى الفراء كانا معينين استقيا منهما اللغويون والمفسرون (البحر ٣ / ٢٤٧ ، ٣ / ١٩٣) ، (اللسان ٧ / ٢٨٥) ، (التصريح ١ / ٧٧) ، (الهمع ١ / ٤٧) .

٤ - بعض الظواهر الصوتية كان سيويه يراها ضرورة ويرأها الفراء لغة عن العرب (عبث الوليد ٢٢٥) وكثيرا ماكانت اللهجة تشتجر مع الغلط أيضا ، ولكن الفراء يحكيها لهجة عربية : المزهرة ٢ / ٢٥٢ ، ٤٩٦ البحر ٢ / ٤٩٩ . وهذا يوضح اعتداده للهجات القبائل وتقديره لكل ماسمع من العرب .

٥ - أنه كان يؤكد لهجات القبائل بالسماع والسند وتسلسله ليحيطها بسياج من التوثيق ، حماية لها من الوضع والتدليس - وهذا يؤكد تأثيره بمنهج المحدثين وبالنزعة السلفية (انظر معانى القرآن للفراء ١ / ٤١ ، ٥٦ ، ٩١ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢٥٣ ، ٣٢٣ ، ٤٥٩ / ٢ / ٣٢ ، ١٥٠ ، ٦٤ ، ٢٤٩ كما كان يوثق اللهجة بالرؤية وهي ملاحظة مباشرة . معانى القرآن للفراء ١ / ٢٥٣ .

٦ - كما كان دقيقا فى عزوه اللهجات فيستعمل (الكثرة) كقوله (وهى كثيرة فى أسد وتميم وعامر . معانى القرآن للفراء ٢ / ٩٢) (وكثير من أهل نجد : الخزانة . ١٣٣ / ٢) ويستعمل كلمة (بعض) : كقوله (سمعت بعض بنى عقيل) . معانى القرآن للفراء ١ / ٢١٦) أو كلمة (خاصة) كقوله (وذلك فى بنى دبير من بنى أسد خاصة) الإبدال لأبى الطيب ١ / ٢٦٠ .

٧ - ويسمى لهجة الأنصار بأنها من (المرفوض) (معانى القرآن للفراء ٢ / ١٥٣) أو يصف اللهجة بـ (العالية) اللسان ١٨ / ٥٤ . أو أنها (أفصح) أو

(أكثر) المذكر والمؤنث للفراء ص ٢٦ : ويصف لهجة تيمية بأنها لا تصلح فى الكتاب . أى فى القراءة (معانى القرآن للفراء : ١٦٤ / ٢) .

٨ - كثرة الاستعمال وأثرها فى حذف جزء من الكلمة فى لهجة بنى فزارة : معانى القرآن للفراء ٢ / ٩ .

٩ - كثرة الشواهد التى يحتج بها لتوثيق اللهجة . اللسان ٦ / ١٤٨ معانى القرآن للفراء ١ / ٤٦٠ ، ٩١ ، المذكر والمؤنث للفراء ص ٢٦٠ .

١٠ - ومن أولياته أنه سمع نصا لهجيا من قبيلة بنى إنسان^(١) . معانى القرآن للفراء : ١٠٧ / ٢ .

١١ - كما كان الفراء أمينا ثقة لا يتورع أن يقول (لأعرف) فقد عقب على قراءة (صلنا) بالصاد فى (ضللنا) السجدة آية ١٠ بقوله : ولست أعرفها إلا أن تكون لغة لم نسمعها ! معانى القرآن للفراء ٢ / ٣٣١ .

١٢ - ويظهر أن لغات القرآن - للفراء لم تكن مقصورة على لهجات القبائل العربية وحدها بل شملت لغات أخرى غير العربية يؤكد هذا قوله فى سورة المؤمنين

(١) وهى اسم قبيلة عربية . نهاية الأدب للقلقشندى : ٨٨

آية ١١ (الفردوس) قال الكلبي : هو
البستان : الفردوس^(١) (معانى القرآن
٢/٢٣١) وتعليق الفراء يوضح لنا مذهبه
فى العرب .

١٣ - وكان الفراء فى حالات نادرة
يشارك فى حكاية اللهجة مع غيره كقطرب
(الهمع ٢/٢٠٩) وأبى زيد (ليس فى
كلام العرب ١٢) وأبى عبيد (اللسان :
٢٠/٣٧٤) والأخفش (الهمع ٢/٣٣)
والكسائى (النشر : ٢/٢٩٥) .

وبعد : فإن بعث كتب (لغات
القبائل) و (لغات القرآن) المفقودة :
أولا : تسدُّ ثغرة فى تاريخ الجانب
اللغوى والقرائى ، لأنها تعتبر أمّا فى
توثيقها للهجات القبائل .

وثانيا : تحمل فى بطونها بذورا للعربية

فى تاريخها الطويل ، فهى حقل غنى
ومعلمة زاهرة فى الدراسات الصوتية
والنحوية والدلالية .

وأخيرا : فإن استخلاص ماسبق من
غضون حقل العربية الشتيت على قدر
استطاعتى بعد أن بؤيته ونسقتة وعلقت
عليه - يعتبر عملا خطيرا ؛ لأنه بعث إلى
الحياة مرة أخرى - تراثا قد اختفى ، ونورا
كاد يخبو .

أحمد علم الدين الجندى

الخبير بالمجمع

«البحث بقية»

(١) وفى المتوكلى : فيما ورد فى القرآن باللغة الحبشية والفارسية والهندية والتركية والزنجية والنبطية والقبطية والسريانية والعبرانية والرومية
والبربرية (دمشق ١٣٤٨ هـ . للسيوطى) وردت : الفردوس مرتين الأولى ذهب إلى أنها رومية ص ٨ ، والثانية إلى أنها : الكرم بالنبطية
ص ١١ ، وأصلها (فرداسا) .

التحقق من تحقيق « كتاب العين »

للأستاذ الدكتور شربل داغر

حظ تحقيق « كتاب العين » ،
به الباحثان العراقيان ، الدكتور
بدي المخزومي والدكتور إبراهيم
، بما يستحقه من عناية المتابعين
النقاد والعلماء ، على الرغم من
الحدث الكبير في تاريخ اللغة
تملك العربية اليوم معجمها
سجل يعود إلى ظروف تأليفه . من
جهة ، وإلى أسبقيته الحاسمة والتميزة
في التأليف المعجمي العربي من جهة
ثانية . لن نستعيد تفاصيل هذا السجل
أو حججه ، فالشواهد القديمة والتأليف
الحديثة في هذا الشأن عديدة (١) ،
وسنكتفى بتبيين أسباب الخلاف وبواعثه ،
وهي على ما تبيننا ، تعود إلى ظروف
تأليفه في المقام الأول .

١ - « كتاب العين » - المشكلة :

قد يكون مفيداً ذكر الرواية التي ساقها
ابن النديم في « الفهرست » عن « كتاب
العين » ، وهي التالية : « قرأت بخط أبي
الفتح بن النحوي صاحب بنى الفرات ،
وكان صدوقاً منقراً ببحاثاً - قال أبو بكر بن
دريد: وقع بالبصرة «كتاب العين» سنة ثمان
وأربعين ومئتين قدم به وراق من خراسان ،
وكان في ثمانية وأربعين جزءاً فباعه
بخمسين ديناراً ، وكنا نسمع بهذا الكتاب

، وصلنا فعلاً كتاب الخليل
في نسخته الجديدة المطبوعة ؟

، تنهى عملية التحقيق هذه
لذي شارك فيه العلماء القدامى
، حول نسبة هذا الأثر الفريد ؟

الغ إذا قلنا : إن « كتاب العين »
سجلية في تاريخ التأليف
والمعجمي العربي ، منذ الخبر
تأليفه حتى أيامنا هذه ، وهو

من العودة إلى كتاب « الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث » للأستاذ محمد حسين آل ياسين
فاذ فكرة واسعة ومفيدة عن هذا السجل ، ص ، ٢٣٠ - ٢٤٥ .

أنه بخراسان فى خزائن الطاهرية حتى قدم به هذا الوراق « (١) . يتضح من هذه الرواية أن الكتاب لم يظهر فى البصرة إلا فى العام ٢٤٨ هـ . ، أى بعد مرور نحو سبعين سنة على وفاة الخليل . (فى ١٧٥ هـ) دون أن يعنى هذا أن أهل البصرة لم « يسمعوا به » سابقاً .

أثار هذا « الظهور » المتأخر الجدل حوله ، وحول نسبته للخليل . ذلك أن لهذا المعجم رواية واحداً ، هو الليث ، تلميذ الخليل ، فكيف حدث أن تلاميذ الخليل الآخرين ، مثل النضر بن شميل ومؤرج ونصر بن على وأبى الحسن والأخفش وأمثالهم ، لم ينقلوه عن الخليل أو لم يتحدثوا به ؟ إلا أن هذا الخلاف يتصل ، على قيمته التاريخية ، بمعرفة ما إذا كان الخليل هو واضع الكتاب برمته ، أم أنه « رسم » خطته وحسب ، ووضع الليث من بعده ، أم أن الخليل وضع رسم الكتاب و « حشا » قسماً من متنه ثم أكمله الليث ؟

هنالك إذن ، مشكلة نسبة الكتاب ، ومشكلة أخرى لا تقل قيمة عنها ، وهى

مشكلة النسخ والمخطوطات التى وصلتنا من « كتاب العين » . والتى أثارت مصاعب جمّة عند المحققين الكثر الذين أقدموا تباعاً على تحقيق هذا الأثر الفريد . تناوب غير محقق على تحقيقه ، من دون أن يفلح منهم أحد غير المحققين العراقيين ، الدكتورين مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، فى إخراج الكتاب كاملاً ، ووصوله إلينا . وحكاية تحقيق هذا المؤلف لا تقل تشويقاً وصعوبة عن نسبة الكتاب نفسها .

ففى سنة ١٩١٤ أقدم الأب أنستاس مارى الكرملى على طبع فصلة من « كتاب العين » فى مطبعة « دار الأيتام » ببغداد ، ثم توقف الطبع بسبب قيام الحرب العالمية الأولى . ثم تصدى فى سنة ١٩٦٧ الدكتور عبد الله درويش للمهمة نفسها ، فأصدر الجزء الأول منه فى « مطبعة العاني » ببغداد ، ثم توقف عن إكمال الطبع بعد أن تنبه لبعض المآخذ الواردة فى تحقيقه . بعد ذلك سعى الشيخ محمد حسن آل ياسين إلى تحقيق الكتاب فنشر مقدمته فى سنة ١٩٧٧ ، فى العديدين

(١) - ابن النديم : « الفهرست » ص ٦٤ .

التاسع والعاشر من مجلة « البلاغ » ، ثم توقف عن إكمال ذلك بعد تكليف وزارة الإعلام العراقية للدكتورين مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي بتحقيق الكتاب (١)

فما مشكلة الطبعة المحققة ؟

كابد غير محقق مشاكل تحقيق هذا المعجم بسبب تأخر المخطوطات الزمنية من جهة ، واشتمالها على أغلاط وزيادات عدد من النساخ ، من جهة ثانية . فمخطوطات الكتاب ، التي عمل عليها المحققان ، تعود في أقدمها إلى سنة ١٠٥٤ هـ ، أي أنها مخطوطات متأخرة .

كما لاحظ الدكتور الفرطوسي في دراسته « محاولة جديدة في دراسة كتاب العين » في سنة ١٩٨٧ ، وجود مخطوطات أخرى من « كتاب العين » أشار إليها الباحثون فيما مضى ، مثل بروكلمان والدكتور صلاح الدين المنجد ، دون أن تصلنا على ما يبدو ، دون أن يشير إليها المحققان .

وكانت كلما صدرت محاولة لتحقيق هذا الكتاب يتناوب عليها الدارسون بالنقد مبينين أخطاءها وعثراتها ، حتى أن الدكتور درويش توقف عن تحقيقه للمعجم ، كما أسلفنا القول ، بسبب من هذه المصاعب . ماذا بإمكاننا أن نضيف على هذا النقاش حول المشكلتين ؟ هل نقوى على زيادة حجج (أي على دحض بعضها أو تصحيح بعضها الآخر) في هذا السجال ، الذي أفاض فيه القدماء ولا يخلو منه أي كتاب عربي حديث عن النحو أو المعاجم ؟

يمكننا أن نثير السؤال ، بداية ، ذلك أن هذه الحجج - فيما عدا القليل منها - تقوم على الظن والتخمين ، ليس إلا : فهذا « يربأ » بالخليل أن يقول هذا القول ، وذاك يجد أن « التخليط » (على ما يعتقد وجوده في المعجم) لا يمكن أن « يُنسب » للخليل ، إلى غير ذلك من « التجاذبات »

(١) - استقينا هذه المعلومات من دراسة الدكتور صلاح مهدي الفرطوسي « محاولة جديدة في دراسة كتاب العين » المنشورة في « مجلة المجمع العلمي العراقي » ، صص ٢٤٢ - ٢٦٩ .
ولجدها أيضاً في كتاب آل ياسين المذكور أعلاه وكان الشيخ محمد حسين آل ياسين قد تنبه عند نشره لمقدمة « كتاب العين » لهذه المشكلة ، فشدد في عنوان دراسته على أنه نشر المقدمة « في أرجح نصوصها » ، مجلة « البلاغ » بغداد ، العددان التاسع والعاشر في ١٩٧٧ .

التي أصابت ولا تزال تصيب « كتاب العين » . فما حقيقة الاختلافات هذه ؟

وجدنا ، بعد مراجعة الأجزاء الثمانية من « كتاب العين » المحقق ، والسجل النقدي الدائر حوله قديماً وحديثاً ، أن أصناف الاختلافات ثلاثة :

١ - تبين الروايات المختلفة التي تقع في أساس ما وصلنا من « كتاب العين » .
٢ - تبين حال المادة اللغوية في « كتاب العين » .

٣ - تبين نسبة الكتاب إلى الخليل ، أو الليث ، أو لهما ، أو مع غيرهما .
بدا لنا ضرورياً ، قبل الشروع بمراجعة الكتاب محققاً ، أن نعود إلى النسخ والروايات التي عوّل عليها المحققان العراقيان ، ومقارنتها بما هو معلوم أو متوفر من نسخ وروايات أخرى .

٢ - مراجعة الروايات :

عاد المحققان العراقيان إلى مخطوطات متأخرة ، هي التالية :

- نسخة السيد حسن الصدر ، ويعود تاريخ كتابتها إلى سنة ١٠٥٤ هـ ،

وجعلها المحققان « الأصل » ، « لأنها أقدم النسخ الثلاث وأقلهن خطأ أو تصحيفاً » .

- نسخة طهران وهي موجودة في مكتبة مجلس النواب ، ويعود تاريخ نسخها إلى سنة ١٠٨٧ هـ .

- نسخة مكتبة المتحف في بغداد ، ويعود نسخها إلى سنة ١٣٥٠ هـ .

النسخ « متأخرة » ، كما أسلفنا القول . كما أن نساخها لا يوردون مصادرها التي نقلوا عنها ، فيما عدا إشارة أوردوها ناسخ النسخة الثالثة ، محمد بن الشيخ الطاهر المعروف بالسماوي في النجف ، ويقول فيها: إنه نقل عن « نسخة كثيرة التحريف والتصحيف قاسيت فيها عرق القرية » ، دون أن يعين تاريخها إلا أننا نجد في النص المحقق ما يفيد عن رواية المخطوط : « قال أبو معاذ عبد الله ابن عائذ : حدثني الليث بن المظفر بن نصر بن سيار عن الخليل بجميع ما في هذا الكتاب » (١) . إلا أن الباحث محمد حسين آل ياسين توقف وتبين خمس طرق أخرى وصلت بها رواية « العين » عن الليث ، وهي الطرق التالية :

(١) في كتاب العين ، ص ٤٨/١ .

١ - طريق شمر بن حمدويه
(-٢٥٥هـ الذى رواه عن محارب، عن
الليث) ،

٢ - طريق ابن دستوريه (- ٢٨٥ هـ
الذى أخذه عن حفيد الليث، عن الليث) ،
٣ - طريق أحمد بن فارس
(- ٣٩٥ هـ ، الذى أخذه عن على بن
إبراهيم القطان ، عن أبى العباس أحمد بن
إبراهيم المعداني ، عن أبيه إبراهيم بن
إسحاق ، عن بندار بن لزة الأصفهاني
ومعروف بن حسان ، عن الليث) .

٤ - طريق أبى على الغساني (الذى
أخذه عن الحافظ أبى عمرو بن عبد البر ،
عن عبد الوارث بن سفيان ، عن القاضي
منذر بن سعيد ، عن أبى العباس أحمد بن
محمد بن ولاد النحوى ، عن أبيه ، عن
أبى الحسن على بن مهدي ، عن أبى معاذ
عبد الجبار بن يزيد ، عن الليث) .

٥ - طريق ابن خير الأشبيلي
(- ٥٧٥ هـ ، الذى أخذه عن أبى الحسن
يونس بن محمد بن مغيث ، عن القاضي
أبى عمر أحمد بن محمد بن يحيى بن

الحذاء عن أبى القاسم عبد الوارث بن
سفيان بن جبرون ، عن القاضي منذر بن
سعيد البلوطي ، عن أبى العباس أحمد بن
محمد بن الوليد المعروف بولاد التميمي
النحوى ، عن أبيه محمد بن الوليد ، عن
أبى الحسن على بن مهدي ، عن أبى معاذ
عبد الجبار بن يزيد ، عن الليث) .

وصلتنا، إذن ، من هذه الروايات (١)
الطريق الأولى ، طريق أبى معاذ عبد الله
ابن عائد التى عمل عليها المحققان
العراقيان . ولكن ، ألا نجد ، والحالة هذه
فى المظان مواد عائدة إلى الروايات
الأخرى ؟

وردت فى عدد من المعاجم العربية
القديمة نَقُولُ عِدَّةٌ عن « كتاب العين » ،
كما فى « التهذيب » للأزهري أو فى
« لسان العرب » لابن منظور وفى غيرها ،
وقام المحققان بمقارنة هذه النقول مع
النسخ التى اعتمدوا عليها ، ما عزز الثقة
بطبعتهما المحققة .

هذا ما قمنا به بدورنا ، مع معجم
لم يتناوله المحققان بالمراجعة ، وهو « مقاييس

(١) أفاض الباحث فى تبين سند الرواية فى كتابه الموسوم بـ « الدراسات اللغوية عند العرب » ؛ ص ٢٣٠ ٢٣٤ ،

اللغة « لابن فارس (- ٣٩٥ هـ) .
 ووجدنا أن هذه العودة نافعة ، لأن ابن
 فارس يصرح في بداية معجمه بتعويله على
 نسخة من « كتاب العين » وصلتته عن
 طريقين آخرين ، من الطرق الستة المعروفة
 لـ « العين » ، وهما طريقا بNDAR بن لزة
 ومعروف بن حسان : فأعلاها (أى
 المعاجم العربية) وأشرفها كتاب أبى
 عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، المسمى
 « كتاب العين » أخبرنا به على بن
 إبراهيم القطان ، فيما قرأت عليه ،
 أخبرنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم
 المعداني ، عن أبيه إبراهيم بن إسحاق عن
 بNDAR بن لزة الأصفهاني ، ومعروف بن
 حسان عن السليث ، عن الخليل « (١) .
 أى أن مقارنة مادة « مقاييس اللغة »
 المأخوذة من « كتاب العين » بالمادة الواردة
 فى طبعة « العين » المحققة تمكننا من زيادة
 الوثوق بهذه الطبعة ، وتخفف بالتالى من
 الهوة الزمنية الواقعة بين النسخ « المتأخرة »
 التى اعتمد عليها المحققان العراقيان ،
 ونسخة ابن فارس التى تعود إلى القرن

الهجرى الرابع على الأقل . فما كانت
 الخطة المعتمدة ؟

عدنا إلى المداخل اللفظية فى معجم
 ابن فارس ، مكتفين بمراجعة نقول
 « العين » الواردة فى جزء وحسب من
 أجزائه الستة ، هو الجزء الأول ، وقارناها
 بما يقابلها فى المعجم الخليلي المحقق . فما
 كانت حصيلة المقارنة ؟

يمكننا القول ، فى صورة إجمالية ،
 إن حصيلة المقارنة أتت إيجابية . فغالب
 ما ينقله ابن فارس عن الخليل موجود فى
 « كتاب العين » فى طبعته المحققة .
 ولتبيان ذلك سنقدم بعض الأمثلة :

- ينقل ابن فارس عن الخليل التعريف
 التالى : « الألل والأللان : وجهها السكين
 ووجهها كل عريض » (ص ١٩) ، ونقرأ
 فى « العين » التعريف نفسه : « الألل
 والأللان : وجهها السكين ، ووجهها كل
 شئ عريض » (٣٦٢/٨) .

- نقرأ فى المدخل اللفظى « أم »
 الدلالات التالية المأخوذة من « كتاب العين »
 حسبما يوردها معجم ابن فارس : « قال
 الخليل : كل شئ يُضَمُّ إليه ما سواه مما

(١) « معجم مقاييس اللغة » لابن فارس ، تحقيق : عبد السلام محمد بن هارون ستة مجلدات ، طبعة دار الجليل ،
 بيروت ، ١٩٩١ ، إلا أن تاريخ طبعته الأولى يعود إلى سنة ١٣٦٦ هـ .

يليه فإن العرب تسمى ذلك الشيء أمّا .
ومن ذلك أمّ الرأس وهو الدماغ «
(ص ٢٢) ، وهو ما نقع عليه في كتاب
الخليل : « اعلم أن كل شيء يضمُّ إليه
سائر ما يليه يُسمى ذلك الشيء أمّا . فمن
ذلك : أم الرأس وهو : الدماغ »
(٤٢٦/٨) .

يمكننا أن نعدد الأمثلة ، وهي ترد في
ما يزيد على ٢٠٥ مدخلاً لفظياً في الجزء
الأول من « مقاييس اللغة » ، لكن ابن
فارس لا يورد في بعض الأحيان المادة
المنقولة حسبما نجدتها في طبعة « العين »
المحققة ، إلا بعد أن يجرى عليها في
بعض الأحيان شيئاً من التعديل الصياغى ،
كما نتبين ذلك في هذه الأمثلة :

- يفيد ابن فارس في المدخل اللفظى
« أژ » : « قال الخليل : الأژ حمل الإنسان
الإنسانَ على الأمر برفق واحتيال »
(ص ١٣) ، وهو ما نقع عليه في « العين »
على هذه الصورة : « الأژ : أن تحمله
على أمر برفق واحتيال حتى يفعله كأنه
يزين له » (٣٩٨ / ٧) .

- يفيد ابن فارس أيضاً : « قال
الخليل : الأژ غليان القدر » (ص ١٣-١٤)

وهو ما نجده في « كتاب العين » في القول
التالى : « وآژت القدر أريزاً ، واثرت
اتزازاً » (٨ / ٣٩٨) .

يمكننا أن نعدد الأمثلة ، إذن ، إلا
أنها لا تفيدنا الشيء الكثير ، سوى أن
الاختلافات طفيفة للغاية عما لا يحسب له
أى حساب في طرق التأليف القديمة ،
حيث كان النساخ لا يتأخرون أحياناً عن
استعادة النقول في صورة صياغية مخالفة
بعض الشيء . إلى هذا ، فإن « مقاييس
اللغة » لا يستعيد وحسب المتن التعريفى
لعدد من الألفاظ ، بل الشواهد الشعرية
المتصلة بها في « كتاب العين » .

كما وجدنا في الجزء الأول من
« مقاييس اللغة » معطيات أخرى تؤكد
التشابه (حتى لا نقول التطابق التام) بين
روايته عن « كتاب العين » والرواية
الأخرى المدرجة في طبعة « كتاب العين » .
يؤكد ابن فارس في غير مدخل لفظى
من المجلد الأول أن هذا اللفظ أو ذاك
« مهمل » في « كتاب العين » ، وهو ما
نجدّه مهملًا فعلاً في الطبعة المحققة :

- يفيد « مقاييس اللغة » ، على
سبيل المثال ، في المدخل اللفظى « أبث » :

« وهذا الباب مهمل عند الخليل »
(ص ٣٣)، وهو ما لا نجد له أثراً في طبعة
« كتاب العين » .

- يؤكد ابن فارس : « أما الخليل
فذكر في بنائه (تور) ما ليس من أصله،
وهو استوارت الوحش » (ص ٣٥٧) ،
وهو ما نجده فعلاً في طبعة « العين » :
« استوار (...) الوحش » (٨ / ١٣٤) .

- مثال آخر : « وذكر الخليل كلمة
غيرها أصح منها . قال : التوع كسرُكَ لباً
أو سمناً بكسرة خبز ترفعه بها »
(ص ٣٥٩)، وهو ما نجده في « طبعة
العين » : « التوع : كسرُكَ لباً أو سمناً
بكسرة خبز ترفعه بها » (٢ / ٢٢٦) .

إلى هذا يقع ابن فارس على تعريفات
يوردها على أنها للخليل ، كما ترد في
مخطوطته عن « كتاب العين » . ولكن
يشكك في صحة نسبتها للخليل ، كما في
قوله هذا : « وفي الكتاب المنسوب إلى
الخليل : يقال تركتُ الحبلَ شديداً ، أى
جعلته شديداً . وما أحسب هذا من كلام
الخليل » (ص ٣٤٦) ! بلى ، هو من
كلام الخليل ، حسبما يرد في الطبعة

المحققة : « تقول : تركتُ الحبلَ شديداً،
أى : جعلته » (ص ٥ / ٣٣٦) .

إذا كان العدد الأغلب من نقول ابن
فارس عن نسخة « العين » التى كانت
بحوزته ، نجده في الطبعة المحققة من
معجم الخليل ، فإننا نقع على عدد يسير
منها لا نجد له أثراً في الطبعة المحققة .
وهو عدد يسير فعلاً إذ لا يتجاوز ستة
مداخل لفظية من أصل ٢٠٥ مدخلاً (ما
يوازى ٢,٨ بالمئة من مجموع النقول)

فابن فارس ينسب إلى الخليل أقوالاً
لا نجدها ، أى هى ساقطة ، من الرواية
التى تستند إليها الطبعة المحققة ، وهى
المداخل اللفظية التالية : « أك » (ص ١٨)،
و«أرط» (ص ٨١) ، و«أرث» (ص ٩٣) ،
و« أنت » (ص ١٤٣) ، و« بدح »
(ص ٢١٤ - ٢١٥) ، و« جـj

- سقط من مادة « أم » القول التالى :
« قال الخليل : الأم الواحد والجمع
أمهات ، وربما قالوا أم وأمات . » (٢١) ؛

والقول التالي : « قال الخليل : أمُّ التَّائِفِ
أشدُّها وأبعدُها » (ص ٢٣) .

- سقط من مادة « أبر » في « كتاب
العين » القول التالي الوارد في « مقاييس
اللغة » في ما أخذه من الخليل حسب
قوله : « قال الخليل : المأبر النمائم ،
واخذها مثير . [قال النابغة ، ديوانه ،
ص ٤٠] .

وذلك من قولٍ أتاك أقوله

ومن دَسَّ أعداءٍ إليك المأبرا

ويقال إنه لذو مثير ، إذا كان غمماً .
قال :

ومن يكُ ذا مثيرٍ باللسا

ن يَسْنَحُ به القولُ أو يبرح »

(ص ٣٥) .

- سقط من مادة « أبو » القول
التالي : « قال الخليل : الأبُ معروف ،
والجمع آباء وأبوة . قال :

أحاشى نزار الشام إن نزارها

أبوةً آبائي ومنى عميدها

قال : وتقول : تأيتُ أباً ... »
(ص ٤٤) ؛ ثم يستعيد معجم « مقاييس

اللغة » ما نجده في « كتاب العين »
(٤١٩/٨) .

- سقط في مادة « أمت » القول
التالي : « قال الله تعالى » لا ترى فيها
عوجاً ولا أمتاً » . قال الخليل : العِوَجُ
والأمت بمعنى واحد » (ص ١٣٧) ، وهو
ما نجده ناقصاً في « كتاب العين » (ص
٨ / ١٤١) ، حيث ترد الآية القرآنية
دون الجملة التالية « العوج والأمت بمعنى
واحد » ، غير أن معناها وارد في « كتاب
العين » : « والأمت : أن تصب في السقاء
ماءً فلا تملؤه فيتنشئ ، وذلك الشئ هو
الأمت ، وإذا ملئ وتمدد فلا أمت فيه »
(١٤١/٨) .

- سقط من المدخل اللفظي « أنف »
القول التالي : « قال الخليل : أنف اللحية
طرفها ، وأنف كل شيء أوله » (ص ١٤٧) ،
ولا يرد في مادة « كتاب العين »
(٣٧٧-٣٧٨) ، إذ سقط منه الجزء
الأول من التعريف وحسب ، أي : « أنف
اللحية طرفها » .

- سقط من مادة « أي » القول التالي :
« قال الخليل : خرج القومُ بأيّتهم أي
بجماعتهم » (ص ١٦٨) الذي لا نجده في
« كتاب العين » .

- سقط من المدخل اللفظي « بعو »
القول التالي : « قال الخليل : هو (أى
البعو) العارية ، يقال استبعتُ منه ، أى
استعرت . وقال أيضاً : البَعُو القَمَرُ ، يقال
بعوته بعواً : أى أصبتُ منه وقمرته . قال :
صحا القلبُ بعد الإلفِ وارتدَّ شأوه

وردتُ عليه ما بَعَثَهُ ثُمَا ضِرُّ

(ص ٢٢٦) ، مالا نجده فى «كتاب
العين» (٢ / ٢٦٥) .

كيف جرى الأمر ؟ أهى هفوات
الناسخين المعروفة ؟ ربما ، ولاسيما أن
العدد محدود بالمقارنة مع عدد عمليات
الأخذ الواردة فى مواد ٢٠٥ مدخلاً
لفظياً . ولعلنا نجد هفوات الناسخين فى
هذا الأمر أيضاً : وهو أننا نقع على مواد
«أول» فى «مقاييس اللغة» فى مدخلين
لفظيين فى «كتاب العين» : «إيل»
(٨ / ٣٥٨) و «أول» (٨ / ٣٦٨) .

الفروقات محدودة فى نهاية المطاف ،
بين الرواية عن «كتاب العين» التى أخذها
ابن فارس فى معجمه «مقاييس اللغة»
عن طريق بندر بن لزة ومعروف

ابن حسان ، وبين رواية أبى معاذ عبد الله
التي تعود إليها الطبعة المحققة من «كتاب
العين» . كما يمكننا أن نزيد على هذه
المقارنة سنداً قوياً ، هو فى أساس ما قام
به المحققان العراقيان ، وأدى إلى عودتهما
المستديمة عند تحقيق الكتاب إلى نقول
المعاجم الأخرى عن «العين» . فلا يخلو
مدخل لفظى فى الطبعة المحققة من
إحالات ومقابلات مع مواد «تهذيب
اللغة» أو «لسان العرب» أو غيرهما ،
وهى معاجم أخذت رواية «العين» عن
طرق أخرى .

نخلص من هذه المقارنة إلى الاستنتاج
التالى : فى الحد الأدنى تكون الرواية
(أو النسخة) واحدة بين ما وصل إلى ابن
فارس ونسخ المحققين المتأخرة ، ما يسد
ثغرة فى هذه الفترة الزمنية الطويلة ،
وفى الحد الأعلى قد تكونان روايتين
(أو نسختين) مختلفتين بما يسد الفترة
الزمنية من جهة وما يعزز وثوقنا فى النص
نفسه . إن مجموع هذه التحقيقات أدت بنا
إلى الاقتناع التالى : إن الطبعة المحققة
توافق ، على الرغم من بعض السقطات

المحدودة والتعديلات الصياغية الطفيفة ،
عدداً واسعاً من الروايات القديمة ،
والتي تعود في الأكيد منها ، إلى ما قبل
سنة ٢٤٨ هـ .

يبقى أن نضيف ملاحظة على الطبعة
المحققة ، وهي التالية : إن عودة المحققين
العراقيين إلى بعض المعاجم ساعدتهما في
تحقيق طبعتهما وفي عزو الأبيات الشعرية
إلى أصحابها ، ولكن دون أن يعودا
في صورة تامة إلى « مقاييس اللغة » .
ولو فعلاً ذلك لوجدنا من المعطيات ما عزز
طبعتهما المحققة ، وما مكنهما أيضاً من
نسبة بعض الأبيات الشعرية إلى مؤلفيها .
فالمحققان يوردان بعض الشواهد الشعرية
دون هوية قائلها ، التي لم يقعوا
عليها في النسخ التي اعتمدا عليها ، ولا
في المعاجم الأخرى التي عادا إليها ، فيما
وقعنا على عدد من الأبيات المنسوبة في
« مقاييس اللغة » والواردة في طبعة « العين »
دون عزو . وهي الأبيات التالية :

- في المدخل اللفظي « ألك »
(ص ١٣٢) ، في معرض الأخذ من كتاب
الخليل ، يرد الشاهد الشعري التالي للنابعة
وهو دون عزو في طبعة « العين » :

أَلْكُنِي يَا عَيْنُ إِلَيْكَ قَوْلًا

ستحملهُ الرُّوَاةُ إِلَيْكَ عَنِّي

(من قصيدة له في ديوانه ، ص ٧٨
من خمسة دواوين العرب) .

- وفي المدخل اللفظي « أنى »
(ص ١٤١) يرد الأمر نفسه ، لا بل
يرد البيت في صورة غير تامة ، وهو
للکمیت، حسبما يؤكد محقق كتاب
«مقاييس اللغة» ، وهو البيت التالي :

قَفْ بِالْدِيَارِ وَقُوفَ زَائِرٍ

وَتَأَنَّ إِنَّكَ غَيْرُ صَاغِرٍ

ويُروى وتَأَنَّ (ويمكن العودة إلى
بعض أبيات هذه القصيدة في « الأغاني » .
١٥ : ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤) .

- وفي المدخل اللفظي « أنث »
(ص ٨ / ٢٤٤) يورد المحققان العراقيان
بيتاً ، بل يكملانه تبعاً لوروده في
« التهذيب » وفي « لسان العرب » ، ويعزوانه
لذي الرمة ، إلا أن محقق « مقاييس
اللغة » يذهب مذهباً آخر (ص ١٤٤) ،
وهو أن البيت للفرزدق ، وأنه يشبه في
جزء منه وحسب بيت ذي الرمة ، ويورد
البيت الصحيح :

وكنّا إذا الجبارُ صَعَرَ خَدَهُ

ضربناه تحت الأُنثَيْنِ على الكَرْدِ

(البيت في « ديوان الفرزدق » ،
ص ٢١٠) .

- هذا ما نقع عليه أيضاً في مادة
« أم » في « كتاب العين » ، (٤٢٥ / ٨) ،
إذ يوردان بيتاً لأبى ذؤيب من دون عزوه ،
في حين توصل إلى ذلك محقق « مقاييس
اللغة » (ص ١٦٦) ، وهو في ديوان
أبى ذؤيب ، والبيت هو التالي :

فلما اجتلاها بالإيام ^(١) تحيزت

ثُبَاتٍ عليها ذُلُّها واكتئابُها

وغير ذلك أيضاً من الشواهد الشعرية

٣ - حجج الشك في « كتاب العين » :

عاجلنا فيما سبق الروايات القديمة

لـ « كتاب العين » بالمقارنة مع الطبعة

المحققة ، وتبيننا التوافق بينها . أى أننا

عملنا للتحقق من التطابق (ولو مع بعض

التعديلات الصياغية أو السقطات القليلة)

بين المخطوطات « المتأخرة » التي

اعتمد عليها المحققان والنبذات النواردة

(١) الإيام (بكسر الهمزة) : الدخان .

عن « العين » (وعن روايات أخرى)

في مصادر قديمة إلا أن عملنا - على

ضرورته - لا يجيب ، ولا يتعرض

لأساس المشكلة ، وهو التالي : قام غير

عالم من علماء العربية ، بعد اطلاعهم

على الروايات التي أشرنا إليها ، بنقد

عدد من المواد المدرجة فيها ، نافين نسبتها

إلى الخليل . فما هذه الملاحظات ؟

يمكننا أن نتحدث عن ثلاثة أنواع من

الملاحظات :

١ - ورود نقول في « العين » عن

رجال بعضهم من تلاميذ الخليل ، أو من

الأعراب الذين ما عرفوا في البصرة ، بل

في خراسان .

٢ - ورود اجتهدات في النحو

لا تناسب عقلية وأحكام مدرسة البصرة ،

بل أهل الكوفة .

٣ - « تخليط » الشراح والنساخ

في مواد « العين » .

إذا كان بعض هؤلاء العلماء تحدث

عن « تخليط » في الكتاب ، فإننا

لا نستطيع معرفة هذا التخليط في صورة .

حصرية ، بل تقديرية وحسب . وتناولوا

فى ملاحظاتهم هذه على الأرجح الإشارة إلى الزيادات التى يضيفها الشراح والنساخ على متن نسخهم ، والتى لا تلبث أن تُزاد على المتن الأصلي مع تقادم الوقت . وهى حالات معروفة فى عدد من الكتب العربية القديمة (١) . ويسوق الدكتور عبد الحميد الشلقانى ، فى معرض دراسته لمعجم الخليل ، تفسيراً مقنعاً لهذه الظاهرة ، وهو أن عدداً من الوراقين كانوا يجنحون إلى هذه الزيادات « رغبةً فى إضافة ما يروونه مفيداً إلى صلب الكتاب ، ومعجم كالعين كان يقبل الإضافة إلى مادة من مواده دون أن يؤثر ذلك فيما قبل هذه المادة أو بعدها ، فإذا أعيد نسخ الكتاب ضمت هذه الشروح والتعليقات عليه » (٢) . التفسير مقنع ، ولكن هل أصابت « كتاب العين » هذه الزيادات ؟

الإجابة ممكنة إذا توصلنا إلى الرد على السؤالين الأولين ، أى معرفة ما إذا كانت

هناك زيادات تعود فعلاً لرجال غير متوقعين فى « كتاب العين » أو لآراء مناقضة لما قاله الخليل ، أو لاحقة على عصره .

وكان أبو بكر الزبيدى (- ٣٧٩ هـ) هو الذى دفع إلى النقاش هاتين المسألتين (٣) ، مستنكراً وجود نقول فى « كتاب العين » عن الأصمعى (- ٢١٣ هـ) وأبى عبيد (- ٢٢٤ هـ) ، وابن الأعرابى (- ٣٢١ هـ) وغيرهم ، ممن أخذوا العلم عن الخليل أو كانوا شباباً عند وفاته . كما استغرب عدد من الباحثين المحدثين - بعد عمل الأب الكرملى على الجزء الأول من « كتاب العين » ، أو بعد نشر الدكتور درويش للجزء الأول أيضاً - ورود نقول عن سيبويه ، وهو تلميذ الخليل ، أو عن أبى سعيد والضيرير وابن أحمد وعرام وزائدة ومبتكر وحماس « ممن لا يعرف لهم ذكر فى البصرة » ، بحسب عبارة الدكتور

(١) مثل كتاب « النوادر » لأبى زيد الأنصارى الذى يتضمن زيادات تربو على النصف من مادته ، وتعود لرجال عاشوا بعده ، أو مثل كتاب « النوادر » للأصمعى الذى أنكر أكثر من ثلثه ، بعد أن وقعت بين يديه نسخة منه ، على ما ورد خبره فى « تهذيب اللغة » ، ص ٥/١ .

(٢) فى « رواية اللغة » ، دار المعارف القاهرة ١٩٧١ .

(٣) وردت الأخبار عن هذه الملاحظات فى مقدمة « مختصر العين » ، وفى الزهر « ص ٤٢/١ - ٤٣ .

الشلقاني ، إذا كان بعض المحدثين (مثل الكرملي والشلقاني وغيرهما « استغرب وجود هذه النقول فإن غيرهم (مثل الباحث محمد آل ياسين وغيره) ردَّ على هذه الانتقادات . ويمكننا القول بأن هذه الشكوك أفادت الكتاب ، إذ بادر غير عالم قديم وغير باحث مسحدث إلى إجراء مزيد من « التحقيقات » حول نسبة الكتاب ، لا تتوقف على الأخبار ، سواء أكانت أكيدة أم مختلقة ، بل على مقابلة النصوص بالنصوص .

لن نستعيد حجج القدماء والمحدثين ، فهي معروفة ^(١) . فلنأخذ نقتصر ، مع القدماء ، إلى نصوصهم البينة والتفصيلية في هذا الخلاف . أما ملاحظات المحدثين فهي تتصل بعمل الكرملي

ودرويش ، أي بجزء وحسب من « كتاب العين » . لا في مجموعته كما انتهى إلينا في الطبعة المحققة الكاملة . وقد بدا لنا مفيداً ، بل ضرورياً والحالة هذه ، أن نعود إلى مجموع « كتاب العين » لتبين الأصول اللغوية التي عاد إليها ، أو النقول التي أخذ بها ، أو التعليقات اللغوية التي أوردها ، لكي نتحقق في صورة واقية من حقيقة الشكوك اللغوية التي أصابت « كتاب العين » .

لن نكتفي بتبين الأصول أو التعليقات اللغوية ، بل سنتعدى ذلك لتتناول أيضاً المادة الخبرية الواردة في « كتاب العين » عن أمور وميادين تخص علم التنجيم أو أيام العرب وغيرها مما يدل عن « الزمنية المعرفية » لإنتاج المعجم . فما الزمنية المعرفية هذه ؟

(١) نكتفي في هذه الملاحظة بإيراد عدد من الكتابات الحديثة عن « الشكوك » في « كتاب العين » : مقالان للأب أنستاس ماري الكرملي في الجزء الثاني من المجلد الرابع من مجلة « لغة العرب » ، وقس العدد السابع والثلاثين من « مجلة الثقافة » أربع مقالات للباحث يوسف العش بعنوان « أولية تدوين المعاجم وتاريخ كتاب العين المروي عن الخليل بن أحمد » في « مجلة المجمع العلمي العربي » في سنة ١٩٤١ ؛ نشر الدكتور عبد الله درويش ، قبل إصداره الجزء الأول من المعجم . كتاباً بعنوان المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم العين للخليل بن أحمد « عن مطبعة الرسالة في سنة ١٩٥٦ ؛ وتضمن كتاب الدكتور حسين نصار « المعجم العربي نشأته وتطوره » معالجات واسعة عن « كتاب العين » في سنة ١٩٥٦ ، طبعة دار الكتاب العربي ، كما نشر دراسة بعنوان « دراسة في كتاب العين للخليل بن أحمد » في مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد ، العدد العاشر في سنة ١٩٦٧ ؛ « رواية اللغة » للدكتور عبد الحميد الشلقاني ، ص ١١١ - ١٣٢ ؛ « الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث » لمحمد حسين آل ياسين ص ٢٣٠ - ٢٥٩ وغيرها .

ونحن لم تقع على دراسة خاصة بالطبعة المحققة الكاملة من « كتاب العين » غير التي وضعها الدكتور صلاح مهدي القرطوسي بعنوان « محاولة جديدة في دراسة كتاب العين » ، مجلة المجمع العلمي العراقي جزء أول ، مجلد ٣٨ ص ٢٤٢ - ٢٦٩ .

يحفل « كتاب العين » بمادة غزيرة تعين :

٤ - أصول « العين » اللغوية

١ - المصادر اللغوية التي استقى منها

يشتمل « كتاب العين » على مادة

الخليل (أو غيره) مادة الكتاب .

لغوية غنية ، يمكن اعتبارها العملية

٢ - المصادر الأدبية والدينية والعلمية

« الأولى » و « الأوسع » في جمع اللغة

والإخبارية التي نهل منها .

العربية منذ القرن الثاني الهجري ، فبعد أن

إلى غير ذلك من المصادر التي تصل

اقتصر الأمر ، مع أبي عمرو بن العلاء

المعجم بزمان ما ، والتي تحده في نهاية

وقبله ، على جمع ألفاظ « نادرة » أو غير

المطاف .

معروفة ، أو على جمع ألفاظ في موضوع

هي تحده بقدر ما تحده ، أي تعين

بعينه ، قام مشروع « كتاب العين » على

الأفق المعرفي لـ « كتاب العين » . فنحن

جمع ألفاظ العرب ، فلا « يخرج عنها

نقوى ، عند مطالعة هذه النبذات ذات

شيء » إلا أن عملية الجمع هذه لم تكتف

الحمولات « الإبلاغية » من عزوها

بالجمع الدلالي ، بل تعدته إلى رصد

(أو عدم عزوها) إلى عصر الخليل ، في

أحوال العربية تبعاً لـ « لغاتها » أي لألسنة

صورة قد لا تكون قاطعة في كل

القبائل في الجزيرة العربية . يحفل المعجم

الأحوال ، إلا أنها لا تخلو - حتى مع

بمادة واسعة عن « اللغات » قلما

النبذات الصعبة - من احتمالات الترجيح

وقعنا عليها في أي معجم (١) ، لا بل في

والتحقيق .

التأليف اللغوية في هذا العهد . بدا لنا

(١) نبذات من « لغات » القبائل في « كتاب العين » :

« غير أن العامة قد لهجوا بالخطأ : يقولون : فلان أدى للأمانة ، وهذا في النحو غير جائز » (٨/٩٨) ؛ « الفائور

عند العامة الطست خان ، وأهل الشام يتخذون خواناً من رخام يسمونها الفائور وفي بعض كلام أهل الشام ، والجزيرة :

على الفائور الواحد يعني على البساط الواحد والفواثير : الجواسيس ، الواحد فائور في كلام أرمينية » (٨/٢٢١) ؛ « و

فعليل لغة لسفلى مضر : نعيم وبئيس يكسرون الفاء في فعليل إذا كان الحرف الثاني منه من حروف الحلق الستة ، وبلغتهم

كُسر الضئين ورئيس ودهين ، وأما من كسر كثير ، وأشباه ذلك من غير حروف الحلق فإنهم ناس من أهل اليمن ، وأهل

الشحر يكسرون كل فعليل وهو قبيح إلا في الحروف الستة ، وفيها أيضاً يكسرون صدر كل فعليل يجيء على بناء عمل نحو

قولك : شهد وسعد » (٧/٣١٧) : « الجنبيخ » تعني : في لغة مضر « الضخم » ، وفي لغة أهل السواد « الخابية

الصغيرة » ، وفي لغة أهل اليمن « القملة الضخمة » (٤/٣٢٨) .

- ربيعة « الكشكشة : لغة لربيعة ، يقولون عند كاف التأنيث : عليكش ، إليكش ، بكش بزيادة شين »

(٥/٢٦٩) ؛ « ربيعة تغلط فتقول : الذكر للذكر » (٥/٣٢٧) ؛ ٩١/١ وغيرها .

= - عبادية حيرية : ٤١/٥ ؛

- تغلب : القشمة « فى لغتهم (٤٧/٥) ؛

- بنى الحارث : ٥٨/٣ ؛

- طيء : « ولغة طيء هذه رجلة وهذا رجل » (١٠١/٦) ؛ (١٣٧/١) ؛ (٣١٤/٣) ؛

- تميم : « العرجلة ... بلغة تميم العرجلة » (٣٢٠/٢) ؛ « لغة تميم : شهيد بكسر الشين ، يكسرون فعلاً فى كل شىء كان ثمانية أحد حروف الحلق وكذلك : سُفلى مُصَّر » (٣٩٨/٣) ؛ « فأما تميم فإنهم يجعلون ألف كل أن وأن منصوبة من المشقل والمخفف » (٣٩٨/٨) ؛ « نكل تيمية ، ونكل حجازية » (٣٧١/٥) ؛ « الكلمة : لغة حجازية ، والكلمة : تيمية » (٣٧٨/٥) ؛ « أهل الحجاز يسمون فساطيط عمالهم : الأجواف » (١٨٩/٦) ؛ « الأصاتم جماعة الأصطمة بلغة تميم ، جمعوها بالتاء على هذه اللغة لأنهم كرهوا التفضيم « أصاطم » فردوا الطاء إلى التاء » (١٠٧/٧) ؛ « الدورية : مفارقة لمساء بلغة تميم ، ودأوية لأهل الحجاز بلغتهم » (٩٢/٨) ؛ « الأيد : القوة ، وبلغة تميم الأد » (٩٧/٨) ؛ « الود : الودد بلغة تميم ، فإذا صغروها ردوا التاء فقالوا وتيد » (١٠٠/٨) ؛ « الرينة تيمية ، والتملة حجازية ، وهما صوفة الهناء » ١٨٣/٨ ؛ ٩٦/٤ ، ١٩٢/٤ ، ٢٥٥/٤ ، ١٩٤/٥ وغيرها .

- تهامة : « ... وفيت بعهدك ، ولغة أهل تهامة : أوفيت » (٤٠٩/٨) ؛

- هذيل : « القمعل : القدح الضخم بلغة هذيل » (٣٠٠/٢) « الكرهاء : أعلى النقرة بلغة هذيل » (٣٧٦/٣) « سحابة خلوج : متفرقة بلغة هذيل » (١٦١/٤) ؛ « الحموش : البعوض » (١٧٤/٤) ؛ « القتر سهام صغار هذلية » (١٢٥/٥) ؛ « تقول هذيل : غنح على شنج أى رجل على جملي » (٣٧/٦) ؛ « الجرد : ثوب خلج ، لغة هذيل » (٧٧/٦) ؛ « الفريج : البارء هذلية » (١١٠/٦) ؛ « وكلام نسيب أى : خفى ، هذلية » (٢٧٠/٧) وهذيل تقول : لده عن كذا أى حبسه (٩/٨) « ريد السيف : فرنده هذلية » (٣٠/٨) ؛ « تقول هذيل : ادريت الصيد أى ختلته » (٦١/٨) ؛ « الذبر ، بلغة هذيل خفية يذبرها ذبراً » (١٨٢/٨) ؛ « والرابة : خرقه تجعل فيها القداح ، هذلية » (٢٥٩/٨) ؛ « كتاب منمل : مكتوب ، هذلية » (٣٣٠/٨) ؛ (٩٢/١) ، (٢٢٣/١) ، (٢٣٢/١) ؛ (٣٠٩/١) وغيرها .

- المدينة : « الزاوق : الزئبق لأهل المدينة » (١٩١/٥) ؛ « الفقيه يفتى أى يبين المسهم ، ويقال : الفتيا فيه كذا ، وأهل المدينة يقولون : الفتوى » (١٣٧/٨) ؛ (١٠٣/٣) ، (٧٧/٤) ، (٧٧/٤) ؛

- الجزيرة : ٩٦/٤ وغيرها .

أهل الغور : الزرجون بلغة أهل الطائف وأهل الغور : قضبان الكرم « (٦٣/٦ وفى ٢٠٢/٦) ؛ « الثفاء : الخردل ، بلغة أهل الغور » (٢٤٦/٨) ؛ ٧٨/٤ وغيرها .

- الحجاز : « نكل تيمية ، ونكل حجازية » (٣٧١/٥) ؛ « الكلمة : لغة حجازية ، والكلمة : تيمية » (٣٧٨/٥) ؛ « الشمس : فاكهة ، وأهل الحجاز يسمون الإجاوص مشمشاً » (٢٢٥/٦) ؛ « أهل الحجاز يشبثون الياء والواو فى نحو صيد وعور ، وغيرهم يقول : صَادَ يَصَادُ وعَارَ يِعَارُ » (١٤٤/٧) ؛ « الدورية : مفارقة لمساء بلغة تميم ، ودأوية لأهل الحجاز بلغتهم » (٩٢/٨) ؛ « وناس من أهل الحجاز يفتحون ما كان من نحو « دَو » ويقولون : رجل دوى وامرأة دوى سواء ، لأنه تحويل » (٩٢/٨) ؛ « فأما أهل الحجاز فيكسرون الظاء على كسرة اللام التى ألقيت ، فيقولون ظِلْنَا وظِلْتُمْ ، والمصدر الظلول ... وتميم تقول : ظَلْتُ » (١٤٩/٨) ؛ ١٠٣/٤ ، ٢٢٥/٤ وغيرها .

- سُفلى مضر : ٢٤٥/٤ ، « الجنبخ : الضخم بلغة مضر » (٣٢٨/٤) ؛ « ولغة أهل الحجاز فَضِلَ يَفْضُلُ » (٤٤/٧) (٣٧/٣) ، (٤٠/٤) وغيرها .

- مكة : « البطة : الدبة فى لغة مكة » (٤٠٨/٧) وغيرها .

- بنى سعد : « هَلُمَّ : ... التانيث والتذكير فيه سواء ، إلا فى لغة بنى سعد فإنهم يحملونه على تصريف الفعل فيقولون : هَلُمَّا وهَلُمُّوا ونحو ذلك » (٥٦/٤) وغيرها .

- الكوفة : « الكبر : طبل له وجه بلغة أهل الكوفة » (٣٦١/٥) ؛ « الدرينة : الأخمق بلغة ناس من أهل الكوفة » (٢١/٨) وغيرها .

- اليمن : ١٦٣/١ ؛ « القشعر : القناء بلغة أهل الجوف من اليمن » (٢٨٧/٢) ؛ « القنفة : الفرقة وهى الأست بلغة يمانية » (٣٠٢/٢) ؛ « العنكبوت بلغة أهل اليمن العنكوة والعنكباه » (٣٠٩/٢) ؛ « الفقة : الراحة بلغة اليمن » (٥٢/٣) ؛ و « القحبة : المرأة بلغة اليمن » (٥٣/٣) ؛ « الكحب : البروق بلغة اليمن » (٦٥/٣) ؛ « الجنبخ : القملة الضخمة بلغة اليمن » (٣٢٨/٤) . « الزقد كلمة يمانية » (٨٨/٥) ؛ « بزقوا الأرض أى بذروها ، وهى يمانية » (٩٣/٥) « القلوب : الذئب ، يمانية » (١٧١/٥) ، « القرية لغة يمانية » (٢١٢/٥) ؛ « المقول : لغة اليمن » (٢١٢/٥) =

= الكُلوة : لغة في الكُلَّة لأهل اليمن « (٤٠٥/٥) » ؛ « الجَرِين : موضعُ اليبدر بلغة اليمن « (١٠٤/٦) » ؛ « الشرناف « (٣٠٢/٦) » ؛ « المُضَد : لغة في اضْمَد ، في بابه ، يمانية ، من المقلوب « (٢٤/٧) » ، « لأن العرب في بعض لغاتها يكسرون الفاء في كل موضع عينه حرف من حروف الحلق نحو الضَّئِن والْبَعِير والشَّهيد ، وناس من أهل اليمن بما يلي الشَّحَر وعُمان يكسرون « فاء « فعيل كله فيقولون : للكثير « كثير « (١٧٥/٧) » ؛ « الزَّب : اللحية ... وزب الصبي : معروف ، وهو ذَكَرُه بلغة أهل اليمن « (٣٥٣/٧) » ؛ « المنزَم : السن بلغة أهل اليمن « (٣٧٦/٧) » ؛ « الدَّظ : الشَّل بلغة أهل اليمن « (٥/٨) » ؛ « البُرت : الفأس بلغة اليمن ، والبُرت بلغتهم السَّكْر الطَّبْرُود « (١١٨/٨) » ؛ « التَّلَم : مَشَقُّ الكِرَاب في الأرض بلغة اليمن « (١٢٦/٨) » ؛ وأهل اليمن يقولون : وآتيتُ وواسيتُ وواكلتُ ونحو ذلك ، ووامرتُ من أمرتُ ، وإنما يجعلونها واءاً على تخفيف الهمزة في يؤاكل ويؤامر ونحو ذلك « (١٤٧/٨) » ؛ « اليَنَم ، بلغة اليمن : نظير البركة « (٣٨٨/٨) » وغيرها .

- الحميرية : العُكُوم الحمار بالحميرية « (٣٠٥/٢) » ؛ « الحَجَمَة : العين بلغة حمير « (٨٨/٣) » ؛ كل جارية هَيَّخَة « (٣٥٩/٣) » ؛ « الشُّخاف : اللَّبَن بالحميرية « (١٧٢/٤) » ؛ « الحَمِيت : اسم السمين « (٢٤٢/٤) » ؛ « القباية : المفازة بلغة حمير « (٢٢٩/٥) » ؛ « الشُّتْرَة : الإصبع بالحميرية « (٣٠١/٦) » ؛ « المَبْلَت بلغة حمير : المهزُّ المضمون « (١٢٥/٨) » ؛ « وفي لغة حمير : ثَب معناها : اقعد ، والثواب : الفِراش بلغتهم « (٢٤٧/٨) » ؛ « البِل : المُباح بلغة حمير « (٣١٩/٨) » ٢٣٤/٣ وغيرها .

- عن الخفجيين : ٢٠٦/١ ،

- عن العراق : « الشَّشَقلة : كلمة حميرية عبادية لهج بها صيارفة العراق في تعبير الدينار « (٢٤٥/٥) » ؛ « البرنكان : كساء أسود بلغة العراق « (٤٣٢/٥) » ؛ « الإمتاج والإستيج من كلام أهل العراق « (٤٩/٦) » ؛ « النشوط : كلمة عراقية ، وهو سمك يُمَقَّر في ماء وملح « (٢٣٨/٦) » ؛ « والداجن كلام عراقي ليس من كلام البادية « (٢٤٣/٦) » ؛ « البراني بلغة أهل العراق : الدِّيكة الصغار أول ما تدرك ، الواحدة : بَرْنِيَة « (٢٧٠/٨) » ؛ « ٣٥٥/١ ؛ ٣٣٨/١ ؛ ٣٩/٣ وغيرها .

- السواد : « الجُنْبُخ : الخنايية الصغيرة بلغة أهل السواد « (٣٢٨/٤) » ؛ « الكُسْبُج : الكُسْب في لغة أهل السواد « (٤٢٤/٥) » ؛ « الشَّيْلَم والشَّالَم ، بلغة أهل السواد : الزَّوان ، يكون في البر « (٢٦٥/٦) » ؛ ٢١٧/٦ وغيرها .
- البصرة : « وأهل البصرة في أسواقهم يسمون الساقى الذى يطوف عليهم بالماء : بَيَّاباً « (٤١٥/٨) » ؛ « الخلال : البلح بلغة أهل البصرة « (١٤١/٤) » ؛ ٤٤/٣ ؛ ٣٨٥/٣ ؛ ٢٥٥/٤ ؛ ٤١١/٥ ؛ ٢٨٦/٦ وغيرها .
- أهل الشام « الأندر : اليبدر في لغة أهل الشام « (٢٢/٨) » وغيرها .

- حمص : « وبعض أهل الشام يثقله (القربوس) وهو خطأ « (٢٥٢/٥) » ؛ ٢٢/٣ وغيرها .

- الجوف : « شَلَطُ السكين بلغة أهل الجوف « (٢٣٦/٦) » ؛ ٣٠٧/٣ وغيرها .

- عُمان : « الهَيْس : أداة الفدان بلغة عُمان « (٧٢/٤) » ؛ « البَزْخ : الجوف بلغة عُمان « (٢١١/٤) » ؛ « البرخ : الرخيص » ؛ ويشرح ملابسات الشراء في أسواق عُمان « (٢٥٦/٤) » ؛ « الوَيْج : خشبة الفدان بلغة عُمان « (١٩٧/٦) » وغيرها .

- لغة الأنباط : « قوم ينزلون سواد العراق « (٤٣٩/٧) » ؛ « قوله : لا دهل ، أى لا تخف بالنبطية » ، و « القمل » : الجمل « (٩٦/٢) » ؛ « العَسْطُوس من رؤوس النصارى « بالنبطية « (٣٢٧/٢) » ؛ « الهَيُّور : الشعر النابت بالنبطية « (٤٧/٤) » ١٥٦/٤ وغيرها .

- القبطية : « البَّهَار - قبطية - : ثلاث مئة رطل « (٤٨/٤) » وغيرها .

- مصر : « هَيْت » من كلامهم « (٨١/٤) » ، « الوَهين » أى مساعد الأجير في العمل ، فى كلامهم « (٩٣/٤) » ؛ « الفقوس : البطيخ ، بلغة مصر : الذى لم ينضج « (٦٧/٥) » ؛ « القيطون : المُخدع فى لغة البربر ومصر « (١٠٣/٥) » وغيرها .

- قصة عن اختلاف معنى « راعنا » بين المسلمين (أى : أجعل علينا سمعك) ، وبين اليهود (أى ، وهو عندهم شتم) ص ١١٩ ؛ « هيا شراھيا ، بالعبرانية : يا حى يا قيوم « (٤٠١/٣) » ؛ « الهَيُول : الهباء المنبث بالعبرانية ، ويقال : بالرومية ، وهو الذى تراه من ضوء الشمس فى البيت « (٨٩/٤) » ؛ « المَرْجَبَة المقلاع بالعبرانية « (١١٤/٦) » ؛ « تشرين : اسم شهر من شهور الخريف بالرومية « (٢٤٥/٦) » ؛ « النَّطَّاسى والنَّطِيس : العالم بالطب ، وهو بالرومية النسطاس ، وما أنطسه « (٢١٥/٧) » وغيرها .

مفيداً التوقف أمام هذه المادة اللغوية المتصلة
بـ « لغات القبائل » لعرضها من جهة ،
ولتبين صلتها بما عرف من جمع الخليل
للغة في البوادي العربية من جهة أخرى .

٤ - (أ) « لغات » القبائل

فى غير مادة فى المعجم نفع على
تعريفات تبين لنا الاختلافات فى نطق هذا
اللفظ أو ذاك ، أو فى تعيين دلالة ، بين
قبيلة وأخرى . فـ « الفاثور » يتخذ ، على
سبيل المثال ، غير دلالة بمجرد أن ننتقل من
منطقة لغوية إلى أخرى : فهو يعنى « عند
العامة » (عامة البصرة على الأرجح)
« الطست خان » ، وعند أهل الشام
« خواناً من رخام » وعند أهل الجزيرة
« البساط » وعند أهل أرمينية « الجاسوس »
لا أقل من أربع دلالات مختلفة ، بل

متباينة ، للفظ واحد ! هذا ما نفع عليه
فى ألفاظ أخرى مثل « الجُنْبُخ » ،
التي تعنى « الضخم » فى لغة مضر ،
و « الخاية الصغيرة » فى لغة أهل السواد ،
و « القملة الضخمة » فى لغة أهل اليمن .
يمكننا أن نعدد الأمثلة ، وهى تقدم لنا
عينات واسعة مما جملعه الخليل ودرسه من
لغات القبائل ، لا سيما فى الحجاز ول نجد
وتهامة ، فالخليل يجمع الألفاظ ويوردها
دون أن يعلمها أحياناً . ذلك أنه « سمعها »
وحسب أو « بَلَّغَتْهُ » ، وفق ما يصرح فى
غير مادة لفظية . وتفيدنا هذه المواد فى
تبين عدد من خواص لغات القبائل ، فى
مبانيها وتراكيبها النحوية والصوتية
والدالية . فالخليل يميز بين لغة الأعراب
فى البادية ولغة « العامة » أو « الأمصار » ،

= - الفارسية : «دهليز : إعراب دليج ، فارسية » (١٢٣/٤) ؛ المهندس « مشتق من الهندرة ، فارسي صيرت الزاي
سيناً » (١٢٠/٤) ؛ « السُّخْتِيت : كلمة يُقال : هى فارسية اشتقها رؤية من « سخت » ، فقال « ديوانه ، ص ٢٦ » .

هل يُنجينى حَلَفٌ سَخْتِيتُ . أو فضة أو ذهبٌ كَبِيتُ » (١٩٤/٤) ؛

« طرخان اسم رجل بلغة خراسان » (٢١٦/٤) ؛ اليارجان ، كانه فارسي « (١٧٤/٦) ؛ « الجُوم : كانه فارسية »
(١٩٥/٦) ؛ « الفُيج اشتق من الفارسية ، وهو رسول السلطان على رجليه » (١٨٩/٦) ؛ « والنسرين من الرياحين ترجمة
الفارسية » (٢٤٣/٧) ؛ « الثَّين : نجم من نجوم السحاب وليس بكوكب ولكنه بياض خفى يكون جسده فى شبيه من الماء
وذنبه دقيق أسود فيه التواء يكون فى البرج السابع من رأسه ، وهو يتنقل كتتنقل الكواكب الجوارى ، واسمه بالفارسية
« هُشت أبير » فى حساب النجوم ، وهو من النحوس » (١٠٨/٨) وغيرها .

- السريانية : « القَنْدَعُ والقَنْدَعُ ، بالفتح والضم : الديوث وأظنها بالسريانية » (٢٩٦/٢) ؛ « مَتَّى وهى بلغة
السريانية مَتَّى » (١١٢/٨) وغيرها .

- الحبشية : « طه » فى الحبشية تعنى « يا رجل » (٣٤٧/٣) .

- إفريقية : « الزقوم » يعنى الزيد والتمر فى لغتهم (٩٤/٥) وغيرها .

لاسيما في البصرة ، ويعدُّ الناطق الذي
« يترك عنسنة تميم وكشكشة ربيعة » من
« الفصحاء » . كما يقارن بين « اللغات »
عامية : فـ«الشينات كلها قبل اللام »
بخلاف ما هي عليه في عدد من الألفاظ
الحميرية، والنون تدخل في بعض ألفاظ أهل
حمص على أنها « غنة » وليست بأصيلة
وبنو تميم « يجعلون بدل الهمزة العين »
على حين تجعل ربيعة مكان الكاف المكسورة
شيئاً، وغيرها من التعيينات .

يحفل « كتاب العين » بمادة واسعة
عن لغات القبائل والمواضع التالية : ربيعة،
وتغلب ، وبنى الحارث ، وتمر ،
وتهامة ، وهذيل ، والمدينة، والجزيرة ،
والحجاز ، والغور ، ومكة ، ومضر ،
وبنى سعد ، واليمن ، وحمير ،
والكوفة ، والبصرة ، والعراق ،
والسواد ، الشام ، وحمص ،
والجوف ، وعمان ، ولغة الأنباط ، واللغة
القبطية ، ولغة مصر ، والعبرانية
والفارسية وغيرها ، دون أن يكون هذا
التعداد نسقياً .

بدا لنا مفيداً أن نتناول « اللغات »

العربية على حدة ، على أن ننصرف لاحقاً
إلى تبين غير العربية منها ، لا لطبيعة
« اللغات » العربية المتقاربة وحسب
(واختلافها البين عن غيرها) بل لأن
الخليل نفسه عمد في غير موضع إلى تبين
صلات التقارب مثل التخالف بين هذه
اللغة أو تلك في الجزيرة العربية .

نجد الخليل يكتفى في بعض الأحيان
بإيراد ما جمعه وحسب دون معالجة
أو تحليل ، سواء أكان ما جمعه يتعلق
بدلالة أو بکیفیه نطق . فيفيدنا ، على
سبيل المثال ، أن لفظ « القشمة » يرد في
لغة تغلب ، وأن « العرجلة » تأتي في لغة
تمر « الحرجلة » وأن « المعصوب » يعنى
« الجائع » في لغة هذيل ، إلى غير ذلك من
الأمثلة ، ونقع أحياناً على لطائف دلالية
في هذا الشأن مثل هذه : « ثب » معناه
« اقعد » في لغة حمير أى بخلاف
ما هي عليه العربية الحالية . أو هذه
: « تقول هذيل : أكل حتى اقترَّ ، في
الناس وغيرهم ، والاقترار الشبع » .
وهو خلاف ما تعرفه العربية الحالية .
ولا يتأخر أحياناً عن سرد الحكاية التي

أدت إلى نشأة هذه العبارة أو هذا اللفظ :
 و « القَدْفُ : عُرفُ الماء من الحوض .
 أو من شيء تصبهُ بكفِّك ، بلغة عُمان .
 وقالتُ « بنتُ جُلندى العُمانية » حين ألّبت
 السلحفاة حليها فغاصت وأقبلت تغترفُ
 من البحرِ وتصبه على الساحل وهى تنادى
 القوم : نَزافِ نَزافِ ، لم يبقَ فى البحر
 غير قَداف ، أى غير حفنة .

إلا أنه يتوقف ، فى مواضع أخرى ،
 ليتبين صيغَ لغة هذه القبيلة أو تلك ،
 صارفاً لها الجهد الذى صرفه للعربية حين
 أعمل التقلب فيها ودرس أبنيتها
 واحتمالات التركيب فيها . فهو يلاحظ ،
 على سبيل المثال ، أن لغة أهل سفلى مُضر
 تكسر الفاء فى فعيل إذا كان الحرف الثانى
 منه من حروف الحلق الستة . بخلاف
 أهل اليمن الذين لا يتأخرون عن كسر الفاء
 فى فعيل حتى لو لم يكن الحرف الثانى من
 حروف الحلق . ونراه يعالج فى صورة
 تحليلية تراكيب الكلام واحتمالاتها فى غير
 لغة ، متوقفاً فى شكل خاص أمام أربع
 لغات - على ما بدا لنا من الثبوت اللغوى

الذى قمنا به - ، وهى اللغات التالية :
 لغة تميم ، ولغة هذيل ، ولغة الحجاز ، ولغة
 اليمن . ماذا يمكننا القول عن كل واحدة
 منها ؟

ترد فى النبذات التعريفية ألفاظ
 وفق دلالاتها المخصوصة فى لغة تميم :
 مثل لفظ « الأجواف » الذى يعين فى
 لغتهم « فساطيط عمالهم » ، أو « الدَّوِيَّة »
 التى تعين عندهم « مفازة ملساء » ؛
 و « الآد » « القوة » ؛ و « الرَبْدَة » « صوفة
 الهناء » و « الود » « الودد » ، إلى غير
 ذلك ، كما يعمل على تبين بعض خواص
 التركيب فى لغتهم ، فينتبه إلى كونهم
 يكرهون « التفخيم » فيردون « الطاء »
 إلى « التاء » ، ويلفظون « الأصاتم » بدل
 « الأصاطم » ويتوقف أمام نطقهم المختلف
 لألفاظٍ مشتركة بينهم وبين قبائل أخرى ،
 فينطقون « نَكِلَ » فى الوقت الذى تنطق
 الحجاز « نَكَل » ، ويقولون « الكَلِمَة » فى
 حين تنطق الحجاز « الكَلِمَة » إلى غير ذلك
 من الحالات كما يتبين أحياناً بعض خواص
 التركيب فى لغتهم فيلاحظ أنهم « يكسرون
 فعيلاً فى كل شيء كان ثانياً أحد حروف
 الحلق » .

تكاد تنحصر ملاحظات الخليل في لغة هذيل على الجانب الدلالي ، إذ يسرد عدداً واسعاً من الألفاظ والدلالات الخاصة بهم : « القُمْعُلُ : القدح الضخم » ؛ « الكَرهاء : أعلى النُقْرة » ؛ « الخموش : البعوص » ؛ « الفريج : البارد » ؛ و«رُبْدُ السيف فرِنْدُهُ» و « كتاب منمل : مكتوب » وغيرها، وإلى هذا فإنه يعين لنا بعضاً من المنتجات والمسميات ، الخاصة بهم ، مثل : « الفتر » ، وهى « سهام صغار » ؛ أو « الربابة » وهى « خرقة تجعل فيها القداح » وغيرها ..

لا يتوانى الخليل فى غير موضع عن الجمع وعن إيانة التخالف بين لغة تميم ولغة الحجاز : فـ « الْكَلْمَةُ » حجازية و « الْكَلْمَةُ » تيمية ؛ و « الداوية » تعنى فى لغة الحجاز « مفارة ملساء » وهى « الدَّوِيَّة » عند تميم ، وغيرها كما يتوقف أمام بعض مسمياتهم الخصوصية ، مثل تسميتهم الإجاص « مَشْمَشاً » ، ويعالج بعضاً من تراكيبيهم الخصوصية : يشبتون الياء والواو فى « صَيِّدٍ » و « عَوْرَ » فيما يقول غيرهم : ؛ « صَادُ يَصَادُ وَعَارَ يَعَارُ » وغيرها .

يتضمن المعجم مسرداً واسعاً عن لغة اليمن ، لاسيما فى دلالاتها : « الْقُشْعَرُ » تعنى « القشاء » و « الْقُنْفُعة » « الْفُرْقُعة » ؛

و«القسحبة» « المرأة » ؛ و « الْكَحْبَ » « البروق » وغيرها . كما يتبين فيها بعض ظواهر « القلب » : فما ينطقونه « المضد » هو عند غيرهم « ضممد » ؛ أو « العَنكوه والعنكباه » عندهم هو عند غيرهم « العنكبوت » ، إلى غير ذلك .

غير أن الخليل لا يتأخر عن رصد أحوال اللغات عند قبائل عدة ، أو لغة الأمصار ، لاسيما فى البصرة ، أو يتوقف عند مدن بعينها مثل حمص وعُمان وغيرها ، وهو رصد نافع لأنه يرصد فى غالب الأحيان حال العربية فى زمن الفراهيدى . كما يعالج فى بعض الأحيان لغة العامة فى العراق . وإذا كانت ملاحظات الخليل لا تخلو فى هذه « اللغات » العربية من التفاتات نبهة ونافعة ، فإن جمعه لألفاظ ومسميات من اللغات غير العربية ، مثل الفارسية والعبرانية والافريقية وغيرها ، لا يضيف جديداً فى غالب الأحيان . فهو يستعيد ما هو معروف عن بعض الألفاظ غير العربية فى القرآن ، مثل « الزقوم » الأفريقية ، أو يورد عدداً من الألفاظ التى باتت شائعة فى الكلام السارى أو المعروفة

على الأقل ، كما هو عليه الحال مع أسماء
الشهور الرومية المعروفة في بلاد الشام .

٤ - (ب) شواهد « العين »

يعود الخليل في المعجم إلى القرآن
الكريم مستشهداً بآياته ، تامة أو غير
تامة ، ملمحاً أحياناً إلى القراءات
المختلفة ، لاسيما إلى قراءة ابن مسعود .
أو يعود إلى عدد من التفاسير ، لاسيما
التي أخذها من الفقيه الحسن البصري ،
أو من فقيه البصرة الآخر ابن سيرين ،
أو من غيرهما كما يعود في بعض الأحيان
إلى الأحاديث النبوية ، أو إلى عبارات
شهيرة وردت على ألسنة الخلفاء الراشدين
أو على لسان معاوية أو الحجاج بن يوسف
وغيرهما .

وهو يعود إلى هذه اللغة « المرجعية »
طلباً لشاهد لغوي يعزز ما يسوقه من تفسير
دلالي أو من تعليل نحوي وخلافهما .
إلا أنه يستقى من الشعر غالباً هذه
الشواهد ، أو من الأمثال أحياناً .

٤ - (ب) (١) الشواهد الشعرية

لا يكاد يخلو مدخل لفظي ، أو دلالة
أحياناً في المعجم من شاهد شعري ، وقد

يرد كاملاً أو في جزء منه ، ومعزواً أو من
دون عزو . وقد قمنا بإحصاء الشواهد
الشعرية في الأجزاء الثمانية للمعجم ،
وأنت الإحصائيات حسب التقسيم التالي :

يزيد عدد الشواهد على ٣٠٣٥ بيتاً
شعرياً ، وقد وجدناها تتوزع في أربع
فئات :

- أبيات غير معزوة : ٧٧ بيتاً
(ما يعادل ٢,٥٣ بالمئة) ، وتعود إلى ٥٥
شاعراً (أي ١٨,٨٣ بالمئة) .

- أبيات جاهلية : ١١٩٨ بيتاً
(ما يوازي ٣٩,٤٧ بالمئة) ، لـ ١٣٦
شاعراً (أي ٤٦,٥٧ بالمئة) .

- أبيات أموية : ١٢٤٣ بيتاً (ما
يعادل ٤٠,٩٠ بالمئة) ، لـ ٨٩ شاعراً
(أي ٣٠,٤٠ بالمئة) .

- أبيات عباسية : ٥١٧ بيتاً (ما
يوازي ١٧,٠٣ بالمئة) ، لـ ١٢ شاعراً
(أي ٤,١٠ بالمئة) .

نخلص من بنود هذه القائمة
الإحصائية للشعراء والأبيات الشعرية إلى
أن عدد الشعراء يقرب من ثلاثمائة شاعر

(٢٩٢ تحديدًا ، أو ربما أقل من ذلك ، طالما أن عددًا من لم تُنسب إليهم أبياتهم قد ذكروا) . اللافت في هذه القائمة هو ضعف تمثيل الفترة العباسية من جهة ، وقوة تمثيل الفترتين الجاهلية والأموية ، وهو تدبير طبيعي لاعتبارين : يعود الاعتبار الأول إلى أن جامعي اللغة الأوائل قيدوا سجل « فصاحة زمنية » جعلوها في الجاهلية أساساً وحتى في عدد محدود من شعراء الفترة العباسية الأولى . أما الاعتبار الثاني فيعود إلى « زمنية » كتاب العين ، حيث إن الخليل عاد إلى عدد محدود من معاصرة الطبع . ولكن إذا كان عدد الشعراء العباسيين محدوداً بمقارنته بشعراء الفترتين الجاهلية والأموية ، فإن هذه النسبة تزداد في عدد الشواهد

الشعرية العباسية : فعدد الشعراء العباسيين لا يتجاوز ١٠ ، ٤ بالمئة على حين يبلغ عدد الشواهد الشعرية العباسية ١٧ ، ٠٣ بالمئة من مجموع الشواهد .

سبعة شعراء يتصدرون هذه القائمة ، ممن استشهد بشعرهم أكثر من مئة مرة ، وهم بالترتيب : رؤبة بن العجاج (٤٨٥ بيتاً) ، العجاج (٢٣٥) ، ذو الرمة (٢٧١) ، الأعشى (٢٠٤) ، ليبد بن ربيعة العامري (١٧٣) ، مطيع بن إياس (١٦٦) وامرؤ القيس (١١٥) .

٤ - (ب) ٢ : الأمثال

يبقى علينا أن نشير إلى أن « كتاب العين » يشتمل في مواده على عدد كبير من الأمثال (١) : يرد المثل مثل « شاهد »

(١) - نبذات من الأمثال الواردة في «كتاب العين» :

« المثل : الحديث نفسه ، وأكثر ما جاء في القرآن ... (بمعنى) الخبر .. فصار خبره عن ذلك مثلاً » (٢٢٨ / ٨) ؛ « ما لفلان عاقطة ولا نافطة » (١٨ / ٢) ؛ « لا تعظيني ، و تعظيني » (٢٢٨ / ٢) ؛ يروي لنا في مادة « عَصَو ، عصى » (ص ١٩٨ / ٢) كيف ذهب أحد الأبيات الشعرية مثلاً ، وهي قصة عرقوب من أهل يثرب ، « أكذب أهل زمانه موعداً » (٢٩٦ / ٢) ؛ « أبى الحَقين العذرة » (٥٠ / ٣) ؛ « ياكلُ خُصرةً وَيَرِيضُ حَجرةً » (٧٥ / ٣) ؛ « يومٌ يَيسومُ الحَفْضُ المَجورُ » (١٠٨ / ٣) ؛ « أعنْ صَبوحُ تَرْقُقُ » (١٢٧ / ٣) ؛ « إذا طَلَعَ الذابِحُ المَجحرُ النابحُ » (٢٠٣ / ٣) ؛ « جَهيزَةٌ » يضرب بها المثل في الحمق (٣٨٥ / ٣) ؛ « لا تَهْرِفُ حتى تَعْرِفَ » (٤٥ / ٤) ؛ « اذهب هنيئاً ولا تَنكَّه » (٩٤ / ٤) ؛ « المعزى تُبْهى ولا تُبْنى » (٩٧ / ٤) ؛ « بَلَّغَ قولُه قاموسَ البَحْرِ » (أى قعره الأقصى - ٨٨ / ٥) ؛ « لَقِطَى خُلَيْطَى » (١٠١ / ٥) ؛ « وافق شَنّ طَبَقَةٍ » (١٠٨ / ٥) ؛ « دُونُ هذا خَسرُ القَتادِ » (١١٢ / ٥) ؛ « نَزافَ نَزافَ لم يبقَ في البَحْرِ غيرُ قُدافِ » (أى غير حَفنة) (١١٩ / ٥) ؛ « حتى يَؤوبَ الغَنَريُّ القارِظُ » (١٣٣ / ٥) ؛ « ليس قطعاً مثل قُطَى » (١٩٣ / ٥) ؛ « قد جاء غرثانُ فارِيكوا له » (٣٦٦ / ٥) ؛ « هي أكثرُ الأرضِ سَمَةً وَعَسَلَةً » (٣٦٩ / ٥) ؛ « أطرقَ كَرّا إن السَّعامَ بالقُرى » (٤٠٠ / ٥) ؛ « العَيرُ يضْطَرُّ والمَكواةُ في النارِ » (٤٢١ / ٥) ؛ « حالُ الجَرِيضِ دُونِ القَرِيضِ » (٤٢ / ٦) ؛ « ناجِزٌ بناجِزِ » (٧١ / ٦) ؛ « إن العَجْزَ والتَّوانى تزَواجاً فانتَجا الفَقْرَ » (٩٢ / ٦) ؛ « أنا جَدِيلُهُ المُحَكِّكُ ، وَعُذِيْقُها المُرَجَّبُ ، وَحُجَبِيرُها =

أو « دليل » لتأكيد دلالة ما ، كما هو عليه البيت الشعري فى هذه الحالة . ولا يتأخر الخليل أحياناً عن رواية الحكاية التى أدت إلى نشأة هذا المثل أو ذاك . وهى أمثلة ترد فى مواضع ومناسبات مختلفة ، سواء فى الشعر أو الشجاعة أو الحمق أو غيرها ، وهى جاهلية المنشأ غالباً . ومن المعلوم أن عدداً من العلماء سارع فى عصر « الفراهيدى » إلى جمع الأمثال ، مثل يونس بن حبيب وأبو عبيدة وأبو فيد مؤرج السدوسى ، من دون أن يصلنا أى واحد من كتبهم .

٥ - أصول « كتاب العين » الثقافية

يشتمل « كتاب العين » ، إلى مواد المعجمية ، على معلومات أخرى تتصل بأسماء علم أو بعادات معروفة أو بوقائع إسلامية أو سابقة عليها ، حتى أنه يبدو فى بعض المواضع أشبه بموسوعة ثقافية . وهو ، بقدر ما يفيدنا ، يعين حدوداً لقوله مثل معرفته ، أى يعين حدوداً معرفية

بالتالى . وهذا يمكننا من التعرف على الخلفية الثقافية فى المعجم من جهة ، ومن الوثوق منها ، من جهة أخرى ، بوصفها قابلة للتعيين والمقارنة مع ما نعرفه من معطيات ومعلومات عما كان معروفاً حتى عهد الخليل . هذا ما يمكن أن نتأكد منه فى المعلومات نفسها « أى التأكد منها » ، وفى « الأفق المعرفى » الذى يحد أى قول بالتالى .

لا يعنينا فى فرز هذه المواد أن نتبين تاريخيتها بالضرورة ، ذلك أن هذا السعى يتعدى مرادنا ، بل ابتغينا منه تبين « تعيين » التعريفات . فنحن نجد على سبيل المثال فى هذا الكم التعريفى معلومات شديدة التعيين : مثل تعيين « الأهواز » أو « مساجد البصرة » أو « مظاهرات عُمان » أو ما جرى بين أبى الدقيش والخليل ، أو ما قاله زياد بن أبيه حين قدم البصرة عاملاً عليها ، أو خبر هذه الشجرة :

« المأرب » (٩٤/٦) ، « جئتُ بأمرٍ بُجِرٍ وداميةٍ نُكِرِ » (١١٨/٦) ، « اتَّخَذَ قِلَانٌ اللَّيْلَ جَمَلًا » (١٤٢/٦) ، « ويلٌ للشَّجَى من الخَلَى » (١٥٦/٦) ، « ما بها صَافِر » (١١٤/٧) ، « صدَّقْنى سنَّ بَكْرِه » (١٩٨/٧) ، « اصْنَعْ مِنْ سُرْقَةٍ » (٢٤٤/٧) ، « لا افْعَلْ ذَلِكَ السَّمَرُ وَالْقَمَرُ » (٢٥٥/٧) ، « أشجع من أسامة » (٣٢٤/٧) ، « هاجت زبرأوه » (٣٦٢/٧) ، « أعيتنى بأشْرٍ فكيف أرجوك بدردر » (٧/٨) ، « ما يدرى قِلَانٌ قَيْلًا من دبير » (٣٣/٨) ، « الرائد لا يكذب أهله » (٦٣/٨) ، « أسخى من لافظة » (١٦٢/٨) وغيرها .

« الألبنج : حَمَلُ شجرة بالهند تُرَبَّبُ بالعسل على خلقة الخوج ، مُجَرَّفُ الرأس يُجلب إلى العراق وفي جوفه نواة كنواة الخوج ، ومنه اشتُقَّ الأنجيات التي تُرَبَّبُ بالعسل من الأترج والأهليلجة ونحوها » .

ذلك أن هذه المواد المختلفة تجلب لنا صورة عن الظروف المادية والزمنية المعيشة لإنتاج « كتاب العين » وتساعدنا بالتالي على تبين « تاريخيته » الزمنية والمعرفية في آن واحد .

يشتمل هذا الكم على أسماء أحياء وقبائل ، وعلى أخبار عن الأيام الجاهلية وعن العادات والألعاب فيها ، وعن عدد من الأقوام في عباداتهم ، سواء الوثنية

أو اليهودية أو المسيحية ، وعن معارفهم في النجوم والحساب ، وعن الأيام الإسلامية مع الرسول ﷺ والصحابة ، عدا ما بلغ الخليل من « قصص » السالفين .

٥ - (أ) : الأسماء

يتضمن المعجم قائمة واسعة من أسماء الأعلام^(١) الدالة على البشر أو على المواضع الجغرافية . نتعرف على « هالة » ، وهي أم حمزة بن عبد المطلب ، أو على الأسماء التي بلغت الخليل عن أخبار الأولين ، مثل أسماء ولد آدم أو جد إبراهيم عليهما السلام وغيرهما . وإذا كانت التعيينات الجغرافية قليلة بل مقتضبة

(١) - قائمة من أسماء الأعلام الواردة في « كتاب العين » :

- أسماء مواضع : « الجزيرة بالبصرة : أرض نخل بين البصرة والأبلة خُصَّت بهذا الاسم ، وجزيرة العرب محلَّتْها لأن البحرين بحر فارس الحبش ودجلة والفرات قد أحاطت بجزيرة العرب ، وهي أرضها ومعدنها » (٦٢/٦) ؛ « الأهواز : سبعُ كور بين البصرة وفارس ، لكل واحدة منهن اسم ، على حدة ، ويجمعهن الأهوار » (٧٣/٤) ؛ « الكرخ : اسم سوق ببغداد » (١٥٦/٤) ؛ « كساوان : جزيرة في بحر البصرة » (٤٢١/٥) ؛ « دمخ : اسم جبل » (٢٣٦/٤) ؛ « رُحْد : اسم مدينة » (٢٤٤/٤) ؛ « خُرَيْية : موضع بالبصرة يُسمى بُصيرة الصغرى » (٢٥٦/٤) ؛ « الغوطة : موضع بالشام ، كثير الماء والشجر » و « الغوطة : مدينة بدمشق » (٤٣٥/٤) ؛ « الغور : تهامة وما يلي اليمن » (٤٤١/٤) . أبوقبيس : جبل مشرف على مكة (٨٦/٥) ؛ « القيروان : اسم مدينة » (١٤٣/٥) ؛ « وفي ثغور الشام موضع يقال له : قُبْرُس » (٢٥٢/٥) ؛ « الدَّكْص : اسمُ نهر بالهند ، بلغتهم » (٤٢٥/٥) ؛ « البصرة : ... نزلها المسلمون أيام عمر بن الخطاب ، وكتبوا إليه : إنا نزلنا أرضاً بَصْرَةَ فَسُمِّيَتْ بَصْرَةَ » (١١٨/٧) وغيرها .

- أسماء أشخاص : « هالة : أم حمزة بن عبد المطلب » (٨٩/٤) ؛ « هي بن أبي وهبان بن يمان من ولد آدم » (١٠٧/٤) ؛ « شالنج : جد إبراهيم » (١٧٠/٤) ؛ « ذو جدن : اسم رجل من مقالة اليمن » (٨٣/٦) ؛ « تدمر : اسم مدينة بناها الجحان بإذن سليمان بن داود » ، وهو يستعيد في هذا التعيين بيتاً للناطقة « ديوانه » ، ص ١٣ ؛ « وخيس الجحْنُ إني قد أذنت لهم يَنون تدمراً بالصفاح والعمد » (٤٠/٨) وغيرها .

ونخيس الجن إني قد أذنت لهم
بينون «تدمر» بالصفاح والعمد

٥ - (ب) القبائل

يشتمل « كتاب العين » على لوحة
واسعة من أسماء القبائل العربية (١) ،
مبيناً أفخاذها وأحياءها ، إلا أنها لوحة
تسمية في غالب الأحيان ، دون
معلومات عن مواضعها أو عن تواريخها
الخصوصية إلا فيما ندر . غير أننا نعلم

في بعض الأحيان (« القيروان : اسم
مدينة ») ، فإنها وافية ودقيقة في: أحيان
أخرى ، حين يتعلق الأمر بالبصرة أو
بالأهواز المجاورة لها . كما تبين لنا بعض
التعينات عن الكيفيات التي توصل بها
إلى معلوماته فهو يفسر بناء مدينة تدمر .
(« مدينة بناها الشيطان بإذن سليمان
ابن داود ») وفقاً لما قرأه في شعر
النابغة الذبياني (ورد البيت في ديوانه ،
ص ١٣):

- (١) نبذات عن القبائل العربية في « كتاب العين » .
« فخذ الرجل : نقره من حيه الذين هم أقرب عشيرته إليه ، وهي أفخاذ العرب يذكر ، وإذا أقرّد قيل : هذا فخذ أي :
هذا حي » (٢٤٦/٤) ؛ « وأما القبيلة فمن قبائل العرب وسائر الناس » (١٦٧/٥) ؛
- الأرد : « ماسخه » حي من الأرد (٢٠٦/٤) ؛ الخزرج والأوس : حيان من الأنصار (٣٢٧/٤) ؛
- بني أسد : فقّس : حي من بني أسد (٢٩١/٢)
- تميم : و « عرين : حي من تميم » (١١٧/٢) ؛ « الحَبَطَات : حي من تميم » (١٧٤/٣) ؛ « يربوع » قبيلة من تميم
(٣٤٢/٢) ، بنو العنبر بن عمرو بن تميم (١٨٢/٥) ؛ البراجم : أحياء (٢٠٩/٦) ؛ صوفة (١٦٢/٧) ؛ مازن
(٣٧٦/٧) .
- ربيعة : بنو حنيقة : حي من ربيعة (٢٤٨/٣) ؛ رقاش : حي من ربيعة (٤٠/٥) ؛ و « الذهلان : حيان من
ربيعة ؛ بنو ذهل بن شيبان ، وبنو ذهل بن ثعلبة » (٣٩/٤) ؛ هنب وبنو هنب حيان من ربيعة (٥٨/٤) ؛ قبيلة يشكر
(٢٩٣/٥) .
« أمار : حي من ربيعة هم اليوم في اليمن » (٢٧١/٨) ؛
- بني سعد : « بنو عطار : حي من بني سعد » (٣٢٧/٢) ؛
- فزارة : « بنو الساياء : قوم في بني فزارة ، ويقال لهم : بنو العشاء » (٣١٣/٧) ؛
- قريش : وقريش كلهم ينسبون إلى فهر بن غالب بن النضر بن كنانة (٤٥/٤) . بنو هبار : فخذ من قريش من أسد
ابن عبد العزى (٤٧/٤) . بنو معيط « حي » من قريش (٢٨/٢) .
- « بنو قريظة هم أحد حيي اليهود من السبطين اللذين كانا بالمدينة » (١٣٣/٥) .
- عبد القيس : « الفسوّ : اسم لزم حياً من العرب معروفين ، يقال لهم : الفساة ، وهم : عبد القيس ، وقيل لهم :
بنو فسوة » (٣٠٩/٧) ؛ « العمور : حي من عبد القيس » (١٣٧/٢) ، عدوان حي من قيس (٢١٦/٢) ؛ « خفاجة :
حي من قيس » (١٦٣/٤) ؛ « بنو قشير بن معب من قيس » و « بنو قشمر من عكل » (٣٦/٥) ؛ بنو غيظ : حي من قيس
(٤٣٩/٤) ؛ ثقيف : حي من قيس (١٣٨/٥) ؛ لكيز : حي من عبد القيس (٣٢١/٥) ؛ شن (٢٢٠/٦) ؛
- مضر : « هوازن » قبيلة ضخمة من مضر (١٥/٤) ، مزيّة (٣٧٦/٧) ؛

أن أهل قريش يُنسبون إلى فهر بن غالب
ابن النضر بن كنانة ، وأنها تتوزع إلى
أفخاذ وأحياء مثل : بنى هبار ، وبنى معيط
وغيرهما . بل يتيح لنا المعجم في بعض
الآحيان أن نتبين تكوين عدد من القبائل ،
منها :

- أحياء وقبائل بنى تميم : عرين ،
الخطبات ، يربوع ، بنو العنبر ، البراجم ،
صوفة ، مازن ، وغيرها .

- بنو ربيعة : بنو حنيفة ، رقاش ،

بنو ذهل بن شيبان ، بنو ذهل بن ثعلبة ،
هنب ، بنو هنب ، يشكر ، وغيرها ؛ كما
يفيدنا المعجم أيضاً بوجود أحد أحياء
هذه القبيلة : « أنمار » تحديداً ، في
اليمن ، في عهد الخليل .

- بنو عبد القيس : العمور ،
عدوان ، خفاجة ، بنو قشير بن معب ،
بنو قشر بن عكل ، بنو غيظ ، ثقيف ،
لُكيز ، شن ، وغيرها .

كما يذكر أيضاً قبائل الأزد ،

= - هذيل : بنو لحيان : حتى من هذيل (٢٩٧/٣) .

- قبائل متفرقة وغير معينة : بنو شقير : قبيلة (٣٦/٥) خشينة : حتى من العرب (١٧٠/٤) ؛ « شعفر بطن من بنى
ثعلبة يقال لهم : بنو السعلاة » (٣١٣/٢) ؛ بنو عيش : قبيلة ، وهم بنو عائشة (١٨٩/٢) ؛ عتيب اسم قبيلة
(٧٧/٢) ؛ بنو ذريح : حتى من العرب (٢٠٠/٣) ؛ هداد : حتى من العرب (٣٤٨/٣) ؛ « هزان » قبيلة أيضاً (١٥/٤) ؛
« هذيل » اسم قبيلة (٣٩/٤) ؛ باهلة حتى من العرب (٥٥/٤) ؛ جل وجلان (١٨/٦) ؛ بنو جشم قبيلة من هوازن
(٤٠/٦) ، حتى جديس في اليمامة (٤٧/٦) ؛ جديلة : قبيلة (٧٩/٦) ؛ « النجدات » قوم من الحرورية ينسبون إلى نجدة
الحرورى (٨٥/٦) ؛ قبيلة من بنى الهون بن خزيمة ، وهم من القارة (٢٧٨/٦) ، سدوس (١٨٥/٧) ؛ بنو راسب
(٢٥٠/٧) ؛ زينة (٣٧٤/٧) ؛ إرد (٣٧٨/٧) ؛ طيء (٤٦٧/٧) ؛
وردت أخبار جمعه اللغة في البوادي في « إنباء الرواة » ص ٢٥٧ - ٢٥٨ ، وفي « معجم الأدباء » .
ص ١٦٩/١٣ .

- النُبَيْث : حتى من الأنصار (١٣٠/٨) ؛

- اليَمن : « سبأ » اسم رجل يجمع عامة قبائل اليمن وهو اسم بلدة أيضاً سكنتها ملكتهم بلقيس « (٣١٥/٧) ؛
« عرينة » اسم حتى من اليمن ؛ « معافر » قبيلة من اليمن « (١٢٤/٢) ؛ « ينعم » حتى من اليمن « (١٦٣/٢) ؛
« عقرس » حتى من اليمن « (٢٩٢/٢) ؛ « جرهم » حتى من اليمن « (١١٧/٤) ؛ « العوقة » حتى من اليمن « (١٧٤/٢) ؛
حدان : حتى من اليمن (٢٠/٣) ؛ الحُرقة : حتى من اليمن (٤٥/٣) ؛ « الهُزَر » قبيلة من اليمن (١٣/٤) ؛ بهراء حتى
من اليمن (٤٩/٤) ؛ « قَرَن » حتى من اليمن منهم أويس القرني (١٤٢/٥) « الناقم » حتى باليمن « (١٨١/٥) ؛
القساملة : حتى من اليمن (٢٥٣/٥) ؛ السكاسك والسكاسكة : حتى من اليمن (٢٧٢/٥) ؛ قيس كبة : حتى من اليمن
(٢٨٥/٥) ؛ شاكر : قبيلة من اليمن من همدان (٢٩٣/٥) ؛ جنادة (٨٦/٦) ؛ « جذام » اسم حتى من اليمن هم من بنى
أسد من خزيمة (٩٧/٦) ، جرم (١١٩/٦) ، شبام (٢٧٢/٦) صداء (١٤٢/٧) ، سد (١٨٤/٧) ، بنو مسلية (٢٩٨/٧) ،
أوس (٣٢٩/٧) ؛ بُنَانَة (٣٧٣/٨) ؛
- الشام : « حُدَس » حتى من اليمن بالشام « (١٣١/٣) ؛ « جَفْتَنَة » قبيلة من اليمن ، ملوك بالشام (١٤٦/٦)
وغيرها .

وقرن ، والناقم ، والقساملة ،
والسكاسكة ، وقيس كبة ، وشاكر ،
وجنادة ، وجذام ، وجرم ، وشبام ،
وصدء ، وسد ، وبنى مسيلمة ، وأوس ،
وبنانة وغيرها . كما يعين أحياناً صلات
نسب هذه القبائل والأحياء بعضها ببعض ،
مثل صلة جذام ببنى أسد من خزيمة ،
أو يبين لنا اتقالاتها ، مثل وجود الحى
اليمنى « حدس » فى الشام وغيرها .

٥ - (ج) الفلك

إذا كنا شكونا من المعلومات الواردة
فيما سبق من غياب الدقة فى بعض
الأحيان (مالا يساعدنا فى بعض المواضع
على تكوين صورة منسقة فى ميدان ما) ،
فلإننا لا نجد أسباباً للشكوى فى
معلومات « كتاب العين » عن
الفلك بنجومه وكواكبه وبروجه (١) .

والأوس ، والخزرج ، وبنى أسد ، وبنى
سعد ، وبنى فزارة ، وبنى قريظة ، وبنى
هوازن ، ومضر ، وهذيل .

أو يورد أسماء أحياء وقبائل دون
أن ينسبها مثل : بنى شقير ، وخشينة ،
وشعفر ، وبنى عيش ، وعتيب ، وبنى
ذريح ، وهداد ، وهزان ، وهذيل ،
وباهلة ، وجل ، وجلان ، وجديس ،
وجديلة ، وبنى راسب ، وغيرها .

والمعجم يتوقف طويلاً لتعداد قبائل
اليمن التى ينسبها كلها إلى رجل ، هو
« سبأ » ، وهو اسم حملته بالتالى إحدى
البلدات ، التى « سكنتها ملكتهم بلقيس » .
من هذه الأحياء والقبائل : عرينة ، ومعاقر
وينعم ، وعقرس ، وجرهم ، والعوكة ،
وحدان ، والحرقة ، والهزر ، وبهراء ،

(١) - نبذات عن الفلك فى « كتاب العين » :

« المنجم يقول : الفلك سبعة أطواق . دون السماء ، رُكبت فيها النجوم السبعة ، فى كل طوق نجم وبعضها أرفع من
بعض تدور فيها بإذن الله » (٣٧٤/٥) ؛ « البرج واحد من بروج الفلك وهو اثنا عشر برجاً » (١١٤/٦) ؛ « النجم :
اسم يقع على الثريا ، وكل منزل من منازل القمر سُمى نجماً ، وكل كوكب من أعلام الكواكب يسمى نجماً ، والنجوم
تجمع الكواكب كلها . . . والمنجم الذى ينظر فى النجوم » (١٥٤/٦) ؛ « يقال للنجوم علاط النجم : المعلق به . قال :

وأعلاط النجوم معلقات كحبل القرق ليس له انتصاب

قال : لأن النجوم أول ما تطلع مُصعدة فإذا ولَّت للمغيب ذهب انتصابها .

وأعلاط النجوم وأفرادها ، التى ليست لها أسماء كخييل القرق جعلها حجارة ، لأن تلك الحجارة أفراد لا اسم لها
فكذلك هذه النجوم لا أسماء لها ، والقرق لعبة لهم ، جعلها خيلاً لأنهم يلعبون هذه اللعبة بالحجارة » (١١-١٠/٢) ؛
« الدارة : دائرة القمر » (٥٧/٨) ؛ « التين : نجم من نجوم السحاب وليس بكوكب ولكنه بياض خفى يكون جسده فى
شبه من الماء وذنبه دقيق أسود فيه التواء يكون فى البرج السابع من رأسه وهو يتنقل كتقل الكواكب الجوارى ، واسمه
بالفارسية « هشت آبير » فى حساب النجوم ، وهو من النحوس » (١٠٨/٨) وغيرها .

وهي معلومات تتأتى من مصدرين على ما أو حدوث أفعال مناخية أو إنسانية
تبين لنا : من المعتقدات الشعبية ، التي بعينها ؛ أو من «علم التنجيم» أو من
تصل بين الظواهر الفلكية وبين وقوع «المنجم» حسبما يفيدنا الخليل فى غير موضع .

= - النجوم : « الشعري العُبور : نجم خلف الجوزاء » - (٢٥٢/١ و ١٢٩/٢) ؛ « وسعدُ بُلَع : نجم يجعلونه معرفة » (١٥١/٢) ؛ « العَوَاء : نجم فى السماء (٠٠٠) ، وهى من نجوم السنبلة من أنواء البرد فى الربيع ، إذا طلعت وسقطت جاءت بالبرد ، ويُقال لها عَوَاء البرد » (٢٧٠/٢ و ٢٧١) ؛ « الرامج : نجم يقال له السماك المُرْزَم » (٢٢٦/٣) ؛ « الفكة : النجوم المستديرة ، التى إلى جانب بنات نعش ، وهى التى يسميها الصبيان : قصعة المساكين » (٢٨٤/٥) ؛ « الكَلْبُ من النجوم بحذاء الدلو من أسفل ، وعلى طريقته نجم أخمر يُقال له : الرأعى » (٣٧٦/٥) ؛ « كيوان : نجم يُقال له : رَحَل » (٤٢١/٥) ؛ « الجدَى : نجم فى السماء » (١٦٧/٦) ؛ « البرجيس : من أسماء النجوم » (٢٠١/٦) ؛ « النُسران : نجمان فى السماء يقال لأحدهما الواقع وللآخر الطائر ، معروفان » (٢٤٢/٧) ؛ « النَّوْء : من أنواء النجوم ، وذلك إذا سقط نجم بالغداة فغاب مع طلوع الفجر ، وطلع فى حياله نجم فى تلك الساعة على رأس أربعة عشر منزلاً من منازل القمر سُمي بذلك السَّقُوطُ والَطُلُوعُ نوءاً من أنواء المطر والحر ، البرد » (٣٩١/٨) وغيرها .

- منازل القمر : « سعد الذابح ، وسعد بُلَع ، وسعد السعود ، وسعد الأخبية ، نجوم من منازل القمر وهى بروج الجدى والدلو » (٣٢١) ؛ « الضيق والضيقية : منزل للقمر يلزق الثريا بما يلي الدبران ، تزعم العرب أنه نحس » (١٨٦/٥) ، والنعائم : من منازل القمر » (١٦٢/٢) ؛ « الأُدْحَى : منزل فى السماء بين النعائم وسعد الذابح ، يقال له : البلدة » (٢٨٠/٣) ؛ « الغُفَر من منازل القمر » (٤٠٧/٤) ؛ « الإكليل » من منازل القمر » (٢٧٩/٥) ؛ « الهالة : دائرة القمر » (٨٩/٤) « الصرفة : كوكبٌ واحدٌ خلف خراشى الأسد ، إذا طَلَعَ أمام الفجر فذاك أولُ الخريف ، وإذا غاب مع طلوع الفجر فذاك أولُ الربيع ، وهو من منازل القمر » (١١٠/٧) . « البلدة : موضع لا نجوم فيه بين النعائم وسعد الذابح ليس فيه كواكب عظام تكون علماً ، وهى من منازل القمر ، وهى من آخر البروج ، سُميت بلدةً وهى من برج القوس خالية إلا من كواكب صغار » (٤٢/٨) ، وغيرها .

- الكواكب : « الذابح : كوكب يقال له : سَعْدُ الذابح من منازل القمر فإذا طلع الذابح انجحر النابح » (٢٠٣/٣) « المريخ من الكواكب بهرام » (٢٦١/٤) ؛ « العيوق : كوكب بحيال الثريا إذا طلع علم أن الثريا قد طلعت » (١٧٩/٢) ؛ « عطارد : كوكب لا يُفارق الشمس ، وهو كوكب الكتاب » (٣٢٧/٢) ، الكوكب « حُضَار » (١٠٣/٣) « وإذا اجتمعن الكواكب الخمس مع الكواكب المضيئة من كواكب المنازل سُميت الوُضَح » (٢٦٦/٣) . « سُهَيْل : اسم كوكب يرى بالعراق ولا يرى بخراسان ويقال : إن سُهَيْلاً كان عشاراً على طريق اليمن ظلوماً فمسخه الله كوكباً » (٧/٤) « الزهرة : اسم كوكب » (١٣/٤) « السها : كوكب صغير . يقال : هو الذى يسمى أسلم مع الكوكب الأوسط من بنات نعش » (٧٢/٤) « الحُسن : الكواكب الخمسة التى تجرى وتختس فى مجراها حتى يخفى ضوء الشمس ، وخنُوسُها : اختفاؤها بالنهار » (١٩٩/٤) ؛ « السماكان : كوكبان ينزل أحدهما بالقمر من برج السنبلة » (٣١٨/٥) ؛ « الشَّرْطَان : كوكبان ، يُقال : إنهما قرنا الحمل ، هو أولُ نجم نى الربيع » (٢٣٤ / ٦) ؛ « الفارطان : كوكبان متباينان أمام سرير بنات نعش » (٤١٩/٧) ؛ « الرديف : كوكب قريب من النسر الواقع » (٢٣/٨) ؛ « الترام من كواكب الجوزاء » (١٣٩/٨) ؛ « الشرة : كوكب فى السماء كأنه لَطُخٌ سَحَابٍ حِيَالِ كوكبين صغيرين تُسميه العرب ثُشرة الأسد وهو من منازل الشمس والقمر ، وهو فى علم النجوم من بروج السرطان » (٢١٩/٨) وغيرها .

- البروج : « العَقْرَب : برج فى السماء ، وطلوعها فى حد الشتاء » (٢٩٧/٢) ؛ « الحمل : برج من البروج الاثنى عشر » (٢٤٠/٣) ؛ « الحوت : برج من الاثنى عشر ، وهو آخرها » (٢٨٢/٣٠) ، « السمكة : برج فى السماء يقال لها الحوت » (٣١٧/٥) ؛ « وكلُّ برج من بروج السماء ثلاثون درجة » (٧٨/٦) ؛ « السرطان : برج فى السماء منه أنف الأسد » (٢١١/٧) ؛ « هقعة » (٩٦/١) ؛ « عوق » (٩٧/١) ؛ « رقع » (١٥٧/١) ؛ « العذرة » (٩٥/٢) ؛ « الذراع » (٩٨/٢) ؛ « الشهور : الأرز : حساب من مجارى القمر ، وهو فضول ما يدخل بين الشهور والسنين » (٣٩٨/٧) وغيرها ، =

فهو لا يتأخر عن تقديم صورة عما عليه الفضاء الخارجى : فالسماوات «سبع» ، بين السماء السابعة ، وهى «سدرة المنتهى» ، و «السماء الدنيا» ، وهى «الأرقع» و «الرقيع» يقع الفلك «دون» السماء ؛ ويتألف من «سبعة» أطواق ، لكل طوق فيها «نجم» جرى «تركيبه» بحيث يأتى بعضها «أرفع من بعض» والنجوم «تدور» فى الأطواق ولكن . . . «بإذن الله» . إلا أن هذا التعيين لا يفيدنا فى تبين أمور أخرى مثل التميزات الدقيقة بين النجوم والكواكب وغيرها . ويفيدنا المعجم ، على سبيل المثال . بأن الفلك يتألف من «أبراج» وأنها اثنا عشر برجاً منها : «العقرب» وطلوعه فى حد الشتاء ؛ و «الحوت» و «الحمل» و «القوس» و «الثور» و «السمكة» ، و «الجوزاء» و «الدلو» و «السرطان» وغيرها ، كما يعين لنا المعجم عدد درجات كل برج وهى ٣٠ . وهو يعدد لنا أسماء النجوم شارحاً أحوال بعضها ، مثل النجوم التالية : التين ،

والعواء ، والشعرى العبور ، وسعد بلع ، والرامي ، والجدى ، والفكة ، والكلب ، وكيوان ، والبرجيس ، والنسران وغيرها . كما يعين مواضعها فى بعض الأحيان ، فيشير إلى أن «الشعرى العبور» نجم يقع «خلف الجوزاء» ، وأن «الفكة» نجوم «مستديرة» وأن «العواء» من نجوم «السنبل» وغير ذلك من التعيينات ، كما يعدد لنا أسماء بعض الكواكب ، مثل : الذابح ، والمريخ ، والعيوق ، وعطارد ، وحضار ، وسهيل ، والزهرة ، والسها ، والخنس ، والسمكان ، والشرطان ، والفارطان ، والرديف ، والتوأم والثرة وغيرها . كما يعمل أحياناً على تعيين مواضعها : ف «العيوق» يقع «بحيال الثريا» ، وهو «إذا طلع عُلِمَ أن الثريا قد طلعت» ؛ كما «لا يفارق» عطارد الشمس ، وأن كواكب «الخنس» الخمسة تخفى ضوء الشمس أحياناً وغيرها كما يتوسع فى تبيان «منازل القمر» مثل : النعائم ، والغفر ، والإكليل ، والصرفة ، والبلدة وغيرها .

استقى الخليل هذه المعلومات من المنجمين خاصة وأنا نعرف عنه أنه كان ضالعا في علم التنجيم ، على الرغم من تنكره الدينى له ، على ما عُرف عنه . إلا أن إيراد هذه المعلومات يبين لنا أنه استقاها في بعض الأحوال من المعتقدات الشعبية خصوصا ، فهو يربط ، على سبيل المثال . بين نجم « التنين » ومنزل القمر « الضيق » من جهة و « النحوس » من جهة ثانية ؛ أو يجعل « عطار » كوكب « الكتاب » ؛ أو مثل الجمع بين نجم « العواء » وسقوط البرد وغير ذلك .

غير أن تعيين هذه النجوم والكواكب يفيد في بعض الأحيان في تعيين المواقيت

والتبدلات المناخية والفصول : فـ « العواء » يعد من أنواء البرد في الربيع . وإذا طلع خيراتى الأسد أمام الفجر « فذاك أول الخريف ، وإذا غاب مع طلوع الفجر فذاك أول الربيع » و « السرطان » هما « أول نجم في الربيع » كما يبين لنا أيضا « حساب » أو تقويم النجوم ، أى الشهور والفصول ، سواء الرومية في « حساب أهل الشام » (١) ، أو العربية (٢) .

٥ - (د) قصص الأقوام

نقع في مواد هذا المعجم على معلومات واسعة متصلة بحياة أقوام عديدين من العرب ، سواء في وثيقتهم

(١) - نبذات عن التقويم الرومى في « كتاب العين » :

عام الكبيس في حساب أهل الشام (٣١٦/٥) ؛ « سباط » : اسم شهر بالرومية ، وهو فصل بين الربيع والشتاء ، وفيه كما يقولون تمام اليوم الذى تدور كسوره في السنين فإذا تم ذلك اليوم في ذلك الشهر سمي أهل الشام تلك السنة عام الكبيس يُسمين به إذا وُلِدَ في تلك السنة ، أو قدم فيه إنسان « (٢١٩/٧) ؛ « تشرين » : اسم شهر من شهور الخريف بالرومية « (٢٤٥/٦) ؛ « أيلول » : اسم شهر من شهور الروم أول الخريف « (٣٥٧/٨) وغيرها .

(٢) - نبذات عن الشهور العربية في « كتاب العين » :

ذو القعدة (١٤٢/١) ؛ شعبان (٢٦٥/١) ؛ جمادى (٩٠/٦ و ١٢٢/٨) ، رجب وشعبان (١١٣/٦ و ١١٥/٧) ، وشوال (٢٨٥/٦) ؛ اسم الثلاثاء في الجاهلية (١١٦/٦) ؛ « رمضان : شهر الصوم » (٣٩/٧) ؛ « صفر والمحرم » (١١٥/٧) ، « النسيئة » من الأشهر الحرم (٣٠٦/٧) ؛ « دبار » اسم ليلة الأربعاء في الجاهلية (٣٣/٨) ؛ « البدر » : القمر ليلة البدر وهي أربع عشرة « (٣٤/٨) ؛ ليلة البدر هي أطول ليلة في السنة (١١٢/٨) ؛ « الفلّنة » آخر يوم من الشهر الذى بعده الشهر الحرام (١٢٢/٨) وغيرها .

أو في إسلامهم أو المسيحيين واليهود ، ٥ - (د) - ١ : أخبار الجاهلية

وغيرهم من الأقوام ممن جمع الخليل (أو
وَصَلَّتْهُ) أخبارهم .
بدا لنا ضرورياً البدء بعرض ما يسوقه
الخليل من أخبار عن عرب الجاهلية (١)

(١) - نبذات عن أخبار الجاهلية في « كتاب العين » :

- في المعتقدات : « النشع : جُعِلُ الكاهن » (٢٥٨ / ١) ؛ منازل الجن (١١٤ / ٥) ؛ وضع العرب كعاب الأرناب في أرجلهم خشية الموت (٣٢٦) ؛ « العتيرة » (الذبح للأصنام في رجب) - ٦٥ / ٢ ؛ عبادة الأصنام (١٤١ / ٥) ؛ ذبائح العرب في رجب (١١٣ / ٦) ؛ « التابعة : جنية تكون مع الإنسان تتبعه حيثما ذهب » (٧٨ / ٢) ؛ « تزعم العرب أن الجن لا تدخل بيتا فيه الحَزَى » وهو نبات شبه الكرفس (٢٧٤ / ٣) ؛ مداواة داء الكلب (٣٧٥ / ٥) ؛ علاقة الجاهليين بالهلال (٢٧ / ٣) وغيرها .

- عن الشعراء : إبليس امرئ القيس (٢٥٣ / ٥) ؛ قول امرئ القيس عند مقتل والده (٥٢ / ٣) ؛ « كامل » فرس بني امرئ القيس (٣٧٩ / ٥) ؛ « مسحل » اسم جنى الأعشى (١٤٠ / ٣) ؛ اسم ناقة ذى الرمة : « صيدح » (١١٣ / ٣) ؛ عادات الخطابة في النادي (٢٢٢ / ٤) ؛ « دار الندوة » بمكة (٧٦ / ٨) ؛ قصة ذى الرمة مع مية (١٥٦ / ٣) ؛ السمؤول بن عاديا « أوفى أهل زمانه » (٢٦٧ / ٧) وغيرها .

- من القصص : قصة سطيح الكاهن من بني ذئب (١٢٩ / ٣) ؛ قصة ملك اليمن أبرهة حين ساق الفيل إلى « البيت » وأهلكه الله (٤٩ / ٤) ؛ ذو يزن ملك اليمن (٣٨٧ / ٧) قidar جد العرب (١٣٣ / ٥) ؛ « شمر » ملك اليمن (٢٦١ / ٦) ؛ حكاية موت ملك اليمن الحارث بن آكل المرار (٢٦١ / ٨) ؛ حكاية ابن جلا (١٨١ / ٦) ؛ « قُبَاع بن ضبة أحرق أهل زمانه » (١٨٣ / ١) ؛ « هَبْنَقَةُ القيسى » : أحرق بني قيس بن ثعلبة (١١٢ / ٤) ؛ « عوج بن عوق صاحب الصخرة الذى قتله موسى » (١٨٥ / ٢) ؛ قصة الضحَّاك بن عدنان الذى « يقال مَلَكُ الأرض » (٥٨ / ٣) ؛ « تَبَع » : اسم ملك من ملوك اليمن ، وكان مؤمناً « (٧٩ / ٢٠) ؛ مزيقياء « أحد ملوك اليمن (٩٥ / ٥) ؛ قصة الضب « قاضى الدواب والطيور » (١٣٩ / ٣ و ١٤ / ٧) ؛ ذكر « عكراش أرمى أهل زمانه » (٣٠٣ / ٢) ؛ « بساقل » الأحمق (١٧٠ / ٥) ، عرقوب اليشربى « أكذب أهل زمانه موعداً » (٢٩٦ / ٢) ؛ عامر بن الظرب « حكيم العرب » من قيس (١٥٩ / ٨) معلومات عن الأحابيش « الذين انضموا إلى بني الحارث فى حربهم مع قريش (٩٨ / ٣) ؛ أخبار عن حى « جُرْهُم » اليمنى وعن نزولهم فى مكة وزواج إسماعيل فيهم وإلحادهم فى الحرم وإبادة الله لهم (١١٧ / ٤) ؛ ما حدث لجد النبى مع الثريد (٤٠٥ / ٣) قصة موت ملك اليمن أبى يكسوم الحبشى (٤٩ / ٤) ؛ قصة المثل « وافق شن طبقة » (٥٨ / ٥ - ١ و ٢٢٠ / ٦) ، يعمر بن الملوح وتحكيمه بين خزاعة وقصى عند اقتالهم فى أمر البيت (١٦٧ / ٤) ؛ قصة مقتل أحد جلساء النعمان (٢٢٧ / ٧) « وإساف : اسم صنم كان لقريش ، ويقال : إن إسافاً ونائلة كانا رجلاً وامراً دخلا البيت فوجدا خلوة ، فوثب إساف على نائلة فمسخهما الله حجريين » (٣١٢ / ٧) ؛ قصة « سنمار » باني الأطام (٣٤٣ / ٧) وغيرها .

- عن العادات : مواسم أسواق العرب فى الجاهلية وموسم الحج (٣٢٢ / ٧) ؛ « وئيد » البنات (٩٧ / ٨) ؛ « رفادة » قريش (٢٥ / ٨) ؛ و « المرباع كانت العرب إذا غزت أخذَ رئيسهم رُبْعَ الغنيمة وقَسَمَ بينهم ما بقى » (١٣٣ / ٢) ؛ « التلكيم » أوعادات الضيافة عند خولان بن عمرو بن قُضاعة (٣٧٩ / ٥) ؛ قصة رواج الأعراب فى الأحياء (٦٤ / ٣) ؛ زواج امرأة لقيط بن عدى بعد موته (١٤٣ / ٧) ؛ « العدس : بكرة من جنس الطاعون قلما يُسلم منها ، وبها مات أبو لهب » (٣٢١) ، حال « الصعاليك » (٣٧٧ / ٣) ؛ الاستقسام (٣٧٠ / ٧) طمر الماء فى بيض النعام فى الفلوات فى الشتاء (١٢٠ / ٨) وغيرها .

وهى أخبار واسعة تتصل بمعتقداتهم ، أو بقصصهم أو بعاداتهم ، أو بألعابهم سواء للصغار أو الصبيان أو الرجال ، أو تتصل بأيامهم الشهيرة ، أو بأخبار شعرائهم وغيرها .

فهو يبين لنا عدداً من التدابير السحرية التى تؤمنهم المكاره والمخاوف ، كأن يضعوا كعاب الأرناب فى أرجلهم خشية الموت ؛ أو صلاتهم بالجن وطردها ، كأن يضعوا فى البيوت نبات « الحزى » كما يعرض لعدد من عاداتهم فى عبادة الأصنام والذبائح وغيرها ، ويبين لنا شيئاً من عاداتهم فى « وئيد » البنات و « الاستقسام » وزواج الأعراب ، وعادات الضيافة ، وطمس الماء فى بيض النعام فى الفلوات فى

الشتاء ، وقسمة الغنائم وغيرها . أو يعرض لـ « أيام » الجاهلية ، أى وقائعهم فى الحروب القبلية مثل أيام حليلة ، وبزاخة ، والوقيظ ، وعكاظ وغيرها، أو يشرح لنا شيئاً من فنونهم فى القتال ، مثل « المناجزة » أو مسميات الرمى فى النضال، أو أقوالهم فى الغارات وغيرها . أو يوضح لنا جوانب من الألعاب التى مارسوها لاسيما عند صبيان الأعراب، مثل ألعاب « البقيرى » و « المفائلة » و « القلو » و « الطث » و « المخراق » ؛ أو ألعاب الفرسان ، مثل « قصب السباق » و « الطبطابة » و « الأخطار » وغيرها، كما يتوقف أحياناً لسرد قصص الجاهلية ، التى أصبحت

= - عن أيام العرب : « يوم حليلة : وقعة كانت فى الجاهلية » (٢٤٧/٤٣) ؛ أقوال العرب فى الغارات (٧٢/٤) ؛ « المناجزة » فى الحرب (٧١/٦) ؛ « يوم بزأخة من أيام العرب معروف » (٢١١/٤) ؛ مسميات الرمى فى النضال (١٨٦/٤) ؛ عادات الحروب فى الجاهلية والفتح (١٢٢/٦) ؛ « يوم الوقيظ » بين تميم وبكر (٢٠٠/٥) ؛ عن حرب عكاظ (٣٥/٧) ؛ سبب اندلاع الحرب بين بكر وتغلب (٢٠٥/٧) وغيرها .

- عن الألعاب : لعبة الصبيان « المقة » أو المقة (٢١/٥) ؛ لاعب البقيرى (١٥٨/٥) « الجماح » لعبة للصبيان (٨٨/٣) ؛ « السحارة » لعبة للصبيان (١٣٥/٣) ؛ الفشخش فى لعب الصبيان (١٧٢/٤) ؛ لعبة « المفائلة » عند فتيان الأعراب وصبيانهم (٣٣٥/٨) ؛ لعبة « مداد قيس » للصبيان (١٦/٨) ؛ « مخارجة لعبة لفتيان العرب » (١٥٩/٤) ؛ « المخراق » منديل لعبة للصبيان (١٥٠/٤) ؛ لعبة الجنابى (١٤٨/٦) ؛ لعبة « القلو » (٢١١/٥) ؛ لعبة للصبيان العرب (١٧/٤) ؛ « الزدو » من لعب الصبيان بالجور (٣٧٧/٧) ؛ لعبة « الطث » للصبيان (٤٠٣/٧) ؛ لعبة « الطبنة » أو الرحى للصبيان (٤٣٨/٧) « الهباب » لعبة للصبيان العراق (٣٥٦/٣) ؛ « الزوف » أو الخفة فى الفروسية (٣٨٨/٧) ؛ « الرخ » : من أدوات الشطرنج (١٣٩/٤ و ٣٦٢/٧) ؛ « لعبة الشطرنج » (١٤٨/٢) ؛ معلومات عن « قصب السباق » (٢١٣/٤) ؛ « الطبطابة » خشبة الفارس فى لعبة الكرة (٤٠٧/٧) ؛ و « الأخطار » وهو الإحراز فى اللعب بالجور (٢١٤/٤) ؛ الاحتفال عند صيادى الطيور (٣٠٠/٣) ؛ صيد البزاة (١٦١٥) وغيرها .

امرىء القيس ، وإلى « صيدح » ناقة ذى الرمة ، وإلى « مسحل » جنى الأعشى ، وشيطان امرىء القيس ، وإلى ما جرى لذى الرمة مع « مية » ، وإلى حال « الصعاليك » أو إلى عادات جاهلية فى الخطابة أو فى « دار الندوة » بمكة وغيرها .

٥ - (د) ٢ : الأخبار الإسلامية

نقع فى مواد المعجم على معلومات إسلامية فى غير صعيد وميدان (١) ،

« مضرب مثل » مثل : قباع بن ضبة « أحرق أهل زمانه » ، أو عكراش « أرمى أهل زمانه » أو عرقوب « أكذب أهل زمانه موعداً » . أو يروى لنا أخبار ملوك اليمن مثل أبرهة حين ساق الفيل إلى « البيت » فأهلكه الله ؛ أو ذى يزن ، أو شمر ، أو الحارث بن أكل المرار ، أو تبع ، أو ومزيقياء ، أو أبى يكسوم الحبشى وغيرهم . أو يتوقف أمام أخبار شعراء الجاهلية : نتعرف إلى « كامل » فرس

(١) - نبذات عن الأخبار الإسلامية فى « كتاب العين » :

- عن التحريمات : منع الجارية من الصلاة فى بعض الأحوال (٢٩٤ / ١) ؛ نهى النبى عن الإدهان كل يوم (٦٤ / ٤) نهى عن المجئمة (١٠٠ / ٦) نهى الرسول عن الانتباز فى الدُّبَاء والحُثْم والنَّقِير (٨٢ / ٨ - ٨٣) ؛ نهى النبى عن أكل اللحوم الحمر الأهلية يوم خيبر (٩٠ / ٤) إبطال الرسول لمعتقدات جاهلية فى الموت (١٤٠ / ٧) ؛ تحريم العلوج (٢٠١ / ٥) النهى عن التلقى (٢١٦ / ٥) النهى عن المضامين والملاقيح (٥٢ / ٧) ؛ استقباح اللعب فى الرد (٢٢ / ٨) ؛ كراهية الصلاة مع الشملة الصماء (٢٦٦ / ٦) ؛ تهديم الإسلام لحدن الجارية (٢٣٢ / ٤) ؛ عدم نهى النبى لـ « ربة العقرب » (١٠٦ / ٥) ؛ نهى الرسول لبس مناجد من ذهب (٨٤ / ٦) ؛ قتل النبى للفأرة فى الحرم (٨٢ / ٥) ، هُبْل صنم قريش ، وما جرى بين النبى وأبى سفيان يوم أحد (٥٤ / ٤) ؛ رفض النبى القيام بالتسكير (٣٢٩) ؛ « النُّطِيحَة » : ما تناطحا فماتا ، كان أهل الجاهلية يأكلونها فنهى عنها (١٧٣ / ٣) ؛ منع الرسول « بيع المضامين والملاقيح وحبل الحبلّة » (٢٣٧ / ٣) ؛ « خزع » (١١٤ / ١) وغيرها .

- عن القصص : حكاية « عطسة آدم » (٣١٩) ؛ بيت خديجة فى الجنة (٦٨ / ٥) ؛ وصف جهنم (٥٧ / ٢) ؛ وصف خلق السماوات من دون عمد (٥٩ / ٢) ؛ عن « تحكيم » الحرورية (٢٥ / ٣ و ٦٧ / ٣) ؛ « الحَقْظَة » ، وهم الذين يُحْصُونَ أعمال بنى آدم من الملائكة (١٩٨ / ٣) ؛ « الحَيَزُوم » اسم فرس جبريل (١٦٦ / ٣) ؛ قصة عن « آخر الزمان » (١٣٤ / ٣) وغيرها .

- من البيرة : تولع الرسول بالسواك (٢٠٧ / ٢) ؛ قصة غرس النبى لتمر « العجوة » فى المدينة (١٨٣ / ٢) ؛ أوصاف « بريد » الرسول (٢٩ / ٨) . ما قاله الرسول عند الفتح (٩٧ / ٤) ؛ النزول : قصة نزول سورة « عبس » (٣٤٣) ؛ نزول جبريل على النبى (٢٧٦ / ٧) ؛ تبسم الرسول (٢٧٧ / ٧) ؛ ما كان الرسول يصطفيه من الغنيمة بعد الخمس قبل أن يقسم (١٦٣ / ٧) ؛ « الدُّلْدُل » بغلة الرسول (٨ / ٨) وغيرها .

- عن الوقائع الإسلامية : تهديم زياد بن أبيه للمواخير المنصوبة فى البصرة حين قدم إليها عاملاً عليها (٢٦٢ / ٤) ؛ قتل الإمام على لـ « ذى الثُدَيَّة » بالنهروان (٥٥ / ٨) ؛ تعذيب أصحاب النبى لردهم عن دينهم (١٢٧ / ٨) ؛ أحسب أهل زمانه فى عهد الحسن البصرى (٢٩٤ / ٥) ؛ الاستقراض على أعطياتهم فى زمن الحجاج (٢٩٤ / ٨) ؛ يقال للمشركين : عبدة الطاغوت والأوثان ، وللمسلمين : عبَاد يعبدون الله (٤٩ / ٢) ؛ « وكان عبيد الله بن الحسن قاضى البصرة مولعاً بأن يقول : اسفعا بيده ، أى : خلدا بيده فأقماء » (٣٤١) ؛ ما حدث بين أبى دلامة وأبى ليلى ،

الأسواق ، وهو « البيّاب » وعن طلب
 الزواج من العربى فى « كابل » : « وإنما
 الاستفحال على ما بلغنى من أهل كابل
 عن علوجها أنهم إذا وجدوا رجلاً من
 العرب جسيماً جميلاً خلّوا بينه وبين
 نسائهم رجاءً أن يولدَ فيهم مثله .
 أو عن عادة صبيان العرب الذين « إذا رأوا
 سُمانى قالوا : سُمانى قالوا : سمانى
 بُبَادى البُدى لا تُراعى ، أى لا تفزعى
 والبُدى لا تُرى ، ولا يزالون يقولون
 ذلك وهى لابدة ، ويدورون بها حتى
 يأخذوها » وغيرها .

كما يشتمل المعجم على قائمة واسعة
 من التحريمات التى نهى الإسلام عنها ،
 مثل : منع الجارية من الصلاة فى بعض
 الأحوال ، والنهى عن الادهان فى كل
 يوم ، وعن « المُجْتَمَةِ » ، أو عن أكل
 لحوم الحُمُر ، أو عن « التلقى » وغيرها
 الكثير . كما نفع على أخبار من السيرة

مثل المعطيات المتعلقة بـ « البريد » وتفيدنا
 أن للبريد سككاً وأن « لكل سكة منها اثنا
 عشر ميلاً » وأن « السفر الذى يجوز فيه
 قَصْرُ الصلاة أربعة بُرْدٍ ، وهى ثمانية
 وأربعون ميلاً بالأميال الهاشمية التى فى
 طريق مكة » . أو تفيدنا عن « الجهاد » فى
 الرباطات الذى يقوم به « المطوعة » وهم
 « القوم الذين يتطوعون بالجهاد يخرجون
 إلى الرباطات » ، أو عن أوضاع الذميين ،
 وهم « أهل العهد » أو عن عاداتهم مثل
 « التكفير » وهو « إيماء الذمى برأسه »
 أو « الفلس » وهو « خاتم من رصاص
 يُختم به عنقُ من يعطى الجزية » وغيرها .
 أو عن السفن الحربية فى البصرة ، وهى
 « الحَرَاقَات » أى « سفن فيها مرامى نيران
 يُرمى بها العدو فى البحر بالبصرة » وهى
 أيضاً بلغتهم : القلائين والفحامين .
 وعن عادات أهل البصرة وتسمياتهم ، مثل
 الساقى « الذى يطوف عليهم بالماء » فى

= وهو على القضاء (٢٣٠ / ٨) ؛ قصة طلب رجال كابل إخلاء نسائهم بالعرب (٢٣٤ / ٣) ؛ و « مُزاحم أو أبو مُزاحم
 أولُ خاقانٍ ولى التُّركَ وقَاتَلَ العربَ ، فَقُتِلَ زَمَنَ أسَدَ بن عبد الله القسرى » (١٦٧ / ٣) موضع فى البصرة حيث
 نبحت الكلاب على عائشة (٣١٠ / ٣) ؛ إشباع على بن طالب لرفع النون (١٧١ / ٥) ؛ خطب الحسن بن على بن
 أبى طالب أمام معاوية (٢٤٣ / ٥) ؛ ما قاله الإمام على مرة (٢٣٥ / ٧) ؛ « أبو فراس » كنية الفرزدق (٢٤٥ / ٧) ؛
 دواعى تسمية « المهاجرين » (٣٨٧ / ٣) ؛ « المذهب » الشيطان الذى يُفْتَنُ القراء (٤١ / ٤) ؛ « الوَهْط » وهى ضيعة
 عمرو بن العاص فى الطائف (٧٦ / ٤) غزو عمرو بن العاص لأرض فى أرض الشام (١٩٥ / ٧) وغيرها .

النبوية ، مثل تولع الرسول ﷺ بالسواك ، أو غرسه لتمر « العجوة » فى المدينة ، أو ما كان يصطفيه من الغنيمة بعد الخمس ، أو قصة نزول إحدى سور القرآن عليه وغيرها . كما نتعرف على عدد من الوقائع الإسلامية ، سواء ما جرى فى عهد الرسول ، أو فى عهد الخلفاء ، مثل غزو عمرو بن العاص لأرض فى بلاد الشام ، أو قتل الإمام على لذى الشدية بالنهروان ، أو تهديم زياد بن أبيه للمواخير فى البصرة حين حل فيها عاملاً أو الاستقراض على الأعطيات فى عهد الحجاج وغيرها .

٥ - (د) ٣ : أخبار النصارى

إذا كان الخليل ينسب النصارى ^(١) إلى المسيح ، مميزاً بينه وبين « المسيح الدجال » . فإنه يقيم التفريق بين « النصارى » و « النسطورية » (وهم « أمة

- (١) : نبذات عن أخبار النصارى من « كتاب العين » :
- عن العبادات : « الشبر » (القربان - ٢٥٨/١) ؛ « الشبرُ : القربان ، وهو شئ يُعطيه النصارى بعضهم بعضاً يتقربون به » (٢٥٨/٦) ؛ « والحلوان : ما يُعطاه الكاهن ويجعل له على كهنته » (٢٩٥/٣) ؛ « الصليب : ما يتخذه النصارى » (١٢٨/٧) وغيرها .
- عن الأعياد : « الفصح : فطر النصارى » (١٢١/٣) ؛ « الهنَز من » عيد من أعياد النصارى (١٣٠/٤) ؛
- عن رجال الدين : « الرهبانية : مصدر الراهب . والترهب : التعبد فى صومعة والجميع : الرهبان » (٤٧/٤) « الوافه : القيم على بيت النصارى الذى فيه صليهم » (٩٦/٤) ؛ « البيعة : كنيسة النصارى » (٢٦٥/٢) ؛ « العسْطوس من رؤوس النصارى بالنبطية » (٣٢٧/٢) ؛ « الأسقف : رأس من رؤوس النصارى » (٨٢/٥) ؛ « الحواريون : الذين كانوا مع عيسى عليه السلام ينصرونه ، كانوا قسارين . فلما جرى على السنة الناس سُمى كل ناصر حوارياً » (٢٨٨/٣) ؛ « القسُ رأس من رؤوس النصارى . وكذلك القسيس » (١٢/٥) ؛ « الهيكل بيت للنصارى فيه صنم على خلقة مريم عليها السلام فيما يذكر ، قال : مشى النصارى حول بيت الهيكل » (٣٧٧/٣) ؛
- « الشماس من رؤساء النصارى الذى يخلق وسط رأسه لازماً البيعة ، والجميع : الشماسة » (٢٣٠/٦) ؛ « والأبيل : من رؤوس النصارى ، وهو الأبلى » (٣٤٨/٨) وغيرها .
- ويقال : كانت أم مريم تسمى حنة (٢٩/٣) ؛ عمن « المسيح » و « المسيح الدجال » (١٥٦/٣ و ٨٠/٦) ؛ « راحيل » : اسم أم يوسف (٢٠٨/٣) وغيرها .
- عن العادات : من عادات المسيحيين فى الخضوع الدينى (٧٩/٥) ؛ قال الفرزدق :
- وجئن بأولاد النصارى إليكم
حبالى وفى أعناقهن المراضع
- أى : الختم فى أعناقهن (٣٠٠/١ - ٣٠١) ؛ « الرُكوسية : قوم لهم دين بين النصارى والصابئين ، ويقال : هم نصارى » (٣١٠/٥) ؛ « النسطورية : أمة من النصارى يخالفون بقيتهم بالرومية : نسطورس » (٣٣٨/٧) وغيرها .

وهو « المتعبد في صومعة » أو « الوافه »
وهو « القيم على بيت النصارى »
أو « الأسقف » و « القس » و « القسيس »
و « الأييل » و « الشماس » ملاحظاً
أن الأخير منهم « يحلق وسط رأسه »
و « يلزم البيعة » أى الكنيسة . كما يلاحظ
أيضاً أنه يوجد فى الكنيسة « صنم على
خلقة مريم » وغيرها .

٥ - (د) ٤ : أخبار اليهود

يقيم الخليل التمييز بين اليهود (١)

من النصارى يخالفون بقيتهم () ،
و « الركوسية » (وهم « قوم لهم دين بين
النصارى والصابئين ، ويسقال : هم
نصارى ») إلا أن معلوماته عن
« النصارى » تبدو متصلة بأخبارهم سواء
فى النبطية أو الرومية ، لا بمسيحية الجزيرة
العربية . وهو يعدد لنا قسماً من عباداتهم
مثل « القربان » أو « الحلوان » أو عدداً من
رموزهم مثل « الصليب » وخلافه ،
أو أعيادهم مثل « الفصح » وغيره . ويتوقف
أمام رجال دينهم ، مثل « الراهب » ،

(١) : نبذات عن أخبار اليهود فى « كتاب المين » :

اليهود لغة وأصلاً (٧٦/٤) « السبط من أسباط اليهود بمنزلة القبيلة من قبائل العرب وكان بنو إسرائيل اثني عشر
سبطاً (٢١٩/٧) ؛

- العبادات : « الشمعة » قراءة اليهود (٣١٣/٢) ؛ وضع أحد أخبار اليهود سبعين كتاباً من صنوف العلم
(٣٠ / ٥) « النذير » فى الكنائس ، وقد يكون ولداً (١٨١/٨) ؛ « الأسفار أجزاء التوراة ، وجزء منه سفر ، والتوراة
خمسة أسفار أى كتب . سفر يخرج من بنى إسرائيل من مصر وسفر لسيرة الملوك ، وسفر الوصية وسفر مكرر »
(٢٤٧/٧) ؛ « الزبور » كتاب اليهود (٣٦٢/٧) ؛ موارد بنى إسرائيل (٣١٣/٥) ؛ محارب « الصلاة عند بنى
إسرائيل (٢١٤/٣) « صلاة اليهود أو « التهيم » فى يسمهم أى الصلاة بأصوات خفية (٦٠/٤) ؛ « وفى الحديث :
« كأنكم اليهود خرجوا من قهرهم » أى : من موضع مدارسهم الذى يجتمعون فيه كالعيد يصلون فيه » (٤٥/٤) ؛
المحرر فى بنى إسرائيل : النذيرة كانوا يجعلون الولد نذيرة لخدمة الكنيسة ما عاش لا يسعه تركه فى دينهم » (٢٤/٣) ؛
مدينة لوط « سدوم » (٢٣٤/٧) وغيرها .

- قصص : تعليم موسى التوراة لبنى إسرائيل (١٢٩/٥ و ١٣٠) ؛ قصة بغال سليمان بن داود (٣٢١) ؛ قصة
القوم « حذس » البغالين فى عهد سليمان بن داود (١٣١/٣) ؛ عمالقة فى الشام فى عهد موسى ؛ (٣٠١/٢)
« الحفير : نبي معمر ، محجوب عن الأبصار ، وهو نبي من بنى إسرائيل ، وهو صاحب موسى الذى التقى معه
بجمع البحرين » (١٧٥/٤) ؛ قارون المنافق ابن عم موسى (١٤٣/٥) ؛ عن طائر « الحداة » الذى يصيد
الجردان لسليمان بن داود (٢٧٨/٣) « النساة » عصا سليمان (٣٠٦/٧) « الهامة : رأس كل شئ من
الروحانيين » (٩٩/٤) ؛ صنع سفينة نوح (١٦٠/٦) ؛ انتشار نسل فروخ من ولد إبراهيم (٢٥٣/٤) « آصف »
كاتب سليمان (١٦٥/٧) ؛ (٦٠/٤) وغيرها .

من أدوية اليهود (١٧٥/٥) ؛ قلاع اليهود من قريظة (١٧٦/٧) ؛ ما قاله تبع فى يهود المدينة ، بنى قريظة
وبنى النضير (٢١٩/٧) ؛ عيد اليهود يوم السبت (٢٣٨/٧) وغيرها .

للقصص اليهودي ، مثل قصة بغال سليمان بن داود ، أو بناء سفينة نوح ، أو عمالقة الشام في عهد موسى وغيرها .

٥ - (د) ٥ : أخبار متفرقة عن الأقاليم

كما يتبين لنا في نبذات المعلومات هذه ما كان يعرفه الخليل عن أقاليم وشعوب غير عربية أو غدير مجاورة لهم ، أو عن أخبارهم (١) . ونقع في هذه النبذات على الأقاليم التالية : « الترك » ،

عامة وبين يهود قريظه أو المدينة في الجزيرة إلا أن معلوماته تتوقف خاصة عند تاريخ اليهود ، لاسيما الديني منه . فيبين لنا شيئاً عن عباداتهم ، مثل « الشمعلة » أو « التنهيم » أي القراءة في كتبهم الدينية ، وقد تكون « بأصوات خفية » . أو يشرح لنا كتبهم الدينية ، مثل التوراة ، وهي عنده « خمسة أسفار : سفر يخرج من بني إسرائيل من مصر ، وسفر لسيرة الملوك ، وسفر الوصية ، وسفر مكرر » ، أو « الزبور » وغيرها . كما يعرض

(١) : نبذات عن أخبار متفرقة عن الأقاليم في « كتاب العين » :

« الجليل : كل صنف من الناس ، الترك : جيلٌ ، والصين : جيلٌ ، والعرب : جيلٌ » (١٧٩/٦) ؛ « جيلان : جيلٌ من المشركين خلف الديك » (١٧٩/٦) ؛ « والبعل : صنم كان لقوم إلياس » (١٥٠/٢) ؛ « الدّعكسة : لعبٌ أخبار عن ضرب هرقل ، ملك الروم ، ولأول مرة الدنانير ، وعن إحدائه البيعة (١١١/٤) ؛ « المجوس : يدوزون وقد أخذ بعضهم يد بعض الرقص » (٣٠٦/٢) ؛ « البرهمن بالسمية : عالمهم وعابدتهم » (أى فى الهند ١٣٠/٤) ؛ « خاقان : اسم لكل ملك من ملوك الترك » (١٥٢/٤) ؛ « دغاوة : جيل من السودان خلف الزنج فى جزيرة البحر » (٢٣٧/٤) ؛ « القبط أهل مصر وبنكها » (١٠٩/٥) ؛ « نسل الترك والصين (٢٥٧/٥) ؛ « الكرد (٣٢٦/٥) يعود الكبريت الأحمر إلى بلاد « التبت » فى وادى النمل (٤٣٠/٥) الزنج والزنج : جيل من السودان » (٧١/٦) ؛ « السمنية : قوم من أهل الهند لهم دين على حدة ، دهيون » (٢٧٤/٧) ؛ « الزط : جيل من السودان ، وهم جيل من أهل الهند ، إليهم تنسب الشيايب الزطية » (٣٤٧/٧) « قوم يتزلون سواء العراق » (٤٣٩/٧) المثلد : جيل من الهند بمنزلة الكرد يغزون المسلمين فى البحر » (٢٠٤/٨) ؛ « بربر : جيل من الناس سئ الخلق ، ويقال إنهم من ولد بر بن قيس بن عيلان » (٢٦٠/٨) ؛ « التوبة : ضرب من السودان » (٣٧٩/٨) وغيرها .

و « الصين » ، و « قوم إلياس » ،
و « المجوس » و « الهند » ، و « السودان » ،
و « القبط » ، و « الكرد » ، و « الزنج »
و « أهل كابل » . كما يفيدنا عن وقوع
حروب بين هذه الأقوام والمسلمين ،
خاصة في عهد الفتح ، أو عن
عباداتهم . إلا أنها معلومات شديدة
الاقتضاب .

٥ - (هـ) الحساب

يشتمل المعجم على معطيات في
الحساب ^(١) ، سواء أكان الحساب العادى
فى الجمع والضرب والجداء وغيرها
أو « حساب الجمل » . أما عمليات « الجداء »
ف « يقال : جداء عشرة فى عشرة

فيقال : مائة » . و « الجذر » هو
أصله الذى يُضرب بعضه فى بعضه ،
وجملته البرجان . يقال : ما جذر
مائة ؟ فيقال : عشرة » . كما يفيدنا
أيضاً عن « حساب الجمل » ، وهو
« ما قُطع على حروف أبى جاد » .

٦ - التحقق من « كتاب العين »

قمنا فى الفقرات السابقة باستعراض عدد
من الميادين والمعلومات التى يتضمنها المعجم
فى مواد مختلفة ، بحيث بدا لنا المعجم فى
عدد من مداخله اللفظية ، وفى التعريفات
المقابلة لها ، أشبه بموسوعة ثقافية منه
بمعجم مرادفات . وأفادنا هذا العرض فى
التعرف إلى جوانب من الخلفية الثقافية
و اللغوية التى ينهض عليها « كتاب العين »

(١) : نبذات عن الحساب فى « كتاب العين » :

« هَوَز : حروف وضعت لحساب الجمل ، الهاء : خمسة ، والواو : ستة ، والزاي : سبعة » (٧٣/٤) ؛
« الواحد : أول عدد من الحساب » (٢٨١/٣) ؛ عن العدد (٢٨٦/١) « ويقولون : عشرة دراهم وزن سبعة ، لأنهم
جعلوا عشرة دراهم وزن سبعة مثاقيل » (٣٤٥) ؛ « الكسر من الحساب : ما لم يكن سهماً تاماً ، وجمعه كسور »
(٣٠٧/٥) ؛ « الكُنْدُر : ضرب من حساب الروم » (٤٢٩/٥) ؛ « الجذر » (٩٣/٦) ؛ حساب البرجان (١١٥/٦) ؛
« الجُمْلَة : جماعة كل شئ بكماله من الحساب وغيره » (١٤٣/٦) ؛ « حساب الجمل : ما قُطِع على حروف
أبى جاد » (١٤٣/٦) ؛ « الضاد مع الصاد معقوم ، لم تدخل معاً فى كلمة من كلام العرب إلا فى كلمة واحدة
وُضِعَتْ مثلاً لبعض حساب الجمل ، وهى « صغفص » هكذا تأسيسها ، ويبان ذلك أنها تُقَسَّرُ فى الحساب على أن
الصاد ستون ، والعين سبعون ، والفاء ثمانون ، والضاد تسعون ، فلما قُبِحَتْ فى اللفظ ، حُوِّكَت الضاد إلى الصاد
فقليل : « صغفص » (٥/٧) ؛ « الجداء : مبلغ حساب الضرب ، ثلاثة فى اثنين ، جداء ذلك : ستة » (١٦٩/٦) وغيرها .

بقدر ما أتاح لنا تبين « زمنيته المعرفية » .
هل يمكننا القول ، بعد هذا الاستعراض ،
ما إذا كانت هذه الأصول اللغوية والثقافية
« أصلية » أم « مزيدة » : هل أضاف
الشراح والنساخ على المادة الأصلية ؟ هل
نجد في هذه المادة معلومات لا ترقى إلى
معارف الخليل في عصره ، بل إلى عصور
لاحقة عليه ؟

لا نقوى على التوقف أمام هذه
المعلومات : فهي واسعة تطاول ميادين عدة
من المعارف والأخبار ، من جهة ، عدا أننا
لا نستطيع دائماً ، ولا نملك بالضرورة من
المعلومات الموثقة عن معارف عصر الخليل
ما يمكننا من إجراء المقارنات والمقابلات
التي ندعو إليها . فنحن نشك في زيادة
عبارة هنا أو هناك في المعجم أضافها
النساخ ، مثل وقوعنا في مواضع محدودة
في المعجم على عبارتي « أهل الكوفة »
و « أهل البصرة » في النحو ، ذلك أن
قيام هاتين المدرستين وتعيينهما على هذه
الشاكلة حصل بعد موت الخليل ، لا في
زمانه .

نشك في هذه الزيادات ، كما نشك .

في غيرها من سقطات المعجم في طبعته
المحققة : فقد أفادتنا المصادر أن الخليل ،
على ما قال ابن سلام في « طبقات فحول
الشعراء » ، « استخرج من العروض ،
واستنبط منه ومن علله ما لم يستخرج
أحد ، ولم يسبقه إلى مثله سابق من العلماء
كلهم » (١) وأفادتنا المصادر أيضاً أن
« الأخفش » زاد بحراً شعرياً واحداً ، هو
« المتدارك » ، على قائمة البحور الشعرية
التي استخرجها الخليل . نتأكد من وجود
هذه البحور في المعجم (ومن وجود غيرها
في أمور العروض والقافية وخلافها مما
يتصل بالشعر) إلا أننا لا نجد أثراً يذكر
للبحور التالية : « الطويل » في
مادة « طول » (٤٤٩/٧ - ٤٥١) .
و « الكامل » في مادة « كمل »
(٣٧٨/٥ - ٣٧٩) ، و « السريع » في
مادة « سرع » (٢٣/١ - ١٣٣) ، و « الخفيف »
في مادة « خف » (١٤٣/٤ - ٤٤) ،
و « المضارع » في مادة « ضرع »
(٢٦٩/١ - ٢٧٠) ، و « المقتضب » في
مادة « قضب » (٥٢/٥ - ٥٣) وغيرها .

يمكننا أن نتساءل ، بالمقابل ، عن
غياب عدد من المعطيات عن الألمان

(١) محمد بن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ،

والأنغام فى المعجم المحقق ، بعد أن أفادتنا المصادر عن مساهمات الخليل ، بل عن وضعه مؤلفاً فى هذا الميدان .

أهى زيادات وهفوات النساخ ؟ يمكننا أن نثير هذا السؤال ، إلا أن هذه الملاحظات لا تتصل - على قيمتها - بمراد المعجم الأساسى ، وهو ضبط ألفاظ العربية ، « بحيث لا يخرج منها شيء » ، حسب عبارة الخليل نفسه فى تقديم معجمه . ولكن أهو معجمه حقاً ؟

لا يتوانى عن طرح هذا السؤال علماء ودارسون ، قدامى ومحدثون ، منذ وصول نسخة « كتاب العين » إلى البصرة فى سنة ٢٤٨ هـ ، من دون أن تصل هذه التحقيقات - على قيمة بعضها - إلى حل ناجز . إلا أنه بدا لنا مفيداً ، قبل السعى فى عملية الإجابة هذه ، أن نتبين حدود المشكلة المطروحة ، فلا تبدد الشكوك - وهى مصيبة وذات نفع فى بعض الأحيان - أو لا تأخذ معها ... « كتاب العين » برمته .

يمكننا أن نتحدث عن هفوات وزيادات وأخطاء مطبعية فى طبعة « العين »

المحققة - على الرغم من عمل المحققين المضى والثمين فى التحقيق والتصحيح - من دون أن تغضى هذه المعايير من قيمة الكتاب المحقق بفضل جهود هذين العالمين خاصة وأنهما أعادا إلينا هذا المعجم الفريد فى أسبقيته ، فى غنى مواده اللغوية وهى طريقته المبتكرة فى إحصاء العربية . ونحن لا نسوق هذا الكلام من باب التجامل أو اللياقات الاجتماعية ، بل لأننا وجدنا أن نقد « كتاب العين » ، على الرغم من وجاهته وجديته أحياناً ، بلبل أكثر مما أوضح واقع المشكلة وحدودها .

انشغل القدامى والمحدثون بملاحظة بعض ظواهر التخليط فى مواد المعجم أو الزيادات فيه ، أكثر مما اشتغلوا على التحقق من مواده الأصيلة والنافعة إذا جاز القول . فلا تفتح كتاباً فى النحو واللغة والمعاجم فى العربية ، إلا وتلقى القسم الغالب من المادة المخصصة لـ « كتاب العين » مقتصراً على التشكيك به . وهو تشكيك يطيح بـ « إجمالى » الكتاب ، إذا صح القول ، لا ببعض بنوده وفقراته وحسب ، على غرار ما فعله ابن جنى ،

حين أنكر صدوره عن «الفراهمي» .
سارع الكثيرون إلى ملاحظة هذه النقيصة
أو تلك ، غافلين في بعض الأحيان عن
الحقيقة التالية . وهي أن مجمل المعاجم
العربية اتخذت من كتاب «العين» في
نسخه المتوافرة أساساً ، أو صلباً تكونت
حوله موادها المعجمية فلا نفتح ورقة
من «المخصص» ، أو من «تهذيب اللغة» ،
أو من «لسان العرب» وغيرها إلا ونقع
على نقول من «كتاب العين» . ينكرونه
وهو في أساس تأليفهم !

ولم يتأخر المحققان العراقيان عن
القول في تقديمهما للطبعة المحققة :
«ولكننا حين نتصفح «تهذيب اللغة»
ونقابه بما في «كتاب العين» نعجب من
أمر الرجل الذي حاول في غير ذكاء أن
يجمع بين تحامله على «الليث» وغضبه من
شأنه ، ونهب ما في كتابه ، على حد
زعمه ، ليسنى كتابه عليه . لقد كان
«العين» بكل ما فيه من ترجمات وبيانات
وتفسيرات أساس كتابه الذي لم يزد عليه
إلا روايات ونقولا من غير الخليل ، ولم
يضيف شيئاً على ما فعله الخليل الذي

يسميه بالليث أو بابن المظفر إلا مفردات
أهمها الخليل . أما ما كان يرد به على
الليث ، ويزعم أنه مصحف أو أنه غير
معروف فأكثره مزاعم يبطلها مراجعة
نصوص «العين» . وقد وضع لدينا
في كثير من الأحيان أن الأزهرى كان
لا يتوانى عن النيل من «العين» أو نسبة
التخليط إليه ولو باطلاً» (١) .

أنكر هذا العالم أو ذاك ورود هذه
العبارة أو تلك في «كتاب العين» . إلا
أن أحداً لم ينكر «عربية» هذا المؤلف .

تناولت الانتقادات إمكان نسبة بعض
الاجتهادات النحوية أو تلك في المعجم
للمدرسة الكوفية لا للخليل ، من دون أن
يتوقف أحدهم للإشارة إلى أن هذه
الاجتهادات لا تقع خارج العربية بل في
صلبها . وهي اجتهادات قد تثير شكوكاً
حول نسبتها إلى الخليل (على الرغم من
كون الاجتهادات الكوفية لم تكن بينة بعد
في عهده ، بحيث تنسب لـ «أهل الكوفة»
لا له) ، لا إلى علم العربية على أية حال
كما أنكر هذا الدارس أو ذاك ورود نقول
في «كتاب العين» عن أعراب لم

(١) في مقدمة «كتاب العين» ، ص ٢٠ - ٢١ .

يشافهم الخليل ، من دون أن ينكر . . .
عربية هذه النقول .

نخرج من هذا القول إلى الاستنتاج
التالى . وهو أن « كتاب العين »
موضوع ، فى أصعب الاحتمالات ، فى
العقد الخامس من القرن الثالث الهجرى
(متخذين من وصول نسخته إلى البصرة
فى سنة ٢٤٨ هـ مؤشراً زمنياً للتأليف) ،
وأنه منسوب فى مادته اللغوية إلى جمع
من العلماء العرب ، بالإضافة إلى الخليل
والليث .

هذا هو الحد التعريفى الأدنى
لـ « كتاب العين » ، ولكن ، ألا يسعنا
الوصول إلى حد تعريفى أعلى ، بعد
مطالعتنا الناجزة لأجزائه الثمانية المطبوعة ؟
فمثل هذا الحد يقصر مشكلة المعجم
فى فترة زمنية لا تتعدى الثمانين عاماً
(بين وفاة الخليل ووصول النسخة إلى
البصرة) ، وفى عدد من العلماء إلى
جانب الخليل والليث . ولكن ألا نقوى
على تعيين أدق للفترة الزمنية ، ولمشاركات
العلماء فى صياغته ؟ هل يمكننا تعيين
زمن تأليف « كتاب العين » ؟

٦ - (أ) زمن التأليف

إن طرح هذا السؤال قد يثير المشكلة
تعقيداً : كيف لنا أن نعرف هذا الزمن إذا
كنا مختلفين حول ظروف تأليف الكتاب
أساساً ؟ ! قد لا نقوى على الإجابة
الأكيدة فى هذا الشأن ، إلا أننا وقعنا فى
« كتاب العين » على مؤشر زمنى يستحسن
التوقف عنده ، وهو التالى : « باب الغين
والكاف : وهو مهمل إلا الكاغد وهى
خراسانية » (ص ٣٥٦ / ٤) . المؤشر
لافت فى قيمته ، ذلك أنه لا يعين لنا
ورود هذه العبارة وشيوعها فى « خراسان »
وحسب ، بل يشير أيضاً إلى أمر أهم ،
وهو أنه يعين لنا معرفة أهل خراسان
بالورق . كما تقع فى مادة « ورق » على
المعطيات اللغوية التالية : « الورق : آدم
رقاق ، منها ورق المصاحف ، والواحدة
من كل هذا ورقة . والوراقة : صنعة
الوراق » (ص ٢٠٩ / ٥) . وهذه المادة
اللغوية لافتة هى الأخرى فى قيمتها ، إذ
تعين لنا وجود عبارة عربية لتسمية
حوامل الكتابة ، لاسيما المصاحف منها ،
ما يفيدنا فى تبين معرفة المسلمين ، لا فى

خراسان وحدها بل فى المناطق العربية
أيضاً ، بالورق . ماذا تفيدنا هذه
المعطيات ؟

إنها تعرض لنا معرفة قابلة للتعين
التاريخى ، ذلك أنه ما أُتيح للمسلمين
التعرف إلى مادة « الكاغد » وصناعته فى
بلدانهم قبل سنة ١٣٤ هـ ، إثر الواقعة
الحربية التى جرت بين العرب بقيادة زياد
ابن صالح وبين أمراء الترك وحلفائهم
الصينيين على ضفاف نهر طراز ، كما
أفادت المراجع العربية والصينية . ففى هذه
الواقعة وقع عدد من الأسرى الصينيين فى
أيدي العرب ، وجيء بهم إلى « سمرقند »
حيث عملوا فى صناعة « الكواغيد » على
ما أفادنا صاحب « المسالك والممالك » ،
« ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة ، حتى
صارت متجراً لأهل سمرقند ، فعم خبرها
والارتفاق بها جميع البلدان فى الآفاق » .
غير أن صناعة الورق وخلافه لم تقتصر
على سمرقند بل تعدتها ، مع قيام العهد
العباسى ، إلى بغداد وغيرها ، حيث أقام

فيها أحد البرامكة أول معمل لصنع الورق .
إن ورود هذه المعلومات فى « كتاب العين »
يقودنا إلى القول ، إلى تقديم الفرضية
التالية : جرى تأليف هذا المعجم حتى
جزئيه الرابع والخامس على الأقل بعد
سنة ١٣٤ للهجرة على الأرجح .

٦ - (ب) نسبة الكتاب

ولكن لنعد إلى الموضوع الأساسى ،
موضوع نسبة الكتاب إلى الخليل . فلقد
تناولت « كتاب العين » كما أسلفنا
القول ، شكوك تتصل فى نسبته : أهو
للخليل وحده ؟ أم للخليل مع الليث
بهدى من الخليل وتوجيهه ؟ أم لليث
وحده ، أو جمع من العلماء ؟ هل وجدنا
فى الطبعة المحققة من المعطيات ما
يساعدنا فى مسعانا هذا ؟

تتعدد الروايات حول نسبة الكتاب :

- فمنهم من نفى صلة الخليل به تماماً

مثل ابن جنى (- ٣٩٢ هـ) الذى قال :

« وإن كان للخليل فيها عمل ، فإنما هو أنه

أوماً إلى عمل هذا الكتاب إيماء ، ولم يله

بنفسه ولا قرره ولا حرره » (١) ؛

(١) فى « الخصائص » ص ٢٨٨/٣ .

- ومنهم من قال إن الخليل وضع
رسم الكتاب من دون حشوه بسبب الموت
الذى عاجله ، فأكمل الليث الكتاب ،
وقد ورد خبر هذا الزعم فى الرواية التالية :
قال ثعلب (- ٢٩١ هـ) : « إنما وقع
الغلط فى كتاب العين لأن الخليل رسمه
ولم يحشه » (١) ؛

- ومنهم من قال إن الخليل وضع
قسماً من الكتاب ، ثم ما لبث الليث أن
أكمله : قال الأزهري (- ٣٧٠ هـ) :
« ولم أر خلافاً بين اللغويين فى أن
التأسيس المجلد فى أول كتاب العين لأبى
عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، وأن ابن
المظفر أكمل الكتاب » (٢) ، ولهذه الرواية
صيغة أخرى ، بل « طريفة » ساقها ابن
المعتر (- ٢٩٦ هـ) ، وتفيد أن زوجة
الليث غارت من جارية اشتراها ، فأغاظته
بإحراق نسخة العين الوحيدة التى كانت
بحوزته ، « فاستدرك النصف من حفظه ،
وجمع على النصف الباقي علماء أهل
زمانه » (٣) ؛

- ومنهم أيضاً من أكد نسبة هذا

الكتاب للخليل ، مثل ابن دريد
(-٣٢١هـ) : « وقد ألف أبو عبد الرحمن
الخليل بن أحمد الفراهيدى رضوان الله
عليه كتاب العين ، فأتعب من تصدى
لغايته ، وعنى من سما إلى نهايته ،
فالم نصف له بالغلب معترف ، والمعاند
متكلف ، وكل من بعده له تبع ، أقر
بذلك أم جحد » (٤) . فما يمكننا أن
نقول فى أمر هذه النسبة ؟

قلة من العلماء أخذت بموقف
ابن جنى ، الذى قصر دور الخليل فى
وضع « كتاب العين » على دور « إيماء » .
ماذا يعنى الإيماء فى هذه الحالة ؟ أليس
هو صيغة أكثر تخفيفاً مما هى عليه الصيغة
الأخرى التى تقول بوجود فارق بين
« رسم » المعجم « الذى خطه الخليل »
و « حشوه » (الذى وضعه الليث) ؟
ما نتبينه واقعاً فى هذه الصيغ المختلفة
هو أنها ليست سوى « تقديرات ظنية » ،
بل ... روائية أحياناً مع ابن المعتر . يعود
السبب الأساسى لاختلاف العلماء فى أمر
نسبته إلى وصول الكتاب « المتأخر » إلى

(١) فى « مراتب النحويين » ، ص ٥٧ .

(٢) فى « تهذيب اللغة » ، ص ٢٨/١ .

(٣) فى « المزهر » للسيوطى ، ص ٣٩/١ .

(٤) فى « الجوهرة » ، ص ٣/١ .

البصرة ، ما أثار الشكوك حوله ، وما منع بالتالى من توفر « شهادات » تؤكد أو تنفى ، أى تجلب ما يفيد من الأخبار والمعلومات عن وضع الكتاب . وأدى هذا الوصول المتأخر إلى إحداث البلبلة من جهة ، وإلى فتح باب الاجتهادات من جهة ثانية . ولكن ألا توجد « شهادات » مجالية للخليل أو لليث نفسه تؤكد أو تنفى أو تصحح هذه الصيغ أو بعضها ؟

وصلت نسخة « العين » إلى البصرة فى ٢٤٨ هـ . كما أسلفنا القول ، أى بعد وفاة الخليل والليث . إلا أن هذا لا يعنى أن مجالى الخليل أو عدداً من تلامذته لم يعرفوا هذا الكتاب . أفاد ابن النديم عن أبى بكر بن دريد أنه « كان سمع بهذا الكتاب »^(١) قبل وصوله إلى البصرة ، وأنه كان موجوداً فى « خراسان فى خزائن الطاهريين » . إلى هذا ، ورد فى « الفهرست » أيضاً خبر مفاده أن النضر ابن شميل (٢٠٣ - هـ) وضع كتاباً موسوماً « المدخل إلى كتاب العين »^(٢) .

إلا أن الأخبار متضاربة حول النضر ، فهو أنكر فى حديث مروى عنه معرفته بـ « كتاب العين » : « سئل عنه فأنكره » فقل له : لعله ألفه بعدك ، فقال : أو خرجت من البصرة حتى دفنت الخليل »^(٣) . فكيف وضع مدخلاً لكتاب أنكره ؟ نميل إلى القول ، بعد الأستاذ محمد حسين آل ياسين ، بأن الخبر الأخير المروى عن النضر مختلق تماماً : « فكيف يسأل عن كتاب لا علم لأحد به حتى ذلك التاريخ ؟ »^(٤) . ولعل النضر عرف بوجوده حين أقام فى خراسان ، وفى مرو ، حتى مات فيها فى ٢٠٣ هـ .

تناولت الشكوك النسخة التى وصلت البصرة ، من دون أن يقوى أحد من تلاميذ الخليل أو من مجعليه - فيما عدا النضر بن شميل على الأرجح - على التدخل فى هذا الجدل : وصلت النسخة فى ٢٤٨ هـ ، وتوفى سيويه فى ١٨٠ هـ ، ومؤرج فى ١٩٥ هـ ، والأخفش فى ٢١٥ هـ .

(١) فى « الفهرست » لابن النديم ، ص ٦٤ .

(٢) م . ن . ، ص ٥٨ ؛ وورد خبره أيضاً فى « معجم الأدباء » ٢٤٣/١٩ .

(٣) فى « معجم الأدباء » ، ص ٥١/١٧ .

(٤) فى كتابه « الدراسات اللغوية عند العرب » ، ص ٢٣٨ .

ألا تجلب إلينا طبعة « العين » المحققة شيئاً من الإجابة على هذا السؤال ؟

٦ - (ج) أسانيد « كتاب العين »

بدا لنا مفيداً التوقف أمام « الأسانيد » التي يعود إليها الخليل ، والواردة في الطبعة المحققة ، للتأكد منها (خاصة وأن لشكوك طاولتها في بعض الأحيان) ، وتبين قيمتها ، وتعين جهد الخليل بالتالي في التاريخ اللغوي والمعجمي العربي . ماذا عن مراجعته اللغوية ؟ عمن أخذ ؟ لا يتأخر الخليل في غير موضع من معجمه عن الإشارة إلى أنه هو الذي جمع وقيد هذا المعنى أو ذاك ، أو يفيد ، على سبيل المثال ، أن هذا المعنى يرد في كلام « العامة » و ينفي أحياناً ما لم يبلغه : « (. . .) . لم أسمع منه فعلاً » ، أو يورد أقوالاً مما كان يسمعه في البصرة ، أو ما جمعه من بوادي الحجاز ولجد وتهامة (١) .

إلى هذا يتضمن المعجم في غير موضع من متن التعريفات أقوالاً أو أسانيد

(١) : سماع الخليل عن الأعراب :

« لم أسمع له فعلاً » (٣٩٢/٣) ؛ « والعبارة نفسها في (٣٩٣/٣) وقد سمعناهم يقولون : نَعْسَان ونَعْسَى ، حملوه على وَسْنَان ووَسنَى ، وربما حملوا الشيء على نظائره ، وأحسن ما يكون ذلك في الشعر » (٣٣٨/٣) ؛ وسمعت أهل البصرة يُخطئون من يقول الجهاز بالكسر » (٣٨٥/٣) ؛ « وسمعتنا من فصحاء العرب من يقول : » (٢٢٤/٢) ؛ « قال الخليل : سمعت كلمة شنعاء لا تجوز في التأليف الرباعي . سئل أعرابي عن اقته فقال : تركتها ترعى العُحُخُ ، فسألنا الثقة من علمائهم فأنكروا أن يكون هذا الاسم من كلام العرب . وقال القَدْ نهم : هي شجرة يُتداوى بورقها ، وقال أعرابي : إنما هو الحُخُخُ ، وهذا موافق لقياس العربية » (٢٧٤/٢) ؛ « . . . إنما الاستفحال على ما بلغني من أهل كابل . . . » (٢٣٤/٣) ؛ « رأيت يمانياً سئل عن هجائه فقال : . . . » (٤٢١/٨) وغيرها .

(٢) : علماء اللغة والأعراب الرواة في « كتاب العين » :

- ابن سيرين : ٢٣/٧ وغيرها .
- ابن عباس : ١٦٨/٣ ، ٦٢/٤ وغيرها .
- ابن القرية : ٧٤/٢ ؛ ٢٤/٦ وغيرها .
- ابن مسعود (القارئ) : ١٩٢/٥ وغيرها .

لغوية لعدد من الخلفاء والصحابة مثل : عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب وزيد ابن ثابت والحجاج بن يوسف وخالد ابن صفوان وغيرهم . أو يعود إلى تفسيرات أو تعاليل لغوية أو معجمية للغويين ومفسرين مجاليلين أو سابقين له مثل أبي الدقيش والحسن البصري ومالك ابن نويرة ونصر بن سيار وابن عباس وأبو هريرة وأبو بكر بن سيرين وأبي عمرو بن العلاء وسيبويه والأصمعي وغيرهم .

إذا كنا نتبين في قائمة الأسماء هذه عدداً من اللغويين المعروفين ما لا نحتاج للتعريف بهم ، مثل ابن عباس ، أول المفسرين ، وأبي عمرو بن العلاء (٦٨ - ١٥٥ هـ) ونصر بن سيار (والد الليث) وغيرهم ، فإننا نقع على عدد من الأعراب ممن أخذ عنهم الخليل أو غيره ، سواء أكانوا في البصرة أو خارجها (٢) . من هؤلاء الأعراب نتعرف إلى :

- = - أبو خيرة : ٨٤/٢ ؛ ٢٥٠/٢ ؛ ٣١٦/٣ ؛ ٢٣٤/٥ ؛ ٢٦٨/٨ ؛ وغيرها .
- أبو الدقيش : ٣٣١/١ ؛ ٢٨٨/١ ؛ ١٨١/٢ ؛ ٢٥٠/٢ ؛ ٢٧٢/٢ ؛ ٣٠٩/٢ ؛ ٣٨/٣ ؛ ١٥١/٣ ؛ ٣٠٩/٣ ؛ ٣١٦/٣ ؛ ٤١١/٣ ؛
- « قال الخليل لأبي الدقيش ... » (٣٥٢/٣) ؛ يقول أبو الدقيش : « كلمة لم أسمعها من أحد » (٩٣/٤) ؛
- « سمعتُ أبا الدقيش يقول : ... » (١٢٢/٤) ؛ « سألتُ أبا الدقيش عن ... » (٢٧٧/٣) ؛ « حكاه لنا أبو الدقيش ، فلبسَ كساءً له ، ثم جلسَ جلوسَ العروس ، على المنصة ، وقال : هكذا يكُمخُ من البأو والعظمة . قال العجاج ، ديوانه ، ص ٤٦٠ و ٤٦١ :
- إذا أَرَدَها هُمُ يَوْمُ هَيَجَا أَكْمَخُوا
بأوا وَمَدَّتْهُمُ جِبَالٌ شُمَخُ » (١٥٧/٤) ؛
- « قال : من مائة رُكْعٍ بِمَرِيخٍ غَالُ
وسألتُ أبا الدقيش عن هذا البيت بعينه فقال : الزَّلْعُ أَقْصَى غَايَةِ الْمَغَالِي » (٢٠٩/٤) ؛ « قلتُ لأبي الدقيش : ما الدَّقْشُ والدَّقِيشُ ؟ ... » (٣٤/٥) ؛ « هكذا أخبرني أبو الدقيش » (٨٣/٥) ؛ « سألتُ أبا الدقيش عن قول أبي داود ... » (٨٥/٥) ؛ « قال أبو الدقيش تزوجت جاريةً شابةً فلم يكن عندي شيءٌ فركضت برجليها على صدري ثم قالت : يا شيخ ما أرجو بك ، أي : ما أرجو منك » (٣٠١/٥) ؛ « قال أبو الدقيش : كان يكون بفناء كلِّ حَيٍّ دُكَّانٌ عليه المأكُلُ والمَشْرَبُ ، فذلك الطلل ، قال جميل ، ديوانه ، ص ١٨٨ :
- رَسَمُ دَارٍ وَقَفْتُ فِي طَلَلِهِ
كَدْتُ أَقْصَى الْغَدَاةِ مِنْ جَلَلِهِ »
- (٤٠٤/٧ و ٤٠٥) ؛ ٢٣١/٥ ؛ ٢٣٤/٥ ؛ ٤٢٣/٤ ؛ ٢٦٤/٥ ؛ ٣٢٢/٥ ؛ ٣/٦ ؛ ٤٣/٦ ؛ ٨٢/٦ ؛ ١١٢/٦ ؛ ٢١٦/٦ ؛ ٢٣٩/٦ ؛ ٢٩٩/٦ ؛ ٢٨٨/٧ ؛ ٢٩٧/٧ ؛ ٤٢٢/٧ ؛ ١٥٩/٨ ؛ ٢٩٦/٨ ؛ ٣٠٥/٨ ؛ ٤١٣/٨ ؛ وغيرها .
- أبو سعيد : ٩٨/١ ؛ ١٠٩/١ ؛ ١٩٤/١ ؛ ١٩٢/١ ؛ ٢٩٥/١ ؛ ٢٧/٦ ؛ ٢٨/٦ ؛ وغيرها .
- أبو عبد الله : ٣٠٦/١ ؛ ١٠/٢ ؛ ١٢٤/٢ ؛ ١٨٤/٢ ؛ وغيرها .
- أبو عبيد : ٩٨/١ ؛ وغيرها .
- أبو عبيدة : ٢٤٥/٤ « قال أبو عبيدة : كان الحسن يقرأ .. » (٥٩/٥) ؛ وغيرها .
- أبو عمرو : « روى عن أبي عمرو » (٢٥٥/٢) ؛ « روى عن أبي عمرو ... » (١٦٠/٣) ؛ « قال أبو عمرو : أنشدتني امرأة من حمير وهي تُرَقِّصُ ابنا لها ... » (٢٨٩/٣) ؛ ٢٠٤/٤ ؛ ٨٣/٧ ؛ ١٥١/٧ ؛ ٨٤/٨ ؛ وغيرها .
- أبو هريرة « قيل لأبي هريرة : أنت سمعته من رسول الله (ﷺ) فقال : فما طَهَّوِيْ إِذْن ، أي فما عملتي إن لم أحكم هذه الرواية عنه كإحكام الطاهي للطعام » (٧٥/٤) ؛ غيرها .
- أبو ليلى :
- المجلد الأول : ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٤ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ (٣ مرات) ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٩٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥ (مرتان) ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧ ، ٣٤٢ (مرتان) ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٤٤ (مرتان) ، ٢٩٥ ، ٣٠٦ ، « لم يعرفه أبو ليلى ولا عرام » (٣٠٥) ، « لم يعرفه أبو ليلى ، وعرفه عرام » (٣١١) ، « لم يعرفه أبو ليلى ، وعرفه عرام » (٣١٥) ، « لم يعرفه عرام ولا أبو ليلى » (٣٢٥) ، ٢٨٧ ،
- المجلد الثاني : ٢٧/٨ ، ٥٩ ، ١٥٥ (مرتان) ؛ ٣٧٩/٨ ، ٣٨٦/٨ ، ٣٩٤/٨ ؛ وغيرها .
- الأصمعي : ١٨٥/١ .
- أعرابي : ١٣٥/١ .
- الحسن البصري : وروى عن الحسن : « راعنا » بالتثوين وبغير التثوين « (٢٤١/٢) ؛ « وكان الحسن يقرأ : ... » (٢٢١/٤) ؛ ١٢٢/٥ ؛ « وفي حديث الحسن ... » (٢٢٤/٥) ؛ « في تفسير آية قرآنية (٢٢٨/٥) ؛ « وكان الحسن إذ سُئِلَ في فَرِيضَةٍ .. » (٢٩٤/٥) ؛ « وفي حديث الحسن . » (١٦٢/٧) ؛ =

-
- ١٥٤/٦ = ٣١٣/٥ ؛ ٣٢٨/٥ ؛ ١٨٠/٦ ؛ ٢٧٢/٦ ؛ ١٠٤/٧ ؛ ١١٠/٧ ؛ ٢٢٥/٧ ؛ « روى عن الحسن أنه قال .. » (١٨/٨) ؛ « وفي مواعظ الحسن ... » (٣٣٨/٨) ؛ ١٢٨/٨ ؛ ٢٧٧/٨ ؛ ٣١٧/٨ وغيرها .
- حماس : ٣٦٧/١ « قال حماس وأرويه أيضاً » (٤٠/٢) ؛ ٥٧/٢ ؛ « الشث : شجر طيب الريح مر الطعم ، ينبت في جبال النور ونجد ، قاله أبو الدقيش .. قال حماس : الشث لا ينبت في نجد » (٢١٦/٦) ؛ ٢٥١/٦ ؛ ٢٨٠/٦ ؛ ٢٨٤/٦ ؛ ٣٦٨/٨ وغيرها .
- الراجز : ٦٦/١ وغيرها .
- رافع : ١٠٩/٢ .
- رائدة :
- المجلد الأول : ٨٩ ، ٩٣ (مرتان) ، ٩٧ (مرتان) ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٧٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ (مرتان) ، ٣٢١ ، ٣٢٤ ، ١٤١ ، ٣١٤/٢ ؛ ٣٣٤ ، « قال رائدة : البلعوم باطن العنق كله ، وليس كما قال » (٣٤١/٢) ؛ ٣٤٦ ، ٣٤٧ ؛ ٩٦/٣ ، ١١٥ ،
- المجلد السادس : ١٢ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٣ (مرتان) ؛ ٣٤ (مرتان) ٣٨ ، ٤٦/٦ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ، ١٩٥/٧ . وغيرها .
- زيد بن ثابت : « كنت أجمع القرآن من اللخاف وصدور الرجال » (٢٦٥/٤) ؛
- الساجع : ٦٦/١ ؛ ٩٥/٢ ؛ ٢٦٦/٢ ؛ ٣١٩/٨ وغيرها .
- سيويه : ٢٠٠/١ .
- شجاع : ٣٥٣/١ ؛ ٣٠٣/١ ؛ « لا أعرفه ولكن أعرف .. » (١٢٢/٢) ؛ ١٣٤/٢ ؛ ١٣٧/٢ ؛ ١٤٩/٢ (مرتان) ؛ ٣٢٧/٢ وغيرها .
- شريح : ١٤٤/٦ ؛ ١٤٧/٧ وغيرها .
- الضير :
- المجلد الأول ٩٧ ، ١٤٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٦ (مرتان) ، ٢٧٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٦ ،
- المجلد الثالث : ٢٨ ، ٩٢ ، ٢٧٤ ؛
- المجلد الرابع : ٢٢٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٦ ، « سمعت أبا عمرو يقول .. » (٤٢١/٤) ؛ ٤٢٤/٤ ،
- المجلد الخامس : ٢٧٣/٥ ، ٣٣٠/٥ ، ٣٦٩/٥ ،
- المجلد السادس : ٢٩/٦ ، ٧٢/٦ ، ٢٩٨/٦ .
- المجلد السابع : ٢٧/٧ ، ٣٨١/٧ .
- عبد الله (راوية) : ٢٠٦/٢ ،
- عرام السلمى :
- المجلد الأول ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٨ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٣٦ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٨٩ ، ٢٠٧ ، ٢١٨ ، ٢٣١ (مرتان) ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٦٧ (٣ مرات) ٢٨٤ ، ٢٨٢ ، ٢٨١ ، ٣٠٥ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣١٢ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ ، « لم يعرفه عرام ولم ينكره » (٣٠٦ - ٤ مرات) ، « وروى عرام : ٣٠٨ ، ٠٠٠ » ، « لم يعرفه أبو ليلي ، وعرفه عرام » (٣١١) ، « لم يعرفه أبو ليلي وعرفه عرام » (٣١٥) ، « لم يعرفه عرام ولا أبو ليلي » (٣٢٥) ، « إلا أن عراماً ذكر أنه سمعه من أبي ذؤيب » (٣٤٤) ؛ ١٣٩ ، ٢٨٦ ، ٣٣٧ ،
- المجلد الثاني : ٥٩ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ (مرتان) ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣١٧ ،
- القاسم (شارح الشعر أحياناً) : ٤٢٤/٤ ، ١٩٠/٥ ، ١٩٢/٥ ، ٢٠٧/٥ ، ٥٣/٦ .
- القبيبي : ١٤٧/٧ .
- الليث : « سمعت هاتين بخراسان .. » (٣٢/٣) وغيرها .
- مبتكر الأعرابي : ١٣٩/١ ، ١٤٩/١ ، ٢٣٢/١ ، ١٤٣/٦ .
- مزاحم : ٣٥٢/١ ، ٣٤٧/٢ ، ٣٩/٦ ، ٥٦/٦ ، ٦١/٦ ، ١١٨/٨ .
- مقاتل : ٢٢٨/٥ ؛ ٣١٣/٥ .
- موسى : ٢٨٤/١ ؛ ١٩/٢ .
- نصر بن سيار : ٢١٥/٣ ، ٢١٩/٦ ، ٣١٥/٨ .

- أبى الدقيش ، وقد ذكره الخليل فى مواضع عدة من معجمه ويورد عنه فى مادة « دقش » تفسيراً للقبه : « قلت لأبى الدقيش : ما الدَّقشُ والدَّقِيشُ ؟ قال : لا أدرى . قلت فاكتنيت بكنية لا تدري ؟ » قال : إنما الكنى والأسماء علامات من شاء تسمى بما شاء لا قياس ولا حتم . وهو أبو الدقيش القناني الغنوى ، من قدماء رواة البصرة ، أخذ عنه النضر ابن شميل وغيره ، ولعله شاخ فى أيام زيد وأصحابه ، إذ يقول : « دخلنا على أبى الدقيش وهو شاك ، فقلنا له : كيف تجدك ؟ قال : أجدننى أجدا ما لا أشتهى ، وأشتهى ما لا أجدا ، ولقد أصبحت فى شرّ زمان ، وشرّ أناس ، من أجاد لم يجد ، ومن وجد لم يجد » (١) .

- أبو خيرة الأعرابي ، وهو نهشل ابن زيد العدوى : نزل الخيرة ، وعاد إليه عدد من علماء اللغة ، ويعد مع أبى الدقيش والمنتجع وأبى مهدية (أبو مهدى ، فى بعض المصادر) من أوائل الأعراب وأشهرهم وأوثقهم فى البصرة . وله كتاب « الحشرات » الذى نقل عنه وذكره ابن سيده فى « المخصص » وكتاب « الصفات » الذى ذكره أحمد بن محمد أبو حامد الخرزنجى البشتى ضمن مراجعه فى كتاب « التكملة » الذى أوماً إلى أنه أكمل به « كتاب العين » ؛ وله أحاديث فى طيور البادية . وأخباره واردة فى غير كتاب قديم ، لاسيما احتكام عدد من العلماء له مثل أبى عمرو بن العلاء (٢) .

(١) : فى « عيون الأخبار » ، ص ٤٩/٣ .

وذكر ابن النديم أبا الدقيش فى « الفهرست » بالسين وتقع على شواهده فى « مقاييس اللغة » أو « لسان العرب » أو « المزهرة » .

(٢) : فى « نزهة الألباء » ، ص ٣٢ - ٣٣ ؛ و « المخصص » ، ص ٩١/٨ ؛ و « نوادر أبى زيد » ، ص ١٣٢ ؛

و « إنباه الرواة » ، ص ١٠٨/١ ؛ و « الخصائص » ، ص ٣٠٥/٣ وغيرها لاسيما فى المعاجم مثل

« مقاييس اللغة » و « لسان العرب » .

- أبو سعيد الضير ، وهو أحمد
ابن خالد البغدادي ، وقد تأدب على
عوسجة الذي استقدمه عبد الله بن طاهر
حسبما وردت أخباره في «معجم الأدباء» .
إلا أننا نقع على عدد واسع من
الأسماء مما لا نحسن التعرف إليهم في
صورة مؤكدة :

- عرام : أهو عرام بن أصبغ
السلمي ، الذي ذكره القفطي على أنه من
الأعراب الذين استقدمهم عبد الله
ابن طاهر إلى نيسابور ، في «معجم
الأدباء» ، وواضع كتاب «أسماء جبال
تهامة وسكانها وما فيها من القرى

وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها
من المياه» (١) ؟ لا نقوى جواباً عن هذا
السؤال ، ذلك أن الكتب القديمة تفيدنا
عن نحوى اسمه «عرام» أيضاً ، وهو
أبو الفضل العباس بن محمد . إلا أن
عدداً من الباحثين المحدثين ، ممن درسوا
«كتاب العين» مثل الشالقاني وياسين
وغيرهما ، يميل إلى الاعتقاد بأن المقصود
هو الأعرابي .

- مبتكر : أهو مبتكر الأعرابي الذي
سكن خراسان ، على حسب ما ورد في
كتاب «الدراسات اللغوية عند العرب إلى
نهاية القرن الثالث» للباحث ياسين ؟ (٢)

(١) ورد خبره في «معجم الأدباء» (١٧/٣) ، وواضع كتاب «أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى
وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من الأشجار وما فيها من المياه» ، الذي حققه الأستاذ عبد السلام
هارون في نطاق «نوادير المخطوطات» في سنة ١٩٥٦ .

(٢) ص ٧٦ ، ويشتمل الكتاب على مسرد بأسماء الأعراب الفصحاء الذين شافهم العلماء وأخذوا عنهم
مروياتهم .

- أبو ليلى : أهو أبو ليلى الذى
سكن فى خراسان بدوره (١) ؟

- حماس : أهو الوارد فى مسرد
الأعراب الذى أعده الباحث ياسين (٢)

- موسى : أهو موسى السيلانى ،
المعاصر لأنس بن مالك ، على حسب
ما ورد ذلك فى كتاب « الأعراب الرواة »
للشالقانى (٣) ؟

شجاع : أهو شجاع بن وهب
ابن ربيعة الأسدى ، وهو من رواة أبى
عمرو بن العلاء (٤) ؟

- حذيفة : أهو حذيفة بن غانم ،
أبو الجهم ، الصحابى وأحد كبار نسابى
قريش ؟

وماذا عن غيرهم مثل : أبى عبدالله
والقاسم وأبى فردة والسدى ومزاحم
وشريح والساجع وزائدة وغيرهم ؟

علينا أن نؤكد ، بداية ، أن وقوف
عدد من الباحثين القدامى والمحدثين أمام
مسألة ورود شواهد وتعاليل من تلاميذ
الخليل ، مثل الأصمعى وسيبويه وأبى عبيدة

ليس مقنعاً كفاية قيل الكثير عن
سيبويه على حين لا تلقى غير شاهد واحد
من أقواله فى الطبعة المحققة ، وذلك فى
الصفحة ٢٠٠ من الجزء الأول ، وهى
النبذة التالية : « قال سيبويه : الكراع
الماء الذى يكرع فيه » . أما النقول عن
الأصمعى فهى لا تتعدى المرة الواحدة
أيضاً ، فى الصفحة ١٨٥ من الجزء
الأول ، وهى النبذة التالية : « قال
الأصمعى : يقال : عَقَمَ الله رَحِمَهَا
عَقْماً ولا يُقال : أعقمها ، ويقال :
عَقُمَت المرأة تعقُمُ عَقْماً » . أما النقول
عن أبى عبيدة فهى ترد مرتين (٤/ ٢٤٥ ،
و ٥/ ٥٩) ، وفى واحدة منها نقلاً عن
الحسن البصرى . ان هذه النقول - القليلة
فى نهاية المطاف - تحصل بين أستاذ
وتلاميذه ، وهو أمر استغربه العديدون ،
ناسين من دون شك أننا نقع فى كتب
القدماء ، كما فى « مجالس العلماء »
للزجاجى ، على مناظرات بين الأستاذ
وتلميذه ، مثل التى جرت بين الخليل
وسيبيويه وغيرهما (٥) . كما ينسون أيضاً

(١) م . ن ، ص ٧٣ .

(٢) م . ن ، ص ٧٤ .

(٣) من تأليف الدكتور عبد الحميد الشلقانى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٦٣ .

(٤) حسب ما ورد ذلك فى كتاب « النشر فى القراءات العشر » ، ص ٤٢/١ .

(٥) فى « مجالس العلماء » للزجاجى ، ص ٢٣١ .

أن علماء عديدين ، مثل أبى عمرو وغيره ، كانوا لا يتأخرون عن النقل عن كرايس تلاميذهم ، سيما وأن البعض منهم ، / مثل الأصمعى وأبى عبيدة ، كان يرتب نقوله فى كراسات خاصة . قال الأصمعى : « جئت إلى أبى عمرو ابن العلاء ، فقال لى : من أين أقبلت يا أصمعى ؟ قلتُ : جئتُ من المرید . قال : هاتِ ما معك » (١) .

ولكن ، إذا لم نجد صعوبة فى ورود هذه النقول فى « كتاب العين » فإننا لا نقف الموقف من نقول أخرى لعدد من الأعراب ، الذين استقدمهم عبدالله ابن طاهر إلى نيسابور ، ومنهم عرام بن الأصبغ السلمى ، أو من سكنوا فى خراسان مثل مبتكر ، أو من الأعراب ممن لم يعرفوا فى البصرة مثل : أبو لیلی وزائدة وحماس وغيرهم .

ما يسترعى انتباهنا فى هذه القائمة ، بعد أن تبينا حقيقة النقول فى « كتاب العين » هى الأسماء التالية : عرام ، وأبو لیلی، وزائدة ، والضرير . فإذا كنا نجد فى غير مجلد من المعجم نقولا عن

أبى الدقيش أو عن أبى خيرة ، فهو أمر طبيعى إذ إنهما يعدان من أشهر الأعراب الذين عرفوا فى عصر الخليل فى البصرة ، أما أن يتضمن المعجم نقولا عدة من أعراب ما عاشوا فى البصرة ، بل فى خراسان ونيسابور ، فهو أمر يستدعى أكثر من سؤال . فنحن نلاحظ أن الكتاب يتضمن نقولا عن عرام تزيد عن ٥٠ مرة ، وعن زائدة ما يزيد عن ٥٤ مرة ، وعن أبى لیلی ما يزيد على ٤٣ مرة ، وعن الضرير ٣٣ مرة ؛ لا بل تعد النقول عن هؤلاء ، إلى جانب الحسن البصرى وأبى الدقيش وأبى خيرة ، أقواها فى « كتاب العين » هل يعنى هذا أن الخليل شافهمهم فى نيسابور أو فى خراسان ؟ لا تؤكد المصادر مثل هذه الرواية أبداً ، على الرغم من ورود خبر فى ترجمته عن زيارة قام بها إلى خراسان عند تلميذه الليث .

انتبهنا إلى أمر آخر فى توزيع هذه النقول ، وهى أنها لا تأتى متسقة ، فنحن نلاحظ ، على سبيل المثال ، أن النقول عن الحسن البصرى ، أو أبى الدقيش ، أو أبى خيرة (أى الذين عرفهم الخليل فى

(١) ورد الحديث فى « ضحى الإسلام » ص ٨١/٢ ، طبعة عشرة ، بيروت ، ١٩٣٥ .

البصرة) تتوزع فى كيفية « متوازنة » إذا جاز القول بين أجزاء المعجم ، على حين ترد النقول عن الأعراب فى بلاد فارس قوية فى أجزاء ، و معدومة فى أجزاء أخرى ، لا نفع على نقول أبى ليلى إلا فى الأجزاء : ١ و ٢ و ٨ ، وعلى نقول عرام فى الجزءين ١ و ٢ وحسب . وقد يقول قائل : أن هذه الأجزاء (كما رردت فى الطبعة المحققة) قد لا تناسب التوزيع القديم لأجزاء المعجم . ربما ، إلا أن التقارب بين المواد التى وردت فيها نقول الأعرابيين أكيد فى كل الأحوال ، خاصة وأن تتالى المواد فى المعجم (مهما جرى تقسيمه) يخضع لـ « تقلاب » ثابت ومعروف . هل يعكس هذا التقارب شيئاً من ظروف تأليف هذا المعجم ؟ هل نجد فى هذا التقارب إجابة ما على حيرة العلماء أمام ورود نقول عن أعراب لم يعرفهم الخليل ولم يشافهمهم ؟

فليليث « شهادة » قلما انتبه إليها الدارسون ، وهى جديرة بأن تحضر فى هذا السجال ، بالإضافة إلى كونها تقدم -

على ما نعتقد - تفسيراً معقولاً للمصاعب التى عرفها « كتاب العين » لاحقاً عند العلماء والدارسين . فما الشهادة هذه ؟ غير مصدر قديم يفيدنا عن صلة « الصحبة » التى جمعت الخليل بالليث ، كما يفيدنا التلميذ فى شهادته هذه شيئاً من الأسباب التى أدت إلى وضع الخليل لكتابه : يقول الليث : « كنت أصير إلى الخليل بن أحمد ، فقال لى يوماً : لو أن إنساناً قصد ألف حروف ألف وباء و ثاء و ثاء على ما أمثله ، لاستوعب فى ذلك جميع كلام العرب ، فتهيأ له أصل لا يخرج عنه شىء منه بته ، قال : فقلت له : وكيف يكون ذلك ؟ قال : يؤلفه على الثنائى ، والثلاثى ، والرابعى ، والخماسى ، وأنه ليس يعرف للعرب كلام أكثر منه ، قال الليث : فجعلت أستفهمه ويصف لى ولا أقف على ما يصف ، فاختلفت إليه فى هذا المعنى أياماً ، ثم اعتلّ ، وحججت فما زلت مشفقاً عليه ، وخشيت أن يموت فى علته فيبطل ما كان

يُشرحُه لى، فرجعت من الحج ، وصرت إليه فإذا هو قد ألف الحروف كلها على ما فى صدر هذا الكتاب . كما يصف الليث ، على ما أفادنا ابن النديم أيضاً طريقة الخليل فى وضع معجمه : « فكان يملئ على ما يحفظ ، وما شك فيه يقول لى : سأل عنه فإذا صح فأثبتته ، إلى أن عملتُ الكتاب » (١) .

فى رواية الليث معطيات عدة ، لا تفيد وحسب عن « الأصل » النظرى الذى أنشأ عليه الخليل معجمه ، بل عن ملابسات وضعه وشروط تأليفه أيضاً : وضع الخليل خطة المعجم كما أملئ على الليث ما حفظه وعرفه فى مواد الكتاب ، وما « شك فيه » دعا الليث إلى أن « يسأل » عنه و « يثبت » ألا تكون « الزوائد » (أى النقول التى تعود لأعراب ما عرفهم الخليل وما شافهم) من عمل الليث نفسه ، بإشارة من الخليل ، بعد أن قُبِضَ لليث معرفتهم واللقاء بهم فى نيسابور وخراسان ؟

ربما ، هذا ما نميل إلى ترجيحه ، لاسيما وأن المعجم يجمع فى غير مادة من

مواده ما يؤكد أو ما يعزز مثل هذه الفرضية . ففى غير مادة نراه يجمع بين عرام وأبى ليلئ ، المقيمين فى بلاد فارس : « لم يعرفه (أى هذا اللفظ أو هذا المعنى) أبو ليلئ ، وعرفه عرام » ، أو « لم يعرفه عرام ولا أبو ليلئ » . كما لو أن أحداً - أى الليث على الأرجح - يقترح عليهما ألفاظاً لـ « التثبيت » منها ، وفى الوقت عينه .

كما نقع أحياناً على « تصحيح » يؤرده زائدة ، على سبيل المثال ، فيؤكد مثلاً : « قال زائدة : البلعوم باطنُ العنق كله ، وليس كما قال » ، أى « يصحح » ما سبق ذكره فى مادة « بلعم » نفسها ، وهو التالى : « البلعوم : البياض الذى فى جحفة الحمار فى طرف الأنف » . كما لو أن الليث عرض على زائدة ما سبق له أن جمعه ، أى أنه كان « يثبت » من المعانى كيف لا ، ونحن نجد فى المعجم أيضاً إضافات تحقق منها الليث نفسه ، حيث يقول فى إحدى المواد على سبيل المثال : « قال الليث : سمعت هاتين بخراسان ... » كما نقع فى المعجم على

(١) فى الفهرست ، ص ٦٤ - ٦٥ .

إشارات عدة ولو مقتضبة تفيد عملية
«التثبت» هذه : « رأيتهم يحكون ذلك »
« هذا ما سمعت » ، إلى غير ذلك من
العبارات التي تقدم لنا في صورة خفية
ولكن أكيدة الليث : التلميذ العالم في آن ،
والوفى للخليل على أية حال . كما لو أن
الليث كان وحده « فريق عمل معجمي »
بتوجيه وإدارة الخليل ! وكما لو أن الخليل
لم يتوصل إلى وضع أول طريقة علمية
محكمة لوضع المعاجم (وهي نظرية
« التقلب ») في تاريخ اللغات وحسب ،
بل تنبه أيضاً إلى ضرورة وضع المعاجم من
قبل فريق عمل ، لا من عالم واحد مهما
بلغ شأوه .

« شهادة » الليث تفيد ، إذن ، أن
الكتاب من وضع الخليل في رسمه
وحشوه (على أن قسماً من حشوه
ما جرى « إثباته » في المعجم إلا بعد
تثبت الليث منه عند العلماء) . ونحن

نوردها متسائلين : إذا لم تكن رواية الليث
هذه صحيحة ، فلماذا ينسب إلى غيره
(الخليل) ما قام به ، ولو جزئياً ؟ أما كان
له أن يتفاخر بهذا الصنيع النادر في تاريخ
اللغة العربية ؟

إذا كانت ملابسات صنع هذا المعجم
لم تتسم بالجلاء الناجز - وهي حالة كل
كتب الخليل من دون استثناء ، وغيرها من
الكتب القديمة أيضاً - فإن هذا لا يخفى ،
بل يقوى من حقيقة السعي ، بل الطموح
الذي قام عليه : وهو « إحصاء » العربية ،
وفق طريقة منهجية محكمة . ربما كان
لهذا المشروع أن يتحقق لولا علم الخليل
الواسع في غير ميدان ، واجتهاده في غير
سبيل ، ولولا سهر الليث عليه ومساعدته
في حشو بعض مواده . ولليث في ذلك
أكثر من أجر ، إذ حفظ لنا أول المعاجم
العربية ، و « الكتاب » الوحيد الأكيد
الذي وصلنا للخليل .

شربل داغر

أستاذ بجامعة بيروت



شخصیات مجعۃ

أولاً-الاستقبال :

استقبال الأستاذ الدكتور أحمد مدحت إسلام

فى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأربعاء ١٩ من ربيع الآخر سنة ١٤١١ هـ . الموافق ٧ من نوفمبر سنة ١٩٩٠م أقام المجمع حفلا لاستقبال العضو الجديد الأستاذ الدكتور أحمد مدحت إسلام ، وفى بداية الحفل ألقى الأستاذ الدكتور إبراهيم مذكور ، رئيس المجمع ، كلمة موجزة قدم فيها إلى الحاضرين العضو الجديد ثم أعقبه الأستاذ الدكتور محمود حافظ إبراهيم ، عضو المجمع ، فألقى كلمة المجمع فى استقبال العضو الجديد ثم تلاه العضو الجديد الأستاذ الدكتور أحمد مدحت إسلام ، الذى ألقى كلمة تحدث فيها عن سلفه الكريم الأستاذ الدكتور محمد أحمد سليمان ، رحمه الله .

وفىما يلى نص الكلمات التى أقيت فى الحفل :

كلمة الأستاذ الدكتور إبراهيم مذكور

رئيس المجمع

وكتابة ، وتأليفاً ، ولست فى حاجة إلى أن أقول : إن اللجان المجمعية تعول التعويل كله على خبرائها ويسعدها أن يستمر هذا الاتصال ، بأن يصبح هؤلاء الخبراء يوماً زملاء نرحب بهم كما نرحب اليوم بالأستاذ الدكتور أحمد مدحت إسلام عضواً بالمجمع .

أيها السادة ، لست فى حاجة إلى أن أقدم لكم زميلاً جديداً كريماً ، هو فى الواقع مجمعى بخبرته ، منذ عشرين عاماً تقريبا ، ويسعدنا حقيقة أن يستمر ويتصل التعاون بين أعضاء المجمع وخبرائه ، من رجال العلم ، لأنهم هم أنفسهم فى حقل التجربة الدائم تعليما

كلمة المجمع فى استقبال الأستاذ الدكتور أحمد مدحت إسلام للأستاذ الدكتور محمود حافظ

عضو المجمع

سيدى العالم الجليل رئيس مجمع اللغة العربية وشيخ المجمعين :
السادة العلماء الأجلاء :
سيداتى وساداتى :
نستقبل اليوم فى هذا المحراب عالماً جليلاً برز فى علوم الكيمياء ، حتى غدا بين أقرانه أرسخهم قدماً ، وأعمقهم أثراً ، وأعلامهم منزلاً ، وقدرأ ، وله فى حياتنا العلمية والجامعية إنجازات يعتز بها ستظل شاخصة تشهد بعلمه العزيز وخبرته الواسعة ، ذلكم هو الدكتور أحمد مدحت إسلام ، أستاذ الكيمياء بكلية العلوم - جامعة الأزهر ، والعميد الأسبق لهذه الكلية ، ولا أحسبك أيها الزميل العزيز إلا سعيداً حقاً بهذه الثقة الغالية التى منحك إياها صفوة من الجهابذة والعلماء يقدرون علمك وخبرتك ، وهذه الثقة أفسحت لك مكاناً عزيزاً فى هذا المجمع العظيم ،

كعبة العربية وحصنها الحصين ، الذى حمل لواءها أكثر من نصف قرن عالياً خفاقاً نحو السماء ورفع علمها شامخاً فى الخافقين ، ولست فى حاجة إلى القول ، إن المكانة التى تنعم بها اليوم - وأنت بها جدير - لمكانة رفيعة حقاً طالما اشرأبت إليها الأعناق وتناولت الرؤوس ، وكثيراً ما هفت إليها قلوب وتطلعت إليها آمال ، فأهتكت تهته خالصة عضواً بين سدنة اللغة العربية وحماتها فى مجمع الخالدين .

ولد زميلنا فى عام ١٩٢٤ م . بالقاهرة وتعلم فى مدارسها ، وبعد أن أتم دراسته الابتدائية والثانوية ، التى شملت فى المرحلة الأولى ثلاث سنوات بمدرسة البومبرسى الفرنسية فى شبرا . مضى إلى الجامعة والتحق بكلية العلوم بجامعة القاهرة عام ١٩٤٢ م . حيث أهله مجموعه للحصول على نصف مجانية فى العام الأول ، ثم على مجانية كاملة طوال

سنوات دراسة الأخرى ؛ لامتيازته وتفردته .
وقد نال الدكتور إسلام على درجة
البكالوريوس فى العلوم فى الكيمياء
الدرجة الخاصة مع مرتبة الشرف عام
١٩٤٦م ، وعمل عقب تخرجه فى شركة
« شل للبترول » ، حيث تابع دراسته ،
وبعد ثلاثة أشهر عين معيداً بقسم الكيمياء
بجامعة القاهرة ، حيث تابع دراسته العليا
لدرجة الماجستير فى الكيمياء العضوية فى
موضوع « كيمياء التفاعلات الضوئية » ،
تحت إشراف عالين كبيرين هما : المرحوم
الأستاذ الدكتور أحمد مصطفى ، والعالم
الألماني شورلز ، وحصل على هذه الدرجة
عام ١٩٥١م . وفى هذه السنة نفسها سافر
إلى إنجلترا فى بعثة علمية رشح لها من
جامعة محمد على (جامعة أسيوط حالياً) ،
للحصول على درجة الدكتوراه ، وقد
حصل على هذه الدرجة فى « الكيمياء
العضوية التحليلية » من جامعة جلاسجو
عام ١٩٥٤م . وقد عين بعد عودته من
الخارج مدرساً بجامعة عين شمس ،
وحين بدأت الدراسة بجامعة أسيوط عام

١٩٥٧م نقل إليها حيث شارك مع زملائه
فى إنشاء الأقسام العلمية بالجامعة وتوفير
التجهيزات العملية بها ، وفى عام ١٩٥٩م
، عين أستاذاً مساعداً بها ، ثم جذبته
جامعة الأزهر عند إنشائها فرحل إليها عام
١٩٦٤م أستاذاً بكلية الهندسة ، ثم رئيساً
لقسم الكيمياء بها ثم وكيلاً للكلية ، وقد
كان من أوائل أعضاء هيئة التدريس ،
الذين شاركوا فى إنشاء الأقسام العلمية ،
بكلّيات الطب والهندسة والزراعة بجامعة
الأزهر ، وفى عام ١٩٧٠م عين الدكتور
إسلام عميداً لكلية العلوم بجامعة الأزهر
، وكان أول عميد لها ، واستمر فى هذا
المنصب ست سنوات ، وكانت له فيها
إنجازات تعدّ بها تعكس أفقه الواسع
وبصيرته النافذة ، وقد قام خلال خدمته
الطويلة ، التى بلغت ثمانية وثلاثين عاماً
عضواً بهيئة التدريس بجامعات القاهرة
وعين شمس وأسيوط والأزهر ، بإنشاء
مدرسة علمية رائدة ، تعتبر من أكبر
المدارس العلمية فى علوم الكيمياء فى مصر
حيث أشرف على كثير من رسائل

الماجستير والدكتوراه ، وبلغ عدد الطلاب الذين حصلوا على هاتين الدرجتين الماجستير والدكتوراه - تحت إشرافه ، أكثر من مئتين من الطلاب ، يشغل الكثير منهم الآن مراكز هامة فى الدولة ، ومنهم أساتذة حاليون بالجامعات ، ومنهم قيادات بالقوات المسلحة . وجدير بالذكر أن إحدى رسائل الدكتوراه التى شارك فى الإشراف عليها كانت فى مجال الحرب الكيماوية ، لاكاديمية ناصر للعلوم العسكرية ، بالإضافة إلى أعمال أخرى هامة فى هذا المجال ، وقد بلغ عدد البحوث العلمية التى قام بنشرها مايزيد عن مئة بحث ، فى مجال الكيمياء العضوية التخليقية ، وبعض تطبيقاتها ، وقد نشرت هذه البحوث فى المجلات العلمية العالمية المتخصصة فى أوروبا وأمريكا .

وإبان حياته العلمية الثرية امتد نشاط الدكتور إسلام إلى آفاق رحبة من العلم التطبيقى ، حيث عمل خبيراً لشركة النصر للكيماويات الدوائية بالمؤسسة المصرية العامة للأدوية ، وشارك فى الأعمال

الإنشائية التى كانت تجرى بها فى أوائل الستينيات ، وبخاصة فى إنشاء معامل للبحوث والرقابة الدوائية بها ، وفى مرحلة تالية عمل مستشاراً للبحوث لهذه الشركة وبرز جهده الخلاق مستحدثاً طريقة صناعية جديدة لتحضير مشتق الفينامليون الذى يساعد على سيولة الدم ، وقد أشرف على تحضير ربع طن منها ، كما حصل مع آخرين على براءة اختراع لطريقة اقتصادية لتصنيع حمض الستريك .

وفى مجال التأليف والترجمة والنشر ضرب سهماً فى هذا المجال ، وله أكثر من جهد مشكور أغنى به المكتبة العلمية والثقافية العربية ، ففى علوم الكيمياء شارك فى تأليف عدة كتب منها : الكيمياء الصناعية ، والكيمياء الطبيعية ، والكيمياء غير العضوية وأسس علم الكيمياء ، والكيمياء العملية .

وقد أعيد طبع هذه الكتب عدة مرات ومازالت شائعة الاستعمال ، لا فى مصر وحدها بل فى كثير من البلاد العربية الأخرى ، وهى من مطبوعات دار المعارف ومن بين مؤلفاته أيضاً كتاب للغة

والتلوث فى المبيدات والمخصبات ونفايات
البترول وغيرها ، وكتاب « علماء العرب
والمسلمين » ، بتكليف من مجمع البحوث
الإسلامية ، ولم ينشر بعد ، يتناول فيه
الأعمال العلمية لنحو خمسين عالماً من
علماء العرب والمسلمين فى مجالات
الفلسفة والفيزيقا ، والكيمياء ،
والرياضيات ، وغيرها من فروع العلم ،
وبالإضافة إلى ذلك ترجم الدكتور إسلام
بعض الكتب العلمية من اللغة الإنجليزية
إلى اللغة العربية لمؤسسة الأهرام
منها ، كتاب « أسس الكيمياء العضوية »
ألف صفحة ، وكتاب « ميكانيكا
التفاعلات العضوية » ثلاثمائة صفحة ،
وهما من المراجع العلمية فى هذا
المجال .

أما جهوده فى مجمع اللغة
العربية فهى كثيرة حقاً ، امتدت
قاربة عشرين عاماً ، عمل خلالها
خبيراً له وزنه وباعه الطويل فى لجنة
الكيمياء والصيدلة ، ولجنة النفط . وشارك
فى إنجاز عدة آلاف من المصطلحات

الإنجليزية فى الكيمياء العملية ، وقد امتد
نشاطه كذلك فى مجال تطبيق
العلوم ، ونشر الثقافة العلمية باللغة العربية
وألف عدة كتب منها « الكيمياء عند
العرب » (دار المعارف) بين فيه فضل بعض
العلماء الأفاضل مثل : جابر بن حيان ،
وأبى بكر الرازى على علوم الكيمياء ،
ودورهما التاريخى فى إرساء القاعدة
العلمية ، والمنهج العلمى والتقنية للتجارب
العلمية ، وكتاب « رسالة كوكب » ،
(دار الفكر العربى) يتناول فيه أخطار
الاستخدام غير الرشيد للعلم ، وكتاب
« الفن عند الكيمياء » (عالم المعرفة) يشرح
فيه استخدام الجزيئات الكيميائية فى نقل
المعلومات فى أجسام الكائنات الحية ،
وكتاب « هل نحن وجدنا فى هذا الكون »
(الأهرام) يتناول فيه الطرق الممكنة
للاتصال بين الحضارات فى هذا الكون
الرحب ، وكتاب « التلوث مشكلة العصر »
(عالم المعرفة) يتناول مشكلات تلوث
الهواء ، والماء ، وارتفاع درجة حرارة
سطح الأرض ، ومشكلة ثقب الأوزون ،

العلمية ونقلها مع شروحيها إلى اللغة العربية ، مقرونا بالبحث الدءوب عن أدق المقابلات العربية لها ، كما شارك فى إنجازات معجم الكيمياء والصيدلة ، الذى أصدره المجمع فى السنوات الأخيرة تقديراً لمكانته العلمية .

وقد انتخب الدكتور مدحت إسلام عضواً بالجمعية الكيميائية البريطانية والأكاديمية المصرية للعلوم ، وبالجمعية الكيميائية المصرية ، وبالمجمع العلمى المصرى ، كما أنه عضو لمجلس البحوث الأساسية بأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا ، وكان له دور بارز فى تأسيس نادى هيئة التدريس ، بجامعة الأزهر ، وعمل أميناً له كما أنه له نشاط رياضى كبير فى نادى الشمس و قد عمل وكيلاً له طوال عشر سنوات يهتم فيه بمختلف النواحي الرياضية والثقافية ، وجدير بالذكر أن للدكتور إسلام ولعا شديداً بالموسيقى ، ولعل نشأته الأولى فى شبرا ، حين كانت تزخر فى العشرينات بالحدائق يتنسم عطرها وأريجها فى روحاته وغدواته ، قد أرهفت حسه ووجدانه ، فى ذلك لم يكن غريباً ، بعد أن شب عن الطوق - أن يعشق الموسيقى

فيصبح بعد سنوات عازفاً مجيداً ومازالت أذكر عزفه الذى كان يأخذ بمجامع القلوب بكلية العلوم ، أيام أن كان طالباً بها ومازال يحتفظ بين مكتبته العلمية والثقافية بمجموعة من أعمال أهم العازفين والمساترة العالمية .

سيدى الرئيس :

السادة الزملاء ، والعلماء . . . هذه لمحة عن حياة هذا العالم الجليل الذى نستقبله اليوم ، ونفسح له مكاناً ومكانة فى هذا المحراب زميلاً وعضواً بمجمع اللغة العربية مجمع الخالدين ، وهى كما ترون حياة زاخرة بالعطاء والعمل المثمر البناء ، وإنى على يقين أنه بعلمه وخبرته سيكون خير عون للمجمع ، ليمضى بقيادته الرشيدة وعلمائه الأعلام فى مسيرته الرائدة نحو إعلاء شأن العربية وإرساء نهضة شاملة تدفع باللغة العربية إلى آفاق رحبة لتواكب التقدم المذهل والسريع فى مجالات العلم وتطور المعرفة .

والله ولى التوفيق ،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمود حافظ

عضو المجمع

كلمة العضو الجديد

الأستاذ الدكتور أحمد مدحت إسلام

العلم الجليل الأستاذ الدكتور رئيس للجمع ،
العلماء الأجلاء أعضاء للجمع الموقر :
أرجو أن تسمحوا لى بأن أتقدم
بخالص الشكر للسيد الأستاذ الدكتور
محمود حافظ ، الذى استقبلنى اليوم ،
والذى أفاض فى عرض كثير من جوانب
سيرتى الشخصية وما قمت به من أعمال .
وكم يسعدنى ويشرفنى أن أقف بينكم
اليوم عضوا فى هذا المجمع الموقر ، وهى
أمنية طالما تمنّاها كثير من سدنة اللغة
العربية وفاز بها الخالدون ممن ظفروا بثقتكم
حتى يسهموا فى إرساء صرح اللغة العربية .
ولقد شرفت بلقاء الكثيرين من أعضاء
مجمعكم الموقر ، منذ نحو عشرين عاما ،
وذلك منذ أن ساهمت بجهد متواضع فى
لجنة مصطلحات الكيمياء والصيدلة
بالمجمع وكذلك فى مجال النفط وصناعاته
المختلفة ، وأرجو من الله أن يوفقنى فى
استمرار العطاء لخدمة لغتنا العربية
واستعمالها فى كل مجالات العلم
والمعرفة ، وإنها لفرصة سعيدة فى هذا

المجمع الموقر أن أتكلم عن سلفى ، مشيداً
به وبأعماله التى قام بها ، ألا وهو العالم
الجليل الدكتور محمد أحمد سليمان .
ولد الأستاذ الدكتور محمد أحمد
سليمان عام ١٩١٥ ، فى محافظة القليوبية
وتلقى تعليمه الابتدائى فى مدرسة الجمعية
الإسلامية ، ثم تلقى تعليمه الثانوى فى
المدرسة الثانوية الملكية ، وهى التى تحولت
بعد ذلك إلى مدرسة الخديو إسماعيل ،
وقد حصل الدكتور محمد أحمد سليمان
على شهادة الدراسة الثانوية عام ١٩٣١
والتحق بكلية الطب ، وتخرج فيها عام
١٩٣٧ ، ثم حصل منها على دبلوم
التخصص ، ونال درجة الدكتوراه عام
١٩٤٣ وقد التحق منذ ذلك الحين بهيئة
التدريس بكلية الطب ، بجامعة القاهرة ،
وواصل تقدمه فيها حتى شغل منصب
الأستاذية . ثم تولى منصب الأمين العام
للمجلس الأعلى للجامعات ، بالإضافة
إلى عمله أستاذا بالجامعة ، وشغل هذا
المنصب مدة عامين كاملين ، وفى عام

١٩٦٤ عين وكيلا لجامعة الأزهر ، عند إنشائها ، ثم شغل بعد ذلك منصب وكيل جامعة القاهرة عام ١٩٦٥ ، ونظراً لشهرة الأستاذ الدكتور محمد أحمد سليمان فى مجال الطب الشرعى انتدبته بعض الجامعات العربية لتدريس هذا العلم بها ، وقد قام بإنشاء قسم للطب الشرعى فى جامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية ، كما أنشأ قسماً مماثلاً فى جامعة أم القرى بمكة المشرفة .

وقد كان للمرحوم الأستاذ الدكتور محمد أحمد سليمان نشاط كبير فى مختلف المجالات العلمية وفى كل ما يتصل بمهنته ، وقد كان عضواً مؤسساً فى الأكاديمية الدولية للطب الشرعى والطب الاجتماعى ، منذ إنشائها فى عام ١٩٥٠ ، وكان له كثير من الكتب فى مجال الطب الشرعى ، والوراثة ، وعلم السموم ونشرت هذه البحوث فى المجلات الطبية المصرية والإنجليزية والأمريكية ، كما ظهرت له عدة مؤلفات فى مثل هذه المجالات ومنها كتاب « فى الطب الشرعى

وعلم السموم » ، باللغتين العربية والإنجليزية واشترك فى تأليفه مع آخرين . وقد انتخب الدكتور محمد أحمد سليمان ، عضواً بمجمع اللغة العربية عام ١٩٦٢م ، فى المكان الذى خلا بوفاة المرحوم الأستاذ الدكتور محمد شفيق غربال ، وكان رحمه الله عضواً بلجنة الكيمياء والصيدلة وعضواً بلجنة الطب التى كان خيراً بها منذ عام ١٩٥٥ ، كما أسهم فى الإشراف على إخراج « المعجم الطبى » بالاشتراك مع الدكتور حسن على إبراهيم ، عضو المجمع الموقر ، وكان رحمه الله تقياً عارفاً لدينه حافظاً لمعظم القرآن الكريم ، كما كان يتميز بصفاته الشخصية التى حبت فيه الجميع وكان له جهده العظيم فى تعريب المصطلحات العلمية ، فى أكثر من مجال . جزاه الله خير الجزاء ، عما قدمه للغة العربية وعما قدمه لأمته من خدمات جليلة .

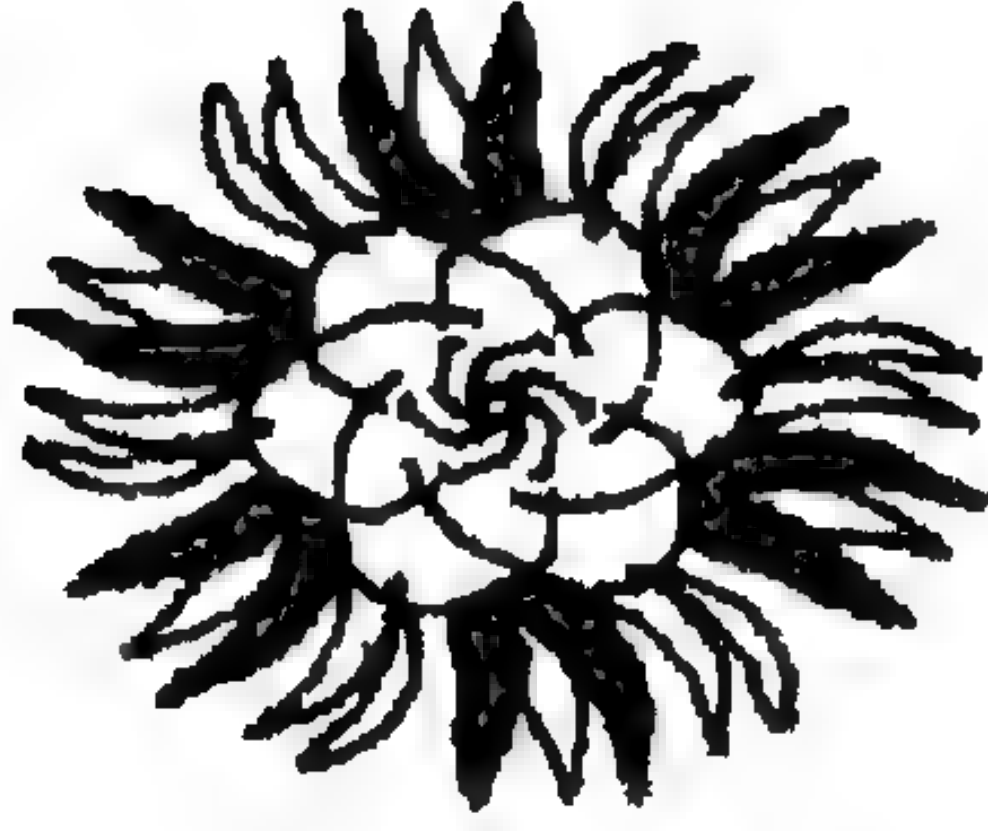
السادة العلماء أعضاء المجمع الموقر؛ إن اللغة العربية كغيرها من اللغات كائن حتى لا بد له أن ينمو وأن يتطور ، وإذا شئنا أن نبقي على حياة لغتنا مستمرة متطورة فى هذا العصر الذى يتميز بالتقدم

العلمى المتصل فى مختلف المجالات ،
فإن علينا أن نبذل فى ذلك جهوداً مضاعفة
وأن نبحث كذلك فى علوم عربية قديمة ،
وأن نرجع دائماً إلى تراثنا اللغوى ، كما
أن علينا ألا نحجم عن التعريب ؛ إذا
اقتضى الأمر ذلك ، فإن الكلمة بعد أن
تعرب تصبح للعربية جزءاً لا يتجزأ من
كيانها .

تحية خالصة لهذا المجمع العظيم
وجهوده الرائدة فى النهوض باللغة العربية
والحفاظ على مقدساتها ، داعياً الله أن
يوفقنى فى هذا السبيل ، للعمل بجهدى
المتواضع مع علمائه الأجلاء ، والسلام
عليكم ورحمة الله وبركاته

أحمد مدحت إسلام

عضو المجمع



كلمة المجمع

فى استقبال العضو الجديد الأستاذ الدكتور عطية عبد السلام عاشور
للأستاذ الدكتور محمود مختار

عضو المجمع

السيد الأستاذ الكبير الدكتور إبراهيم
مدكور رئيس المجمع
الزملاء الكرام أعضاء المجمع
سيداتى وسادتى ضيوف الحفل :
يطيب لى فى مستهل هذا الحفل
الكريم وقد شرفنى مجلس المجمع بالإنبابة
عنه أن أتوجه بتهنئتين اثنتين :
أولاهما تهنئة للمجمع بتوفيقه فى
ضم الأستاذ الدكتور عطية عاشور رائد
العلوم الرياضية فى مصر وخارج مصر
عضواً عاملاً ، ليشغل عن جدارة مكانا
ظل شاغراً لفترة طويلة بعد رحيل الرائد
الكبير الأستاذ الدكتور محمد مرسى أحمد ،
وبتوفيق من الله جاء الأستاذ الدكتور عطية
عاشور الذى نهل من علمه وسار على
نهجه ؛ فكان جديراً بحمل رسالته فى
تعريب العلوم الرياضية ، والسير بها قدما
نحو الهدف السامى الذى يضطلع به
المجمع ، ويسعى إليه دائماً ، وهو تعريب
العلوم التطبيقية الحديثة .

والتهنئة الثانية - أزجىها إلى الأخ
والابن والصديق والزميل الأستاذ الدكتور
عطية عاشور بدخوله عضواً عاملاً
متوجاً فى مجمع الخالدين ، ممثلاً لعلم
من أهم العلوم الأساسية وهو
علم الرياضيات . والواقع إنه كان جديراً
بهذا الشرف منذ سنوات وسنوات ، إذ أنه
لم يكن أبداً بعيداً عن المجمع طوال
العشرين سنة الماضية ، فقد كان
الخبير الأول للرياضيات والمقرر غير
المتوج للجنة ، وقد كان عمله خبيراً
فى لجنة الرياضيات كفيلاً باستمرار
اللجنة فى نشاطها وإنتاجها بعد رحيل
الدكتور محمد مرسى عميد الرياضيين
والأستاذ مصطفى نظيف عميد الفيزيقيين
عنها . وقد كانت الرياضيات آنذاك
مندمجة فى لجنة الفيزيكا كتوأم لها تجمع
بينهما رابطة قوية . فالفيزيكا هى
وعاء الرياضيات ، والرياضيات هى لغة
الفيزيكا .

واليوم وأنا أتحدث بلسان المجمع فى استقبال الزميل الكبير أقول له إن الرسالة التى يعهد بها المجمع إليك أمانة فى عنقك هى رسالة من أنبل الرسائل وأعلاها شأنًا ومرتبته ، وهى الهدف الذى نص عليه قانون المجمع فى صدر بنوده ؛ وهو العمل على أن تواكب اللغة العربية علوم العصر الحديث ومستحدثاته وفنونه وحضاراته وأن توفي بمتطلبات تكنولوجيااته المتقدمة ، وبذلك تسهم لغة الأم فى جميع الأنشطة العلمية والتعليمية والتطبيقية والصناعية ، وتنبؤا مكانة علمية معاصرة بين اللغات الحية المتقدمة ، وتستعيد مكانتها فى ركب العلم والمعرفة التى اضطلعت بها فى عصور ازدهار الحضارة العربية الإسلامية .

ولانى على ثقة تامة بقدرة الدكتور عاشور على الإسهام الجاد فى حمل هذه الرسالة العظيمة وتأديتها على خير نوجه بما وهبه الله من علم ومعرفة ونشاط متميز .

فهو الذى حصل على جائزة فؤاد لأول فى العلوم لعام ١٩٥٢ وعمره ٢٨

عاما وحصل على جائزة أمين لطفى عامى ٥٤ و ٦٢ وجائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٦٦ ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى ثلاث مرات ، ووسام الجمهورية من الطبقة الثانية عام ١٩٨٤ ، وهو الذى توجته الدولة بمنحه الجائزة التقديرية فى العلوم لعام ١٩٨٩ .

وللدكتور عطية عاشور جهود كبيرة فى تعريب العلوم الرياضية ويكفيه اعتزازا وفخرا أنه يتقدم هيئات التدريس بالجامعات المصرية والعربية فى تدريس الرياضيات فى المرحلة الجامعية الأولى باللغة العربية ، وقد استلزم ذلك منه تأليف كتب دراسية فى الرياضيات باللغة العربية لمرحلة الدراسة الجامعية الأولى ، ومرحلة الدراسة قبل الجامعية وقام بترجمة ومراجعة وإخراج كتب مرجعية رفيعة المستوى فى الرياضيات أذكر من بينها كتاب «التفاضل والتكامل» لكورانت ، وكتاب «الاتجاهات الحديثة» وتعليم الرياضيات لهيئة اليونسكو وكتاب «الميكانيكا الهندسية» لتيمو شنكو ، ومجموعة كتب شوم للرياضيات وكتاب

الميكانيكا لبارثون وكتاب «الكهرباء
والمغناطيسية» لفرارو .

وفى خضم هذا الإنتاج الوافر لم ينس
مجال العلوم المبسطة والثقافة العلمية العامة
فهو من أبرز كتابها وفرسانها فترجم
الكتاب الثقافى الكبير الرياضة للمليون
وكتاب العلم للمواطن وكلاهما للرياضى
العالمى هو جين وكتاب مدخل فى
الرياضيات وكتاب متعة الرياضى وكلاهما
لسوير وكتاب تطور علم الطبيعة لأينشتين .

والدكتور عطية عاشور دمياطى أصيل
تعتز وتفخر به تلك المدينة الزاهية التى
أنجبت على مشرفة وعبد السلام الكردانى
رائدى الرياضيات فى مصر وأنجبت شوقى
ضيف نجم المجمع وأمينه ومحمود حافظ
وعبد الحليم منتصر المجمعين المتارين

ولد عام ١٩٢٤ وحصل على دكتوراه
الفلسفة فى الرياضيات من جامعة لندن ثم
دكتوراه العلوم D.Sc من الجامعة نفسها
وتدرج الدكتور عاشور فى وظائف
التدريس بعلوم القاهرة حتى أصبح أستاذا
لكرسى الرياضة التطبيقية خلفا للدكتور

على مصطفى مشرفة فكان خير خلف لخير
سلف .

وامتد نشاطه العلمى خارج مصر
فاختير أستاذا زائرا وخبيرا وباحثا فى عدد
من الجامعات العريقة ، منها جامعة لندن
وجامعة إكستر بإنجلترا وجامعة بون
وجامعة بوتسدام بألمانيا وجامعة باريس
بفرنسا وجامعة الاسكا بأمريكا .

وللدكتور عاشور نشاط وافر وصوت
فعال فى الاتحادات الدولية العلمية
والمؤتمرات التى ألقى فيها العديد من
البحوث المبتكرة وعمل عضوا عاملا فى
اجتماعات دولية حكومية وغير حكومية ،
وصل فيها إلى أعلى المستويات ، فقد كان
رئيسا للاتحاد الدولى للطبيعة الأرضية
ومقاييس الأرض ، ونائبا لرئيس الاتحاد
الأفريقى للرياضيات ، ورئيسا للاتحاد
العربى للرياضيين والفزيائيين العرب .

وللدكتور عاشور نشاط كبير فى
الجمعيات العلمية والبحثية فقد كان من
رؤسائها ومقرريها ، أذكر منها الجمعية
المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية التى

أسسها مشرفة عام ٣٧ والمجمع العلمي
المصرى العريق الذى قارب المئتين من عمره
والأكاديمية المصرية للعلوم والمجلس النوعى
فى أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا .
وفوق هذا وذاك فهو مؤسس مدارس علمية
بحثية فى فروع الرياضة التطبيقية ،
وأشرف على عشرات الرسائل الجامعية
للماجستير والدكتوراه ونشرها فى عدد كبير
من الدوريات العلمية المتخصصة فى مصر
والخارج .

سادتى :

أخشى إذا استطعتُ فى الحديث عن
أنشطة الدكتور عطية عاشور فى العلم

وإنجازاته المتميزة فى البحث وجهوده فى
التعليم وإسهاماته فى تعريب العلوم ألا
يتسع لها هذا الحفل الكبير ، ويكفينى أن
أقول له إن مصر والعالم العربى مازالا
ينتظران منه الكثير والكثير فى خدمة العلم
والتعليم والثقافة فى مجالى العلوم عامة
والعلوم الرياضية خاصة . أسأل الله لك
دوام التوفيق إنه نعم المولى ونعم النصير .
ومرة أخرى هنئنا لك بعضوية المجمع
وهنئنا للمجمع بعضويتك .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمود مختار

عضو المجمع

كلمة

الأستاذ الدكتور عطية عبد السلام عاشور

فى حفل استقباله عضوا بالمجمع

العريقة الذين يقترب تخصصى
العلمى من تخصصاتهم ؟ أذكر منهم
الأعلام الأساتذة : مصطفى نظيف ،
قدري طوقان ، محمد مرسى أحمد ،
إبراهيم الدمرداش ، رحمهم الله
والأستاذين : محمود مختار ،
وعبد الرازق عبد الفتاح أطال الله فى
عمرهما ومتعهما بالصحة . أين أنا
من كل هؤلاء هؤلاء ؟

لقد ظننتم بى أكثر مما أظن
بنفسى وأسأل الله تعالى أن يوفقنى
لأكون عند حسن ظنكم وأهلاً
لثقتكم وأعدكم أن أبذل كل جهد
مستطاع لخدمة اللغة العربية ،
وتوظيفها لتعليم العلوم الطبيعية
والبحث فيها ، وكذلك للنشر
العلمى . أكرر شكرى وامتنانى
لحضراتكم .

لقد تفضل أستاذى ورائد الفيزيقا
الأستاذ الدكتور محمود مختار بتقديمى
لكم ، وأسهب فى الإشادة بأعمالى

الأستاذ الكبير الدكتور إبراهيم
بيومى مذكور رئيس مجمع اللغة
العربية
السادة الأساتذة الأفاضل أعضاء
المجمع

- السيدات والسادة :

أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ
رئيس المجمع وللأساتذة أعضاء
المجمع الذين تفضلوا وأولونى
ثقتهم وأدخلونى فى زميرتهم ، وهو
شرف لى عظيم . والحقيقة أنه بقدر
ما كان فرحى واعتزازى بهذا الشرف
كانت رهبتى وجزعى . فأين أنا من
هؤلاء الفطاحل الخالدين حماة اللغة
العربية الفصحى ، والحافظين لها
والمدافعين عنها والعاملين على
ازدهارها ؟ أين أنا من هؤلاء
ومن زملائهم العلميين الذين نبغوا
فى هذا اللغة وأساليبها بقدر
نبوغهم فى تخصصاتهم العلمية ؟
أين أنا من أعضاء هذه الأكاديمية

المتواضعة وهو فضل له يستحق عليه
منى شكر مضاعف . والأستاذ
الدكتور محمود مختار من قمم
العلماء وهو مجتمعي أصيل وهب وقته
وجهد له للمجمع ؛ فهو يرعى ثلاث
لجان علمية متخصصة من لجانه ،
ويقود عملها ويوجهه فى تعريب
المصطلحات العلمية وهو عمل يستحق
كل التقدير والاحترام جزاه الله خيراً
على ما يقدمه من خدمات للعلم
وللغة العربية .

السيد الرئيس - سيداتى وساداتى :
اسمحوا لى بكلمات قليلة أصف
بها علاقتى السابقة بهذا المجمع الخالد
ونظرتى المستقبلية إلى عملى فيه .

لقد كان من حسن حظى كما
تفضل بذكره الدكتور مختار أن أدرس
وأنا طالب جامعى على أساتذة أفاضل
نبغوا فى العلم وفى اللغة العربية أذكر
منهم المرحوم الأستاذ الدكتور على
مصطفى مشرفة والمرحوم الأستاذ
الدكتور محمد مرسى أحمد والمرحوم
الأستاذ الدكتور أحمد حماد والمرحوم

الأستاذ أمين يسن والأستاذ الدكتور
محمود مختار مد الله فى عمره .
وقد عاصرت عودتى من البعثة - بعد
حصولى على درجة الدكتوراه وتعيينى
مدرسا بكلية العلوم بجامعة القاهرة
فى عام ١٩٤٨ . حركة ترجمة علمية
نشيطة كان يقودها هؤلاء ومعهم
أساتذة آخرون فى كلية العلوم أذكر
منهم الأساتذة محمود حافظ إبراهيم
و محمد رشاد الطوبى و حامد
عبد الفتاح جوهر وعبد الحليم منتصر
وهم جميعا قمم وأعضاء فى هذا
المجمع ، وقد ساهمت فى هذه الحركة
بالاشتراك فى ترجمة بعض أمهات
الكتب الرياضية والعلمية ضمن
مشروع الألف كتاب الذى كان يرعاه
الأستاذ الدكتور سليمان حزين العضو
البارز بهذا المجمع والذى كان مديرا
عاما للثقافة بوزارة التعليم حينئذ .
ولا تزال بعض هذه الكتب على رأس
قائمة المراجع الجامعية فى الرياضيات
حتى الآن . وفى المشروع نفسه
شاركت أيضا فى ترجمة عدد من

الكتب العلمية العامة ومراجعتها ،
وقد تفضل الأستاذ الدكتور مختار
بذكر بعضها .

وكانت الإدارة العامة للثقافة
التابعة لوزارة التربية والتعليم فى ذلك
الوقت تتولى هذا المشروع وتقوم بطبع
هذه الكتب المترجمة ونشرها .
وللأسف اختفى العدد الأكبر من هذه
المطبوعات ؛ اختفى داخل مخازن
الوزارة ويتعذر اقتفاء أثره رغم وجود
الطلبات المتعددة لكثير من هذه الكتب .

وفى السنوات التالية أخذت وزارة
البحث العلمى على عاتقها مشروع
ترجمة الكتب العلمية الجامعية ، وقد
شاركت أيضا فى هذا المشروع بترجمة
بعض المراجع المتقدمة فى الرياضيات
للمرحلة الجامعية الثانية ومرحلة
الماجستير . وقد اشتركت منذ عام
١٩٥٨ فى تأليف الكتب المقررة
للمرحلة الثانوية فى الرياضيات
ومازلت أساهم بجهد فى هذا الاتجاه
حتى الآن ، كما قمت بالإشراف على
ترجمة ثلاثة مجلدات بعنوان

« الاتجاهات الحديثة فى تعليم
الرياضيات » نشرتها هيئة اليونسكو .
وقد دعا هذا الجهد المتواضع أستاذى
المرحوم الدكتور محمد مرسى أحمد
أن يقدمنى إلى هذا المجمع العظيم
للمشاركة فى عمل لجنة مصطلحات
الرياضيات ، وقد تابعت العمل فى
هذه اللجنة منذ عشرين عاما وحتى
الآن ، ولقيت من الأستاذ الدكتور
رئيس المجمع وهيئة المجمع الموقرة
والسادة مقررى اللجنة كل مساعدة
وتعاون وتشجيع .

السيد الرئيس - السيدات والسادة :
لقد قضيت منذ تخرجى عام
١٩٤٤ من جامعة القاهرة ، ثمانية
وأربعين عاماً فى تعليم الرياضيات
والبحث فيها ، كما شغلت فى
العشرين سنة الأخيرة بشئون السياسة
العلمية والتخطيط العلمى على
المستوى القومى والإقليمى والعالمى .
والآن وقد سمحتم لى بالانضمام
لعضوية هذا المجمع ، أرجو أن
يوفقنى الله لبذل كل ما بقى لى من

جهد فى المساهمة فى تحقيق أهداف
هذا المجمع العظيم ، والتي تفضل
« استاذى الدكتور محمود مختار
بتذكيرى بها ، وبخاصة فى مجال
تعريب تعليم الرياضيات فى المرحلة
الجامعية وإعداد المصطلحات اللازمة
والاتفاق عليها على مستوى العالم
العربى . وسيكون ذلك حسن الختام
بإذن الله .

السيد الرئيس - سيداتى وساداتى :
لقد جرى التقليد فى هذا المجمع
على أن يتحدث العضو الجديد عن
العضو الذى ترك له مكانه ، وهو
تقليد متبع فى كثير من الأكاديميات
العريقة ، ومنها الأكاديمية الفرنسية ،
وهو تقليد سليم يعبر عن وحدة
المعرفة وتكاملها إلا أنه قد يؤدى فى
بعض الحالات إلى أن يغمط حق
العضو السابق إذا كان العضو الجديد
على غير معرفة جيدة به وغير ضليع
فى أعماله ، وأخشى أن يكون ذلك
هو الحال معى ، فالمكان الذى ساشغله
خلا بوفاة المرحوم الأستاذ الدكتور

محمد طه الحاجرى والذى لم أحظ
بمعرفته ، وأنتم أعلم منى بعلمه
وفضله ، فأرجو أن تغفروا لى أى
تقصير فى مهمتى .

ولد المرحوم الأستاذ الدكتور
محمد طه الحاجرى عام ١٩٠٨ فى
مدينة بنى سويف وكان والده عالما
أزهريا جليلا ، ومثل أترابه فى ذلك
الوقت أتم حفظ القرآن الكريم فى
إحدى المدارس الأولية ، ثم أوفده
والده عند بلوغه الثانية عشرة من
عمره إلى الأزهر الشريف ، وقد تأثر
بذلك كثيراً كما تأثر فى القاهرة بالنشاط
الأدبى والسياسى ، وكان متطلعا
للعلم شغوفا بالمعرفة فجمع أعدادا من
المجلة التى كان يحررها الأستاذ محمد
فريد وجدى ، كما اشترك فى دائرة
المعارف التى كان ينشرها الأستاذ
محمد فريد وجدى واقتنى كتبه .
ومن الواضح أنه تأثر تأثرا كبيرا بالنزعة
الإصلاحية الدينية والاجتماعية لهذا
الأديب . وقد نال الأستاذ الحاجرى
ثانوية الأزهر سنة ١٩٢٩ وتعلم اللغة

الفرنسية فى مدرسة خاصة خلال دراسته بالأزهر . بعد ذلك التحق بقسم اللغة العربية بكلية الآداب فى أعظم عصور هذا القسم عندما كان يضم طه حسين وأحمد أمين وعبد الوهاب عزام وغيرهم من الأعلام . وخلال دراسته ظهرت له بعض مقالات فى مجلة الرسالة ، وكان هذا سبقاً له لأن النشر فى هذه المجلة كان مقصوداً على الأساتذة . وبعد حصوله على درجته الجامعية عمل كطالب بحث ، وبدأ ميله نحو أدب الجاحظ فاختار لموضوع رسالة الماجستير تحقيق كتاب البخلاء للجاحظ .

وقد قدم رسالته التى صحح فيها الأخطاء المتضمنة فيما سبق أن نشره المستشرق «فان فلوتن» وتناول فى هذه الرسالة كل ما جاء فى الكتاب من ألوان الحضارة العباسية ؛ وبذلك أصبح كتاب «البخلاء» فى صورة طيبة وميسره للأدباء والباحثين ، وقد نال إعجاب لجنة مناقشته فى رسالته وعين بناء على ذلك معيداً بقسم اللغة

العربية ، واستمر فى تحقيق أعمال الجاحظ فشارك المستشرق «مول كراوس» فى إخراج طائفة من رسائل الجاحظ التى لم تنشر ، وقد تم ذلك وحققا معا أربع رسائل ونشراها سنة ١٩٤٣ . كما أعاد الحاجرى نشرها بعد إضافة رسائل أخرى وخصوصاً للجاحظ لم يسبق نشرها .

وقد نقل الحاجرى سنة ١٩٤٢ إلى جامعة الإسكندرية (فاروق الأول) وبقي يعمل بها بقية حياته الجامعية ، وكان أحد مؤسسى قسم اللغة العربية بها ، وحصل على درجة الدكتوراه برسالته عن الجاحظ أيضاً دارساً فيها حياته فى أسرته ومولده ونشأته وثقافته ومذهبه الاعتزالى ورحلاته من مسقط رأسه البصرة إلى بغداد وأرخ علمياً لمؤلفاته ورسائله ونشر عن ذلك كتاباً هاماً وقيماً بعنوان «الجاحظ حياته وآثاره» . ومن مؤلفاته الأخرى كتاب عن قصر الرشيد صور فيه النشاط السياسى والاجتماعى والأدبى فى القصر ، كما ألف كتاباً فى تاريخ النقد العربى ، وكتاباً عن الشاعر

العباسى بشار بن برد ، وآخر عن ابن حزم . ولم يقتصر عمل الدكتور الحاجرى على جامعتى القاهرة والإسكندرية ؛ فقد قام بالتعليم والبحث فى جامعات عربية أخرى ، فأعير إلى الجامعة الليبية من ١٩٥٦ إلى ١٩٦٠ وساعد فى انشاء قسم اللغة العربية بها وتعرف خلال فترة بقاءه هناك على الحياة الأدبية فى بلاد المغرب ، وكتب طائفة من الكتب عن هذا الموضوع . كما أعير إلى جامعة بغداد فى السنوات من ١٩٦٤ إلى ١٩٩٦ . وبعد عودته إلى قسمه بجامعة الإسكندرية نشر محاضراته عن الحياة العقلية والأدبية فى الجزائر ، وخص الأمير عبد القادر الجزائرى فيها بدراسة تفصيلية . وبعد إحالته إلى التقاعد سنة ١٩٦٨ نشر كتابا عن الأستاذ محمد فريد وجدى أستاذه الروحى فى شبابه . وعاد الحاجرى بعد ذلك إلى بحوثه فى الأدب المغربى فنشر كتابا عن ابن خلدون بعنوان « ابن خلدون بين حياة العلم والسياسة » ، كما نشر دراسة عن الأديب التونسى ابن شرف القيروانى سنة ١٩٨٣ بعد زيارة لتونس . كما نشر فى العام

نفسه دراسة عن مرحلة التشيع فى المغرب وأثره فى الحياة الأدبية منذ قيام الدولة الفاطمية . وإلى جانب هذا الإنتاج الغزير نشر الحاجرى مقالات عديدة فى مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية ومجلة الثقافة ومجلات أخرى بمصر والعالم العربى . ولعل من أهم هذه المقالات المقال المعنون « العربية فى المشرق الإسلامى »

وقد استقبل المرحوم الدكتور الحاجرى بالمجمع فى ٢ من مايو ١٩٨٤ واشترك فى لجنة المعجم الكبير ولجنة الجيولوجيا ونظرا لمرضه لم يستطع أن يقدم ما كان يؤمل ويحب للجتين .

هذه بعض أعمال المرحوم الأستاذ محمد طه الحاجرى ، وآمل أن ينظر تلاميذه وعارفو فضله فى جمع ونشر أعمال هذا المجمعى الشامخ فلا شك أنها جديرة بذلك .

السيد الرئيس - السيدات والسادة :
أتقدم مرة أخرى بالشكر للسادة أعضاء المجمع وللسيدات والسادة الذين تجشموا مشقة الحضور اليوم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عطية عاشور

عضو المجمع

كلمة المجمع فى استقبال العضو الجديد الأستاذ الدكتور كمال دسوقى

للأستاذ الدكتور كمال بشر
عضو المجمع

السيد الرئيس ، حضرات السادة :
يسعدنى أن نستقبل معاً اليوم الزميل
لجديد الأستاذ الدكتور كمال محمد
دسوقى عضواً عاملاً بحصن العربية ،
ومفكراً رائداً فى دنيا العلوم الإنسانية على
اتساع جوانبها وأبعادها ، ويحق لنا إذ
نرحب به فى رحاب المجمع وحماه ، أن
نعتر ونفخر بانضمام محارب متمرس ،
خبير بفنون التعامل مع بضاعته ، وهى
بضاعة غنية ثرية ، عميقة الأصول ،
متنوعة الروافد ، التى لا يجف ماؤها
ولا ينضب معينها .

إن الدكتور دسوقى فيلسوف فى أصل
اهتماماته وتخصصه الأول ، والفلسفة كما
نعلم هى أم العلوم ، ومن ثم لا نعجب
أن تنطلق طاقاته وقدراته إلى آفاق من
العلم والمعرفة أوسع وأرحب ، آفاق
تولدها خصوصية الفكر وعمق النظر
وتستمد غذاءها ورِيَّها من تلك المنحة
الربانية المتمثلة فى العقل المدبر والبصيرة
النافذة ، وهكذا تنوعت اهتمامات صاحبنا
وتعددت أطرافها ، فكان الفيلسوف
الاجتماعى ، الأديب اللغوى ،
المربى المعلم ، القانونى والسياسى
الحصيف ، ووظف هذه الاهتمامات
 والاتجاهات فى قضية الإنسان
بوصفه عضواً فى مجتمع له حقوق وعليه
واجبات ، ومن ثم انطلق إلى البحث فى
علم النفس بأفائه المختلفة ، فكان عالم
النفس المدقق الذى لا يشق له غبار ، وجاء
ذلك كله فى تناسق وتكامل ، يساند
بعضه بعضاً ، ويتسبب بعضه إلى بعض ،
كما جاءت آثار هذه الجوانب والأبعاد
فى صورة تطاول التمام والكمال ،
وقديماً قالوا : لكل مسمى من اسمه
نصيب .

ولد الدكتور كمال محمد أحمد
دسوقي بقرية ديا الكوم من أعمال محافظة
المنوفية فى اليوم الخامس من يوليو سنة
ثلاث وعشرين وتسعمائة وألف . نشأ
وتربى فى بيت علم وفضل . إذ كان والده
ناظرًا فى مدارس التعليم الأولى القديم .
وكانت رغبة الوالد فى البدء أن يعدّه
للاتحاق بمدارس المعلمين الأولية
أو ابتدائية الأزهر فأخذ يحفظه القرآن
الكريم بنفسه ، حتى أتمه الفتى وختمه فى
سن التاسعة من عمره . ولكن والدته تمنّت
على أبيه أن لا يتتظر قبوله بالمعلمين
أو الأزهر فى سن السادسة عشرة ، وأن
يبعث به إلى المدرسة الابتدائية ليكون
(أفنديًا) مثل ابن فلان وفلان . . . الذين
يتهادون رائحين غادين فى سترات
وسراويل قصيرة وطرايش حمراء ،
فحضره والده بمعاونة تلاميذه الجامعيين
تحضيراً آخر بإعطائه دروساً فى اللغة
الإنجليزية ، ثم أحقه بمدرسة البعثة
الأمريكية التى بقى فيها ستين ، ثم انتقل

إلى مدرسة الألفى الابتدائية (الثانوية
العسكرية الآن) بمنيا القمح ، وحصل
على الشهادة الابتدائية سنة ست وثلاثين
وتسعمائة وألف ، ثم انتقل بعد إلى
مدرسة الزقازيق الثانوية ، وهناك تفتحت
مواهب كمال فى الأدب العربى والشعر
والخطابة - حيث طبع له ولرفيق دربه عمر
حافظ أحمد شريف ، المستشار القانونى
ومدير مكتب الرئيس الراحل جمال
عبد الناصر ونائب رئيس المحكمة العليا
الدستورية فيما بعد - طبع لهما ديوان
شعر على نفقة الوزارة سنة ثمان وثلاثين
وتسعمائة وألف بعنوان « روض الخيال »
واختتم دراسته الثانوية بالحصول على
الجائزة الأولى فى مسابقة الأدب العربى
لطلاب السنة التوجيهية سنة اثنين وأربعين
وتسعمائة وألف ، قيمتها مجانية كاملة
بالجامعة فى الكلية التى يختارها ،
بالإضافة إلى عشرين جنيهاً نقداً ومجموعة
من الكتب مهداة من وزير المعارف العمومية
على زكى العرابى باشا . فقد شدّ من أزره

حيثُذ على التفوق فى الأدب العربى
التهامه لأمهات كُتب ودواوين الشعر قديمه
وحديثه ، وكتب الفقه والتَّصوف التى
حوثها خزانة عمه وحميَّه الأزهري
الدرعمى الأستاذ أحمد أحمد دسوقى ،
كما حظى بتشجيع أساتذة اللغة العربية له ،
وعلى رأسهم أستاذنا العظيم الشيخ عطية
الصوالحى عضو المجمع السابق رحمه الله
الذى كان كثير الافتخار به والحديث عنه
وكأنما يقول : ولتُصنَع على عيني .

ولما تقدم للالتحاق بقسم الفلسفة
بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول سنة
اثنين وأربعين وتسعمائة وألف ، نال
المجانية الكاملة لأسباب تفوقه وتخرج فى
قسم الفلسفة بتقدير جيد جدا ، وسجَّل
بالدراسات العليا للماجستير مباشرة ودون
سنة تمهيدية بوصفه طالب امتياز
واختار تخصص علم النفس - لما
يشربه من إمكانات تحليل السلوك
الإنسانى وقياساته تجريبيا وإحصائيا ، ولما
بتغياه من مقاصد تعديل انحرافات هذا

السلوك وتشكيله وتقويمه وعلاجه ، وكان
موضوع بحث الماجستير موجهها نحو إحدى
عمليات العقل العليا - وهى إدراك الكلى
عند الطفل - دراسة نمو مدارك الصغار
العقلية - وحين أراد أن يسجل للدكتوراة
فى موضوع العقاب التربوى ، عاوده
الحنين إلى دراسة القانون، فتقدم
بالانتساب إلى كلية الحقوق بجامعة عين
شمس سنة أربع وخمسين وتسعمائة وألف ،
التى كان قد تقرر السماح بالدراسة فيها
للمنتسبين من الطلاب ، فلم يرض لنفسه
أن يدرس العقاب فى كلية الآداب وفى
مواجهتها كلية الحقوق تؤصل للعقاب
وتقنن العقوبات ، ولعله فى عقله الباطن
إنما كان يعاقب نفسه على ما تراوح طويلا
منذ البدء بين أن يقصد الحقوق على الفور
كبقية رفاقه الذين قدر لهم أن يصبحوا
رجال دولة وساسة وقضاة ، وبين أن
يلتحق بالآداب التى يتخرج فيها الكاتب
والأديب والصحافى والإذاعى . لقد
أرضى نفسه بعدم التصدى لدراسة العقاب

فلسفيا واجتماعيا ونفسيا - بمعزل عن
الأسس التشريعية والقانونية ، وجامعت
رسائله فى علم النفس العقابى : أصوله
وتطبيقاته علم نفس جديد يكمل حلقة
دراسات علوم الجريمة والعقاب ثلاثية
المراحل والإجراءات : الجنائى والقضائى
والعقابى - المتمثلة فى مراحل عمليات
الشرطة والمحكمة والسجن ولم يكن
معروفا منها حتى ذلك الحين سوى الجنائى
والقضائى - يدرسهما فى حقوق القاهرة
المستشار محمد فتحى ، وفى حقوق
عين شمس الدكتور أحمد خليفة ، وهكذا
خرج الرجل للحياة العملية يكافح وينافح
فى سبيل نشر معارفه وتحقيق مبادئه التى
نعمت بهديها هيئات ومؤسسات علمية
مختلفة فى أرجاء العالم العربى شرقه
وغربه وفى جهات أخرى من العالم على
اتساعه وتراعى أطرافه .

تدرج فى سلم هيئات التدريس
بالجامعة بدءا بمدرس فأستاذ مساعد فأستاذ
بكلية الآداب جامعة القاهرة فرع الخرطوم،

ثم ولى رئاسة قسم العلوم الاجتماعية
بجامعات القاهرة / الفرع وأم درمان
الإسلامية وبيروت العربية ، ثم رئاسة
قسمى علم النفس التربوى والصحة النفسية
بكلية التربية بجامعة الزقازيق وعمادة هذه
الكلية ، ونُصّب فى النهاية نائبا لرئيس
الجامعة لشئون التعليم والطلاب- وهو فى
كل ذلك هنا وهناك يعطى ويمنح من
معارفه الواسعة وعلمه الغزير ويرشد ويعلم
بخبرته وتجاربه الطويلة ، ولم يقف عطاء
الدكتور دسوقى عند هذا الحد ولم تقتصر
جهوده على هذه الميادين بل شرق وغرب،
وطاف أرجاء الدنيا محاضرا ومعلما
وأستاذا زائرا مشاركا فى مؤتمرات وندوات
علمية فى شتى بلاد العالم ، فى لندن
وكوينهاجن ، وتونس والجزائر ، وكينيا
والخرطوم ولبنان واليابان ... هذا
بالإضافة إلى حصوله على عضوية ثمانية
اتحادات وجمعيات دولية فى علوم الإدارة
 وإدارة الأفراد ، والعلاقات الصناعية ،
والصحة النفسية والتربية المقارنة .

وإذا ما أشرفنا على إنتاجه وآثاره العلمية ، ألفينا بحراً عميقاً واسع الأطراف والجنبات ، يتمثل ذلك فى البدء فى إعداد وتكوين مدرسة كمالية من تلامذته التابعين له فى تحمل المسئولية ونشر أفكاره ومبادئه فقد أشرف الرجل على أربع وثلاثين رسالة دكتوراة وخمس وأربعين رسالة ماجستير فى الاجتماع وعلم النفس والتربية . وله من المؤلفات اثنا عشر كتاباً ، ومن الترجمات تسعة كتب فى مختلف العلوم والاجتماعية كما أشرف على ما سماه «مكتبة الثورة الإدارية» التى تتظم أربعة عشر كتاباً ، وهذه الكتب الأخيرة جاءت استجابة لواقع مصر بعد التأميم ، وأظهر شعارات: تكافؤ الفرص، عدالة التوزيع ، القضاء على الرنتين ، رفع المعاناة عن الجماهير ، الرجل المناسب فى المكان المناسب اختيرت هذه الكتب من عيون الكتابات الإنجليزية والأمريكية فى حركتى الإدارة العلمية والعلاقات الإنسانية ، وهى تعرض بإيجاز وتكثيف لموضوعات

دراسة الإدارة العامة ، عملية تدريب الرؤساء ، المشاكل الإنسانية للمدنية الصناعية ، إدارة المشاريع التجارية ، اقتصاديات التنظيم الصناعى . . إلى غير ذلك . وقد جاءت مؤلفاته متنوعة ، تغطى مساحات كبيرة من تخصصه ومعارفه ، ولنا بمستطيعين هنا أن نعرض لكل اتجاهاته العلمية التى أبرزتها هذه المؤلفات ، ويكفى أن نشير هنا إلى شىء منها على ضرب من التمثيل ، ففى كل دراساته وتطبيقاته لعلم النفس على العديد من المجالات التى تيسر له ارتيادها ، لم يغب عن الدكتور دسوقي أن بغيته هى إسعاد الفرد فى مواجهة المجتمع ، ففى تناوله للعقاب فى تعليم الصغار وفى تقويم الجنّة وإصلاحهم ، جاء خطابه موجهاً منذ البدء إلى السلطات التى تملك شرعية حق العقاب ، بوصفها المسئولة مع عوامل أخرى عن الانحراف وتهيئة مسرح الجريمة ومن حق الرجل علينا فى هذا المقام ، أن نشير إلى أكبر إنجاز علمى حققه على

مدى عشرين عاماً من الجهد الدائب في تأليف موسوعة علمية جامعة أسماها «ذخيرة علوم النفس» حشد فيها الترجمة الدقيقة لأكثر من خمسة وعشرين ألف مصطلح في علم النفس وما يتصل به أو يتفرع عنه - من سيكوفيزيقيا ، وسيكوبولوجيا ، وفياسات عقلية ، وتحليل نفسى ، وطب عقلى ، وأدوية نفسية - بالإنجليزية والفرنسية والألمانية - بترتيب ألفبائى واحد - لتعريفات مصطلحات علوم النفس وأعلامه بكل فروعه : الفسيولوجى التربوى ، الاجتماعى ، الصناعى ، الإدارى ، الجنائى والعقابى ، المرضى والعلاجى استخلص هذه التعريفات من سبعة معجمات رئيسية فى اللغات الثلاث ، مع توثيق كل تعريف من جملة تعريفات المصطلح الواحد فى مراجع هذه اللغات بالإشارة إلى رمز اسم المرجع ورقم الصفحة ، ومع تأصيل المصطلح المعرب إلى جانب تأصيل المصطلح الأجنبى - بإثبات الجذر

اليونانى واللاتينى أو الأنجلوسكسونى الحديث - ساعده فى كل ذلك تمكنه من اللغتين الإنجليزية والفرنسية قراءة وكتباً ، منذ دراسته الأولية ، ثم تدريسه لهاتين اللغتين فى بدء حياته العملية ، كما ساعده على ذلك أيضاً ما لديه من حس لغوى بجذور الاشتقاق وتعمق واضح فى ميادين الصرف والنحو ، سواء أكان ذلك فى العربية الفصحى أم فى اللغات الكلاسيكية . إن هذا العمل العلمى الموسوعى الذى عكف الدكتور دسوقي على إضافته للمكتبة العربية وتحمل جهود إخراجها وتكاليفه الذهنية والمادية طوال عشرين عاماً لهو بحق ذخيرة لدارس العلوم الإنسانية عموماً التى ينهل منها علم النفس بخاصة فى شتى مجالات الحياة التى تتكشف فيها الطبيعة والإنسانية ويفسر بها السلوك والإنسانى . وهو مرجع يجد فيه الباحث ضالته من المفهومات والنظريات والتطبيقات والممارسات المتعلقة بأية شاردة أو واردة فى تراث علم النفس الطويل كما يقف على

أعلام الكتاب والمنظرين والممارسين في هذا
الحقل الواسع العريض .
أيها السادة :

ما سجلناه هنا لا يعدو أن يكون
جسوة طائر من بحر عميق ، بحر العلوم
الإنسانية والآداب والفنون التي ملك زمامها
وفصل القول فيها زميلنا الفاضل
الأستاذ الدكتور كمال دسوقي ،
وليس بالإمكان بطبيعة محدودية الوقت أن
نجلو مسيرته المشرقة تمام الجلاء ،
إن المجمع إذ يستقبله اليوم ويرحب به
في سلك أعضائه الخالدين ، عاملاً
مخلصاً للغة وعروبه لِيَتَنَظَّرَ منه
العطاء الموصول والنفيع الوفير على
سنة الصفوة المخلصة من خيرة
العلماء الرواد في العلم والمعرفة ،
والدكتور دسوقي أهلٌ لهذا كله ، فقد

مُنح موهبة لا تُبارى ، وصبراً ودأباً على
الدرس والبحث من نوع فريد ، وكم كان
جميلاً من الدولة أن تكافئ هذه الشخصية
البارزة وتقدر جهودها وكفاحها في ميدان
التوير والعمل المسئول - إذ تفضل السيد
الرئيس محمد حسنى مبارك بمنح الدسوقي
وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى عند
بلوغه سن الستين سنة ثلاث وثمانين
وتسعمائة وألف ، وفاءً بحقه وعرفانا
بفضله .

فأهلاً بالدكتور كمال محمد أحمد
دسوقي في حصن العربية وبنينا لمجمع
الخالدين بحارس من حراس اللغة القومية
وحماها .

والسلام عليكم ورحمة الله .

كمال بشر

عضو المجمع

كلمة الأستاذ الدكتور كمال دسوقي

فى حفل استقباله عضوا بالمجمع

السيد الرئيس المفضل :

السادة الافاضل الأجلاء :

أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو
الفضيل المنان ، واسع الفضل وعظيم
الإحسان ، الذى كان من جملة أفضاله أن
منّ على سبحانه بأولى الفضل منكم
والسعة فى العلم والبيان بلغة القرآن ،
فاخترتمونى أخا لكم ، واتخذتمونى واحداً
منكم ، أسبغتم على فضلة ما فضلكم به
الله على العالمين ، وأفضتكم بما من الله
عليكم فأدخلتمونى بمشيئته فى الصالحين ،
فلا أقول ما قال قارون - وهو أعلم
بنى إسرائيل بالتوراة بعد موسى وهارون -
«إنما أوتيته على علم عندى» . . . وإنما
أقول - شاكراً لله أنعمه وللخالدين ما
يسرهم الله إليه من إيتاء الخير وإسداء البر :
ذلك الفضل من الله ، ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء ، وللآخرة أكبر درجات
وأكبر تفضيلاً .

ذلكم أن ما طوقتم به عنقى - شكر
الله لكم - هو أعز على من كل كنوز
قارون ما إن مفاتيحه لتتوء بالعصبة أولى
القوة ، أين منها مفاتيح الغيب لا يعلمها
إلا هو الموصلة إلى خزائن علمه ، وبما
ادخرتمونى لثواب الله هو خير لمن آمن
وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون ،
إنما مننتم على بغير من ولا أذى وبلا
مباهاة أو مفاخرة فلم أجد إلا كل تزكية
وترحيب . وإنى والله حين سعيت إلى
عتبات هذا المجمع الجليل أتبرك بإهداء
جهد علمى أمضيت فيه أخريات العمر
لأختتم به حياتى الدنيا قرباناً للآخرة ،
وأتملى طلعة أساتذة لى عظام أجلاء تلقيت
عنهم أول الأربعينيات العلم الرفيع والخلق
النبيل وتمثلت فيهم الشموخ والعزة والإباء
. . . لم أكن أطمع فى أكثر من أن
يقول لى أحدهم «أحسن» ، أو الثانى
«فتح الله عليك» ، أو الثالث : «تقبل الله

منك» - فأقرّ عيناً برضى الله الذى يعكسه
رضى الناس ، ويطيب خاطرى وتسكن
نفسى إلى القبول والرضوان . بيد أنى لم
أبث حتى علمت أن الله قد سلكنى بهم
فى الصالحين ، فأيقنت أن أكابر العلماء
ورثة الأنبياء لا يصدرن إلا عن أخلاق
النسوة : إنا لا نولى الأمر من سألته ،
ولا نعطى العمل من طلبه واستعان عليه
حتى يناله ، وأن الولاية لمن أوثمن عليها لا
لمن طلبها وسعى إليها .

وسبحان الله ، حقا لا يعرف الفضل
إلا ذووه ، فعلى مدى حياة امتدت إلى
ما يناهز السبعين لم ينعم الله على بثواب
استحقاقته بالجد والمثابرة إلا شابته شائبة المن
والأذى من قبل الذين أمرهم الله بتأدية
هذه الأمانة إذ ولّاهم الله على ، وبدورى
ما أديت للذين ولانى الله عليهم ما قد
يستحقونه ابتغاء الحث على المزيد من
الإخلاص فى الجهد والقصد . . . إلا
أشعرونى هم بالامتنان على ما قصدت
وجه الله فيه وصالح المؤمنين أن أودى

الأمانات إلى أهلها . ومع أن ديدنى
لنفسى ولمن أعول كان دائما : إذا سألت
فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله
لم أكن أملك إلا نفسى فى أن أمحو من
نفوس المجتهدين فى العلم السابقين على
واللاحقين لى مظنة المن وانتظار
المقابل من الحمد والثناء ، فقد فشا فى
زماننا - والعياذ بالله - سؤال غير الله
فابتلينا بالوساطات والشفاعات يتوسل بها
لمعاشهم أصحاب الحاجات وأهل الأمانات
وإن كان ليسبقهم إليها ويستأثر بها غير
المستحقين من ذوى القربى أو الخطوة ،
وضنّ الولاة من جانبهم بأداء الأمانات
لغير أهلهم والتابعين لهم أو المحسوبين
عليهم يؤثرونهم بها من دون مستحقها ،
بل لقد بلغ الأمر فى استعمال الرجال
رؤساء ومدراء ووزراء وولاة أمور على
عشرات بل مئات وآلاف الأنفس من الناس
- مع العلم يقينا بأن فيهم من هو أفضل -
أن يولّى الأمانة أضعفهم وأعجزهم عن
تحمل المسؤولية لأنه الأطوع والأسلس قيادا

لمن استعمله بلا تورع عن غش الله
والرسول وجماعة المسلمين ، وقمين بمن
سأل غير الله حتى نال سُؤْلَهُ أن يظل
مستعينا بغير الله في ولاية الأمر فلا يؤدي
الأمانات إلى أهلها أو يحكم بين الناس
بـ (العدل) الذي يرضى ربه ولى نعمته
الذى استعمله دون من يَفْضُلُونَهُ .

ولقد كنت عاهدت الله من قبل في
جو هذا العيش المشوب بالمنونية لغير الله
في الأجر عن العمل بالدنيا للآخرة أن أنجو
بنفسي أولا من هذا الشرك بالله لذوى
السلطان والجاه - وذلك بالزهد من جانبى
عن التطلع إلى ما بأيدي الناس مما هو حق
لى قد وكل الله إليهم أمانة تأديته ، وعدم
الإلحاف في طلب المستحق لى إذا تكاكأ
عليه الساعون له الراغبون فيه بغير حق ،
وأن أهب ما بيدى مما أعطانى الله خالصا
لى فلا ترى اليسرى ما تمتد به اليمنى . .
عسى أن يجعل الله بذلك أسوة حسنة لمن
كان يرجو الله واليوم الآخر ، ثم أن أشيع
ذلك من حولى فيمن يتعاملون معى

بتعاطى العلم فى مجرد ورهادة يظل معهما
طلب العلم على وجه الخصوص مبرا من
الغايات خالصا لوجه الله فى خدمة
المجتمع الذى بؤنا - بما أتاح لنا من فرص
التعلم والتهذب - مراكز ولاية الأمانة على
أهلينا فحق علينا أن ننفعهم بعلمنا الذى
آتانا الله فى غير تكبر أو استعلاء وبلا
تسلط أو استبداد ، دون استغلال للنفوذ
أو ميل مع الهوى أو تربيح واتجار من
الاشتغال بغير العلم فى مناصب أهل العلم .
وقد طالما دعوت الله أن يسدنى ويُعيننى
على ما قصدتُ إليه من تقوى الله وخشية
عدم الوفاء بأمانة ولاية الأمر وقد يسرنى
سبحانه لأن أربط فى أكثر مجالات الحياة
وجوبَ التزام بالصدق ، وإيثار للحق ،
وتواضع فى العرض ، وتأدب فى
الطلب ، وسماع المريد عن الشيخ ،
وجلوس المتلقى إلى المعلم ، ولزوم
السالك للواصل . . . وهو مجال طلب
العلم - المجال الصعب (الطويل سلّمه ،
إذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه) ، المجال

الذى هو نور الله لا يهدى لعاصٍ (حسبما
أرشد وَكِيعُ الشافعيُّ ليقضى على شكواه
من سوء الحفظ بترك المعاصي) ، المجال
الذى سلكته بتقبيل يد والدي وشيوخى
ولا أزال وأنا فى سن الشيخوخة والأستاذية
- وإن امتنعتُ أن يفعل بى ذلك أبناى
وتلاميذى مهما يصح العزم منهم وتخلص
النية كى أدفع عنهم شبهة الرياء والتصنع
أو مظنة النفاق والتملق أن تستشريا فى
نفوس الجيل أكثر مما استشرتأ، وإبراء لذمة
الشباب أن يستصغر نفسه كلما رأى واجبا
عليه أن يعبر لى عن امتنانه أو بنوته وقد
كبر وأصبح هو أبا لأبناء قد لا تربطه بهم
نفس الأبوة الروحية التى ربطتنى به منذ
سنوات - لتغير الظروف وتبدل الأحوال
بتعاقب الأجيال .

وصدق رسول الله فيما قال عن نفسه :
«أدبنى ربى فأحسن تأديبى» ، فإن حفظ
القرآن وتدبر معانيه والعمل به منذ النشأة
الأولى هى التى انتهت بنا جميعا فى نهاية
المطاف إلى مقاعد خدمة لغة القرآن فى هذا

المجمع الجليل - على اختلاف تخصصاتنا
فى مدارج الحياة العملية بعلوم الدين
والدنيا . ولقد وقعت حادثتان فى طفولتى
كانتا آية على افتداء الله لى لأوقى نذر
والدى أن يهينى للعلم الدينى وهو
يحفظنى القرآن بنفسه فى سن الخامسة -
حيث كان أول ما تحركت به شفتاى
ولسانى للنطق وما تفتحت عليه عيونى
وسائر حواسى للتلاوة وما تنبعت له
مداركى للفهم وتطهر به قلبى للإيمان ..
هو حفظ القرآن . كان - رحمه الله -
يوقظنى وشقيقى من قبل صلاة الفجر
لنصبَّ عليه لوضوئه ثم نتوضأ نحن
لنصلى معه ، ثم نلحق به عند خروجه
على طريق الذهاب إلى مدرسته الأولية
التي كان ناظرها ونسير معه ونحن نتلو
القرآن خلفه وبين يديه ، حتى إذا وصل
ودق الجرس واصطف التلاميذ ودخلوا
الفصول ، يلحق أخى الأكبر بفرقة الأولى
بينما يصحبنى (الفراش) إلى الكتاب
القريب ريثما يحين موعد الانصراف وإلى

حين بلوغى سن اللحاق بالمدرسة . وذات يوم كان والدى قد حل محل معلم تغيب أو تأخر لعذر قهرى ، وبصرف النظر عن موضوع الدرس أو مادته ، أراد والدى أن يمتحن التلاميذ فى جودة حفظهم لما هو مقرر عليهم من سبعة أجزاء القرآن بالفرقة الثانية من السادس حتى الثانى عشر ، ويبدو أن واحداً من الصغار لم تُعجب والدى تلاوته أو حفظه لسورة (الزخرف) التى امتحنه فيها ، فأرسل أحد السعاة إلى الكتاب ليستقدمنى على عجل ، فجاء بى وأدخلنى إليه لأفاجأ بقوله مخاطباً التلاميذ : هذا الصغير الذى لا يصل إلى موضع ركبتكم سوف يتلو عليكم سورة الزخرف . وأقسم بالله غير حائث ، لو أخطأ خطأ أو لحن لحنة لأذبحنه وألقى بجثته فى النيل هاهنا . ثم رفعنى حتى أوقفنى على حافة القمطر أمام أول مقعد مواجه للتلاميذ وقال لى : اقرأ سورة الزخرف . وبينما أستعيد بالله من الشيطان الرجيم قبل البسملة أخرج هو من جيب

قفطانه مطواة إنجليزية (شفيلد) مقوسة النصل عاجية المقبض كان يعلقها فى صديره ليقتطع بها أقلام البوص التى كنا نتسلمها لتحسين خطوط النسخ والرقعة والثلث والفارسى فى الأمشاق التى أعدها التعليم الأولى القديم بعدة حصص أسبوعياً لهذا الغرض . وفى غير وعى بما يجرى بدأت أتلو بالغنّ والمد : بسم الله الرحمن الرحيم ، حمّ والكتاب المين ، إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ، وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم وفيما لا يقل عن ربع الساعة وأنا فى هذا الموقف الرهيب أتممت التلاوة بصدق الله العظيم - وإذا به يقول للتلاميذ : صفقوا له يا أولاد الـ . . . ثم أنزلنى من وسطى بكلتا يديه وقال لى : انصرف ، وعاد فنادبنى ليمنحنى قرشين من الفضة نصف الفرنك المسدسة لأشتري بها ما أريد ، وطبعاً لم أتصرف فيها حتى التقينا فى البيت على الغداء ، فأرسل من اشترى لنا بها فاكهة الموسم - وكانت المشمش ، وفى

هذا أيضا بلاغة مناسبة المقام لمقتضى الحال ،
وقد امتد به وبى العمر فأصبحت أستاذا
للتربية ، وتذاكرنا هذه التجربة القاسية التى
ما كان ينبغي أن يطاوعه قلبه بالإقدام عليها
فماذا لو أننى - لرهبة الموقف وعدم
الاستقرار فى وقفتى الطويلة على حافة
القمطر - أخطأتُ أو لُحنتُ ؟ أكان فعلا
يذبحنى ويلقى بى فى النهر ؟ فما كان
جوابه إلا أن قال إنه كان واثقا بى ، وأن
الله نجى الذبيح إسماعيل لأنه قال لوالده
« يا أبت افعل ما تؤمر ، ستجدنى إن شاء
الله من الصابرين » . لقد صبح عزم الخليل
إبراهيم على الوفاء بالندى فكان الفداء بذبح
عظيم .

ومن قبلُ كان الله قد افتدانى حين
كف بصرى عقب ولادتى فرد إلىَّ نعمة
البصر . إذ تقول والدتى رحمها الله إنه
حين ولدتُ لها بعد سنة وخمسة وعشرين
يوما فقط فى أذيال ابنها البكر الذى كان
أشقر الشعر أزرق العينين متورد البشرة ،
وجئت أنا لوالدى أسمر الوجه فاحم الشعر

مكتحل العينين ، حسدها النسوة حولها
على إنجابها الذكور وهن يدارين الحسد بأن
هذا الأسمر العبوس كما تقول هى سيكون
له فى الرجال شأن أبهى . فققدت البصر
كاملا ثانى أيام السماية بـ (كمال) الذى
أطلقت على اسم ابن عم لها كان الذكر
الوحيد من أخوالى فى أسرتها ، وأهرعوا
بى إلى طنطا حيث أقامت بى فى إحدى
العيادات شهرا تم خلاله إنقاذ البصر من
العمى الكلى فانجلت الغشاوة وإن تكن
أورثتنى بصراً قليلا لازمت معه لبس
النظارات منذ نعومة أظفارى ، ولزم أن
يصطحبني أخى الأكبر إلى المدارس التى
لحقنا بها معا ، لا يصدق أحدٌ أننا شقيقان
لاختلاف الصورة ، للتوصية على أن أتخذ
مقعدى بحجرة الدرس أول صف وفى
الوسط لأرى السبورة ، كما كان الكشف
الطبي للحاق بالشانوى فالجامعة أكبر هم
لوالدى يخشى معه أن يحول ضعف النظر
دون قبولى ، وبعد التخرج والاشتغال
بالتدريس تعجلت استلام العمل بتأجيل

الكشف الطبى لسرعة احتياج مدرسة
المنصورة الثانوية لمدرس اللغة الفرنسية
المعين لسد الفراغ فى جدول المدرسين ،
وإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى
القلوب التى فى الصدور ، لقد كان أخى
الشقيق البكر الذى برع فى الرسم والنقش
والفنون الزخرفية ينادينى بالأعمى
الدُّبْرِى (ولا أعرف ماذا تعنى) ودواس
الكلاب يغطى بها قصوره هو عنى فى
الحفظ والفهم ، وأنه بصحيح بصره يقرأ
الصحف بأخطاء يضحك لها هو نفسه ،
كان والدى قد أوكّل إلى أن أراجع معه
حفظ (اللوح) وتسميع (الماضى) فيلهو
هو ويضربنى أبى لعدم تحفيظه ، لكن الله
عوضنى عن ضعف النظر بحافظة قوية
وبديهة حاضرة وحسن تصرف بالمواقف
جعلت والدى يعتمد على أكثر منه فيما
يحتاج إليه من تدبير شئون الأسرة فى المال
والأنفس والثمرات وهو واثق من كونى
أجيد التصرف بروية وبلا طيش
أو اندفاع - شأن كل ثانى الأشقاء وهو

يولد عصاميا لانطوائه على فكره ومشاعره
التى لا مجال لها فى محيط والدين ما زالا
على تدليل ولدهما البكر وإهمال الذى
جاء يقاسمهما مشاعرهما المتدفقة نحوه
التى لم تشبع بعد أو تترشد. ومن حكمة
الأقدار ولا أقول عجائبها أن يكون
اشتغالى بالتنقيب فى بطون معاجم اللغات
ودوائر المعارف التى تدق حروف طباعتها
بما يتعين معه التدقيق فى تهجئة كلماتها
وتمييز معانى ألفاظها التى تختلف بفارق
حرف واحد فى المبنى.

السيد الرئيس :

السادة الزملاء :

إن بينى وبين سلفى العظيم مصطفى
مصطفى مرعى لموعداً مع القدر أرجو الله
أن يكون شفيعى للحاق به فى الصالحين ،
فحين تخرج هو بالليسانس فى الحقوق
سنة ١٩٢٣ عن إحدى وعشرين سنة من
العمر كنت أنا فى طريقى إلى أن أرى
النور وليدا فى الخامس من يوليو فى تلك
السنة ، وحين ولى القضاء بحكمة

الإسكندرية سنة ١٩٣٢ لتطبيق نظام
القضاء المستعجل الجديد بالمحاكم الوطنية
على صغر سنه - إذ عيّن غير مسبوق إلى
مثل هذا التقدير لنبوغه عضواً بالتفتيش
القضائي بوزارة العدل ليزن جهود زملائه
من رجال القضاء . . . كنت أنا أؤدي
امتحان جمعية المحافظة على القرآن الكريم
بالقاهرة وأنا في سن التاسعة ، وحين
تخرجت في ليسانس الفلسفة بكلية الآداب
سنة ١٩٤٦ كان هو يتسنى أرفع المناصب
القضائية بتعيينه مستشاراً بمحكمة النقض ،
«ليجلى غوامض القانون ، ويُعَدّ القواعد ،
ويقوم اعوجاج الأحكام» ، ثم لا يلبث
حتى ينتقل بعد عام أو عامين لرياسة قضايا
الحكومة ، فإذا به أول رئيس إدارة
يترفع أمام القضاء ، لا يندب للقضايا
الخطيرة غير نفسه ، وهو في إدارته وجه
النهار وزلفاً من الليل ، يجعلها دأبه
ناصبة كخلية النحل ، ومن لا يعمل فعليه
أن يستقيل ، لا يحاسب إلا على الكباطر ،
ويوجه ويشارك ، ويعطى الفرصة

للمحاولة والخطأ ، ويقف وراء الرجال
عند الحاجة ، ويعلم ويتعلم ، ويجري
الخير على المرءوسين بالمعارف التي يقدمها
والتجارب التي يتيحها ، والكتب المجلوبة
من الداخل والخارج ، والدرجات
والترقيات التي تجعلهم يتذوقون جدوى
العمل ومعنى العلم فيسعون للتقدم . إنه
ليس رئيساً وإنما هو زميل كبير . . . لقد
أضاف جديداً غير مألوف في رجال القضاء
- فن قيادة الرجال - ومن غرامه بقيادة
الرجال ، ومن اقتداره على تحقيق
الإصلاح الإداري والقانوني ، ومساعدة
الأفراد ، والإبداع في معارك فنية ليس لها
نظير في كل المستويات . . . يقول لرفاقه
إنها أعظم عمل أحبه . وقد اشتغل
بالقضاء والمحاماة وعمل بالتدريس الجامعي
وبالتأليف . وهنا تسعفنى الذاكرة بما
سمعنا عنه وقرأنا له منذ منتصف
الأربعينيات في ساحات القضاء وعلى
منابر البرلمان والصحافة من مقالات وطنية
ومن مرافعات ثورية واستجابات محرجة

للوزارة والقصر . . . فى جريدة اللواء الجديد - صحيفة الحزب الوطنى التى كنا نتغنى مع أستاذنا الفيلسوف الشاب المتأجج غيرة على مستقبل الوطن الدكتور عبد الرحمن بدوى بما يكتبه خصوصا الأستاذ مصطفى مرعى فى انقضاخ على رؤوس الحاكمين لا يخشى فى الحق لومة لائم أو غضبة غضوب مهما تكن سطوته - إيماننا منه بأن الكلمة الحرة الصريحة الجريئة هى ألزم ما يلزم مصرنا آنذاك ، واستعدادا لمضاعفة جرعة الدواء إذا لم ينحسر الداء ، وتأهبا لزيادة قوة المقاومة كلما ازدادت قوة الاستعداد ، فيكون ما يقوله غدا أو بعد غد أبعد غورا وأشد وقعاً من كل ما قاله حتى آنثد .

ولكن - وأنا أتشبهه به وأتمسح بالانتساب إلى مآثورات فعله وقوله عن المحاماة - إنها مهنة الكرامة والحرية والكفاح - وعن الدفاع عن المظلومين الذين تحالف عليهم الظالمون - إنه مروءة ونجدة - وعن الانتصار للذين لا حيلة لهم

المستضعفين لا يملك أن يخفى ما فى دخيلة نفسه من مسئولية الحكومة أو الدولة . . . وما حدث عنه زميله شاعر الفصحى عزيز أباطة غداة تقديمه للمجمع المقدس (١٩٧٣) عن قوله لزملائه طلاب الحقوق أول العشرينيات : « فليؤمن كل منا بما آمن به وهذا خير ، أما عبادة الأشخاص والتسابق على تأليه ما يقولون وتقديس ما يصنعون فإنها علامة إسفاف متهافت تصيب الأمم والشعوب » . فى محاولة تشبهي به : أين الثرى من الثريا ؟ أين من مقعده من الأحزاب السياسية فى السقف - كلامارتين - بمن مقعده وسط حلقة تلاميذ يتلقون عنه العلم فى مجاهدة استذكار ما يثبتون له به عند الامتحان مجرد مواظبتهم على حضور محاضراته واقتناء كتابه ؟ أين أنا منه وهو المدرس الخطيب المفوه الذى تهتز له أعواد المنابر وترنو إليه القلوب والأبصار فى انبهار مشدود إلى سحر بلاغته وبالفحجته التى بها يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق

... سواء هو رجل القضاء الواقف أو
الجالس بالاتهام أو الدفاع - منى أنا
الكاتبُ القاعد القرفصاء يلاحظ فيدون ،
ويراقب ويسجل ، ثم يملئ ويراجع ،
ويمحص ويدقق ، ويستقصى ويبحث
ليعلل ويشخص ، ثم يلقي ببعض ذلك
لمريديه وأتباعه ليعملوا بما علموا منه ووعوه
أو استوعبوه ؟ إنه فارس يحق الحق ويبطل
الباطل و يغير المنكر بلسانه وقلمه وربما
بيديه ، أما أنا فأغير بقلبي وأفكر بصوت
عال فحسب - وهو أضعف الإيمان . إن
حسبى وأنا أقرن نفسى به أن أدعو الله
ببركة ما اختارنى الخالدون لخلافته وتبويئ
مقعده بمجمع الضاد أن تؤهلنى بعض
سجاياه وطباعه التى أرخ له بها حبيبته
وخليفته فى إدارة قضايا الحكومة السيد
المستشار النابه الأستاذ عبد الحليم الجندى -
مما أرجو أن يشهد لى به أمام الله كل من
عمل معى أو عاشرنى من الزملاء ورفاق
السلاح على طول الطريق وفى كل المواقع
منذ البدء وحتى حسن الختام - إذ يقول -

جزاه الله عن صاحبه وعنسى كقارئ
لسيرة سلفى فى كتابه « المحامون وسيادة
القانون » خير الجزاء : « إنه فارس من
فرسان ثورة الشعب سنة ١٩١٩م ،
أرستقراطية الفكر لديه طبيعة فيه (لحاجة
الجماعة إليه مدافعا عن الحرية والعدل
مجددا ومبتكرا لوسائل الدفاع فى كل
الأحوال) ، وتقدير الصفوة لامتيازه
الذهنى منذ حدائته وفى كل موقع شغله
عاملاً أو معترلاً ، وحمله لهموم مجتمعه
وتبعات أمته وإن اغترب - كحمائم
الأيك تقول الكثير وإن كانت لا تصدح ،
.. وإذ يسجل له أن الحب فطرة فيه تتبدى
منذ فجر شبابه ، شاملة الأشياء
والأشخاص الذين يعرفهم والذين
لا يعرفهم ، يظهر ذلك فى كتاباته وفى
أسلوب حياته ومعاملاته للزملاء
وللأصدقاء كأنهم أبناء - ومنهم من
يكبرونه فى السن ، لا يهتم بالمال إلا أن
يكون مال رجل آخر هو موكل
بالاستحصال له عليه ، يعطى المستحق

وغير المستحق على أن عطاء المستحق أداء واجب خلقى أو قانونى وعطاء غير المستحق آية سماحة وترغيب ، وهو من فرط احترامه للآخرين كثير الحياء ، صبور على الضعف الإنسانى ، واسع الصدر عفو عن زلات الصغار ..

إننى لم أشبه سلفى العظيم مصطفى مرعى فقط فيما مهد لى السبيل إلى السير فيه من مكابدة إسعاد الفرد فى مواجهة السلطات ، ومساندة المظلومين والمستضعفين فى مواقف البغى والعدوان - سواء فى التربية بالعقاب ، والإدارة بالقهر والعلاج بالتسلط - كل منا بوسائله التى يسرها الله له وإن اتحدت الغاية التى خلقنا لها مع الفارق الكبير بينهما الذى أشرت إليه .. وإنما كان هادياً لى وأنا أترسم واسع خطاه فى فن قيادة الرجال ، والتربية بحرية المحاولة والخطأ وسياسة الترغيب بدل الترهيب .. لكننى أشبهته أولاً وأخيراً فى ظاهرة اغترابى مثله العشرين سنة السابقة على لحاقى بالمجمع الجليل - على

مشارف السبعين من العمر أيضاً - لا بالمعنى الذى أورده هو للاغتراب عن التوحيدى بقوله فى خطبة استقباله بالمجمع إنها كانت بالنسبة له فترة تشتت وتمزق وضياح ، فيها كان مغتربا بالجسد بين الحين والحين وبالروح فى كل الأحيان ، ولا بالتفسير الذى ارتضاه لعبارات أبى حيان كتعبير عن آلامه وآلام من كانوا على شاكلته من بنى قومه وهم يعيشون عصور طغيان فشابها ما يفشو فى مثل تلك العصور بالضرورة ، من الظلم والبغى والكذب والنفاق والضللال - فيضجون بالصراخ : إلى متى نعبد الصنم بعد الصنم ؟ إلى متى نقول بأفواهنا ما ليس فى قلوبنا ؟ إلى متى ندعى الصدق والكذب شعارنا ؟ إلى متى نستظل بشجرة تقلص عنا ظلها ؟ إلى متى نبتلع السموم ونحن نظن الشفاء فيها ؟ وهل أكون مغاليا إذا قلت إنه سبقنى فى المعية التنبيه إلى أن وصف التوحيدى للاغتراب الذى اقتبس هو منه سطورا قليلة يُعتبر جولة رائدة

رائعة فى علم النفس قبل أن يُعرف علم النفس ، وفى علم الاجتماع قبل أن يُعرف علم الاجتماع ، وفى علم نفس الجماعات قبل أن يُعرف علم نفس الجماعات ؟ لقد اغترب هو - وعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم - لأنه كان قد يئس من محاربة الفساد والطغيان فى السياسة ونظم الحكم ، إذ طال بلاؤه من غير ذنب ، واشتد ضرره من غير تقصير ، وعظم عناؤه من غير جدوى ، ولم يجرى اليوم الذى يتحقق فيه أمله أن تهتز ضمائر السادة فيعودوا إلى الرشد ويثوبوا إلى الصواب ، أو أمله فى أن يهتز شعور الأمة المغلوبة على أمرها فتثور لتسترد حقوقها المغصوبة وسلطانها الضائع . . . فيكون لكليهما أو أيهما فى مصر مطلع فجر جديد .

لقد اغتربت العشرين سنة الأخيرة - وأنا فى مواقع عملى - بالجسم والروح أكثر الأحيان لأعكف على جمع تراث علوم النفس والأحياء والطب والتربية والعلاج والمداواة الذى عساه يكون زاداً يرجع إليه فيستعين به الإخصائيون النفسيون وهم يعملون على مساعدة الأفراد

فى التغلب على مصاعب الحياة وتخفيف كروب وضائقات العيش ، وتشخيص وعلاج الاختلالات النفسية والاضطرابات العقلية والانهيارات العصبية التى توشك أن تؤدى بالناس إلى الجنون - وهو جهد المقل ، لأننى لا أطمع فى تغيير ما بنفس السلطات الحاكمة للفرد على كافة المستويات المهددة لسلامة نفسه وهدوء باله وصحة عقله من التعطش للمزيد من السلطة تواجهه بها الأزمات والحروب والصراعات العرقية والطائفية والدينية . . التى تزيدها «الشرعية الدولية» اليوم بما يعرف بالنظام العالمى الجديد تأججاً واشتعالاً . فحسبى أن أجلى «السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية» التى مجتمعاتنا العربية والإسلامية أولى باتباعها من حيث « أداء الأمانات إلى أهلها » ، «والحكم بين الناس بالعدل» اللذين أوجبهما الله على عباده ، إذ لا خلاص لمجتمع أو نجاة لحاكم إلا بتحقيق المساواة فى الحقوق والواجبات كما أمر الله ، وأن التفاوت بين الناس داخل المجتمع الواحد -والإنسانية جمعاء- بسبب الجنس أو النسب.أو اللون أو العرق

.. لا وزن له عند الله مقابل الفضل في
الجدارة الشخصية والجهد الفعلى المبذول
فى سبيل الله بالتقوى كعبادة لله فى
الأرض . فكان قصارى جهدى أن أنضم
إلى سلف سلفى الدكتور محمد عوض
محمد - كابرأ عن كابر - وهو واحد ممن
صاغوا شرعة حقوق الإنسان وهم يناقشون
ويضعون ميثاق الأمم المتحدة - فى المناذاة
بالمحافل الدولية والمحلية بضرورة الإعلان
عن « حق الإنسان فى الصحة العقلية » ،
وأن أدعو خصوصا إلى عدم تسييس الدولة
لوظائف العمل العام الإنتاجية ومراكز
البحوث العلمية التى يلزم شاغليها التفرغ
التام والحيدة الموضوعية والاستقلال الفكرى
وحرية اتخاذ القرار وتقديم الأفعال على
الأقوال - وأولا وقبل كل شئ : اصطفاء
شباب العلم والبحث الموهوبين واحتضانهم
ورعايتهم وكفالة استغراقهم فى مختبراتهم
ومعاملهم بكل ما يلزم اكتفاءهم المادى
المعيشى والمهنى فلا ينصرفوا فى كسب
معاشهم إلى الاحتراف أو الهجرة بعلمهم
ومواهبهم ، وعموما إكرام العلماء
وتبجيلهم بما يثبت معه إعلاء طلب العلم
على أى عمل آخر إعلامى أو تشقيفى
أو ترويحى .

سيدى الرئيس الجليل :

سادتى الزملاء الأفاضل :

فى الختام كما فى البدء أحمد
إليكم الله الذى لا إله إلا هو
الأول والآخر ، والظاهر والباطن ،
المبدئ والمعيد ، الذى كان من
جملة أفضاله علىّ أن أعادنى على يديكم
إلى ما بدأنى به من حفظ القرآن العظيم
إلى الحفاظ معكم على لغة الضاد
فى مجمع الخالدين ، فأحسن ختامى
فى الدنيا وبشر بقبولى فى الآخرة - مع
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
، وحسن أولئك رفيقا . جزاكم الله كل
الخير على حسن صنيعكم بى ، وشكر
الله لأخى الأستاذ الدكتور كمال
محمد بشر الذى قدمنى بما هو أهل له
من العلم والفضل بعد أن لاقانى بما
يصدق عليه اسمه من صفة البشر
أسأل الله أن يقدرنى على أن أكون ما
مد لى فى العمر عند حسن ظنكم
بى ، وأن يهبنا السداد والتوفيق فيما
نحن بسبيله .

والسلام عليكم ورحمة الله .

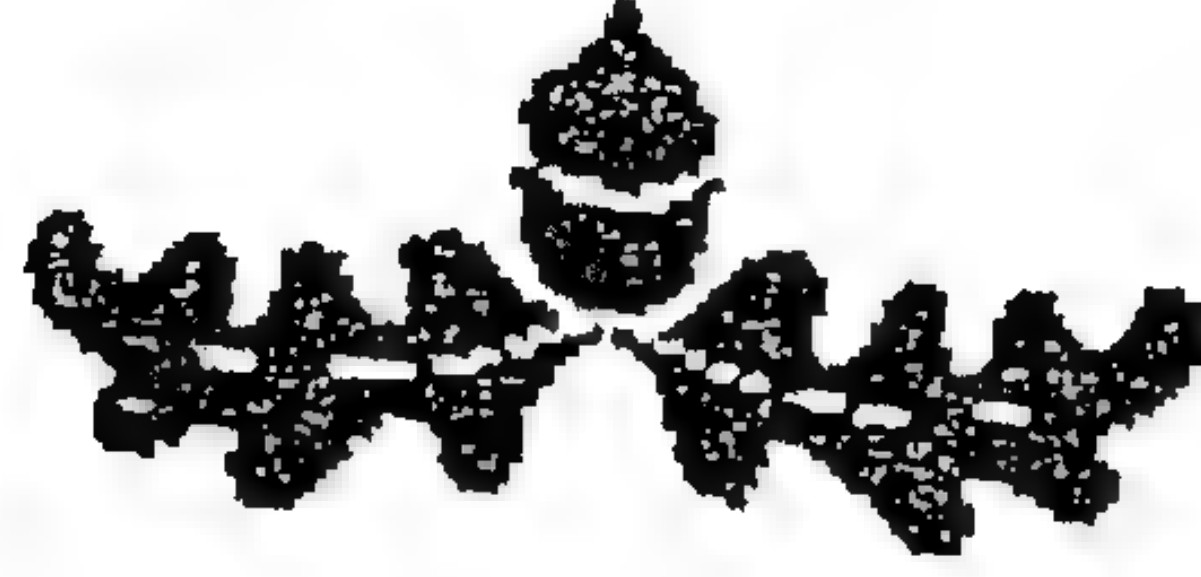
كمال نسوقى

مجمع

ثانيا :التأبين

المرحوم الأستاذ الدكتور أحمد السعيد سليمان

فى الساعة الحادية عشرة من صباح
يوم الأربعاء ٢٧ من نوفمبر سنة
١٩٩١م أقام المجمع حفلا لتأبين
المرحوم الأستاذ الدكتور أحمد السعيد
سليمان عضو المجمع الراحل ، وقد
ألقى كلمة المجمع فى هذا الحفل
الأستاذ إبراهيم الترسى عضو المجمع ،
ثم أعقبه الأستاذ الدكتور محمد
يوسف حسن عضو المجمع فألقى
قصيدة فى رثاء الفقيد ثم تلاه نجل
الفقيد الكريم فألقى كلمة الأسرة .



كلمة الأستاذ إبراهيم التريزى

عضو المجمع

فى تأييد الأستاذ الدكتور أحمد السعيد سليمان

عضو المجمع الراحل

صحائف وصور لمن يؤبنه .. عليه أن
يستجليها .. ليجلوها للقارئ
والسامعين !

وتزداد المشقة على النفس حتى تبلغ
أقصاها .. حين يكون المؤن صديقاً لمن
يؤبنه من هذه الصفوة .. حيث تكون
فجيعة فادحة .. وحيث يحاول بعينه
الدامعتين أن يستجلي تلك الصور
والصحائف .. فيشق عليه أن يجلوها حقاً
جلائها للقارئ والسامعين !
وها أنذا أواجه الآن هذا الموقف على
مسمع ومرأى منكم !

فأحمد السعيد بمن جمعتهم وإياهم -
وقليل ما هم - حباً فى الله .. تخلل
شغاف القلب فصرنا خليلين حميمين ..
وفجيعة فى ما زالت تُغادينى وتُراوحنى
باللوعة والشجن ، وبذكرىات تتراحم على
نفسى وخاطرى .. فلا تدع لى فسحة

أستاذى الجليل رئيس المجمع :

أيها السادة :

سلام الله عليكم ورحمته ، وبعد :

فكم هو شاق على النفس موقف

التأين !

فيه تتدافع مشاعر الحزن وخواطر
الفكر .. وقد يحتدم تدافعها حتى تستعلى
مشاعر الحزن ؛ فإذا بكلمة التأين تغدو
رثاءً باكياً .. أو تستعلى خواطر الفكر ؛
فإذا بكلمة التأين تغدو بحثاً جافياً !

ولا يملك ناصية التوازن بين الشعور
والفكر فى هذا الموقف .. إلا أولو العزم
من رجال البيان !

وهيهات هيهات .. أن تقوى العزائم

فى مواقف التأين !

وتزداد المشقة على النفس حين يكون
التأين لرجل من صفوة رجال العلم أو
الأدب أو الفن .. فهنا تنهض أمام المؤن

كافية صافية لإحسان البيان .. فى موقف
يَعزُّ فيه كلُّ بيان !

وأحمد السعيد من صفوة الرجال
الذين يعتصرون حياتهم علماً وعملاً
للوصول بها إلى أسمى الغايات .. فقد
منحه الله نفساً طُلعة .. تَوَاقَّة عملاقة ..
ضاق عنها جسده الواهن العليل .. وناء
باحتمال تطلُّعاتها الجياشة .. وصدق
المتنبى حيث يقول :

وإذا كانت النفوسُ كباراً
تعبتُ فى مُرادها الأجسامُ
وقد ظلَّ أحمد السعيد فى مكابدة
ومصابرة مع نفسه الوثابة الغلابة .. فى
نزوعها الدائم للوصول إلى آفاق جديدة
فى العلم .. حتى تضعَّعَ بدنه ،
وتكاثرت عليه العلل .. فضَمَرَ وذَوَى ،
ثم انطوى .. وهو ما زال فى زهرة
شيخوخته ، ووفرة عطائه !

أيها السادة :

حين يقف المرء وقفة التأمل الدارس
لإحدى الشخصيات عليه أن يمعن فى النظر
إليها .. حتى يكتشف المحور الذى تدور
حوله طاقاتها النفسية والفكرية ،

باهتماماتها وآمالها .. فبذلك يدخل إلى
عالم هذه الشخصية بكلِّ معالمه وأبعاده ..
ومكوّناته ومقوّماته .. ويتسنى له - فى
ضوء ذلك- أن يتابع حياة هذه الشخصية ،
فى حركتها وتطورها ، ونمائها وعطائها
.. وأن يفسّر ذلك كله .. ويحلله ويعلّله
.. ثم يضعه فى ميزانه الصحيح ، حتى
يقدّره حق قدره .

وقد وقفتُ طويلاً أمام الإنتاج
العلميَّ للعلامة الفذِّ الأستاذ الدكتور أحمد
السعيد .. فوجدته يدورُ حول محورٍ
أساسيٍّ .. هو « الإسلام » !

فمؤلّفاته وبحوثه اللغوية والأدبية ،
والعقائدية والتاريخية ، تدور حول هذا
المحورِ الأساسيّ لإنتاجه .

وأشهد أنى - فى صلتى الحميمة به -
رأيت « الإسلام » شُغْلَه الشاغل ، وهَمَّهُ
الأكبر ، فى ماضيه وحاضره ومستقبله ..
وكان أحمد السعيد- على وداعته
وسماحته- إذا مُسَّ الإسلام أو لغته من
قريب أو بعيد ينتفضُ ويَزَارُ ، كالأسد
الغَضُوب .. والقرييون منه يعلمون هذا
عنه !

وهو حين يعرض لبعض افتراءات الكتاب الأوربيين على رسول الله ﷺ ينتفض قلمه كذلك وهو يسطر :

« حاشاك ياسيدى يارسول الله ! » .

ولعلّ هذا يرجع إلى استعداد فطره الله عليه ، وإلى تنشئة دينية اغذت هذا الاستعداد . . . فنما وازدهر ، وآتى أكله ثماراً علمية ، تنفع الناس ، وتبقى على الزمان !

ولعلكم تعلمون أن شقيقه الأكبر ، الأستاذ ليب السعيد ، صنّوه في اتجاهه الإسلامى ، وله دراسات قرآنية فريدة !

فى هذه البيئة الدينية ولد أحمد السعيد عام ١٩٢٤م فى مدينة المنصورة ، وتدرّج فى مراحل التعليم حتى حصل - بعد عشرين عاماً من مولده - على ليسانس الآداب من قسم اللغة العربية فى كلية الآداب بجامعة القاهرة .

وعقب تخرّجه فى كليه الآداب ظهرت نزعتُه الدينية فى اختيار وظيفته ، والدراسة العليا التى رأى نفسه مؤهلاً لها . . . فاختار العمل فى إدارة الإرشاد بوزارة الشؤون الاجتماعية ، ثم بإدارة الجمعيات الخيرية الإسلامية .

وفى مجال الدراسات العليا اختار لغة آخرِ دولةٍ للخلافة الإسلامية وهى الدولة العثمانية ، التى امتدّ سلطانها إلى كثير من بلدان العالم العربى والإسلامى ، طوال قرونٍ غزا فيها الإسلام بعضَ دول أوربا وبسط نفوذه على العديد من دول آسيا وإفريقيا . . . ثم انحسر ظلُّ دولة الخلافة حين أخذت فى التراجع حتى انحسرت فى تركيا الحديثة ، بعد أن خلعت عباءة الخلافة الإسلامية ، واستبدلت بالحروف العربية حروفاً لاتينية للغتها التركية !

ويبدو أن نزعتَه الإسلامية الأصيلة دفعته إلى تعلّم اللغة التركية ؛ ليرتاد من خلالها تاريخاً إسلامياً حافلاً بالأحداث ، عامراً بالعلم والأدب والحضارة ، على مدى تسعة قرون . . . ولكنه - مع هذا كله - يكاد يكون مجهولاً لدى الكثير . . .

وأحمد السعيد مفطورٌ على حب ارتياد المجهول من آفاق العلم والأدب ؛ حتى يُقدم للناس الجديد . . . كما أن للدولة العثمانية آثارها العميقة فى عالمنا العربى والإسلامى . . . وعهدنا بها ليس ببعيد . . . ومازال بعضُ آثارها ماثلاً فى

كثير من ظواهر حياتنا الاجتماعية واللغوية ، فى الفصحى والعامية .

دَرس أحمد السعيد اللغة التركية فى معهد اللغات الشرقية ، بجامعة القاهرة ، وكان أولَ دفعته ، فقيّض الله له بذلك أن يُوفَدَ فى بعثة إلى فرنسا عام ١٩٥٠ للحصول على الدكتوراه من السوربون . . ولكنه اتَّجه من هناك إلى تركيا ؛ حيث أمضى نحو عامين عاكفاً على دراسة ما يتصل بموضوع رسالته فى مكتبات استانبول وأنقرة وقونية . . ثم عاد إلى باريس ليكتب رسالتين للدكتوراه :

الأولى : دراسة فى العقائد السُريَّة للبكتاشية ، وهى إحدى الطرق الصوفية .
والثانية : ترجمة نص صوفى تركى إلى العربية . . وهو منسوب إلى متصوف تركى له شهرة شعبية لدى القاهريين ؛ هو المعروف باسم « عبد الله المغاورى » الذى دُفن بهضبة المقطم بالقاهرة .

وقد نَوَّهت لجنة المناقشة - وعلى رأسها العلامة « ماسينيون » عضو مجمعنا الراحل - بالجهد العظيم الذى بذله أحمد السعيد فى رسالتيه : تأليفاً وتحقيقاً

وترجمة ، وما انتهى إليه من آراء علمية قائمة على دراسة فاحصة لذلك التراث الصوفى ، الحافل بمصطلحاته وتعريفاته وعقائده . . الباطنة والظاهرة . . فمنحته دكتوراه الدولة من السوربون بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٥٦ .

وعاد أحمد السعيد إلى مصر ، حيث اشتغل بالتدريس فى قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، وتدرج فيه حتى صار أستاذاً به ، قرئياً له .

أيها السادة :

نَوَّهتُ بأن الإسلامَ كان المحورَ الأساسى للنشاط العلمى للدكتور أحمد السعيد . . بدءاً باختياره لغة آخرِ دولة كبرى للخلافة الإسلامية ، ولكن هدفه لم يكن مقصوراً على دراسة اللغة التركية ؛ ليصبح من جهابذتها وعلمائها ومعلميها فى الجامعة . . فالإسلامُ كان المحركَ الأولَ لدراستها ؛ لكى يفتح على عالم هذه الدولة الإسلامية العُظمى ، التى كان عليها أن تنهضَ بتبعة الخلافة ؛ فتلتزم الإسلامَ نظاماً وشرعية ، مثلما اتخذته عقيدةً وشريعة ، كما كان عليها أن تأخذَ

عن العرب حضارتهم الزاهرة بعلومها وآدابها وفنونها ، فلا تسبقها أوربا إلى ذلك . . . ولو فعلت الدولة العثمانية ذلك كله لانتشر الإسلام في أوربا أوسع مما انتشر . . . ولكن هذه الدولة لم تَعِ دَرَسَ العرب في الأندلس ؛ فتحولت إلى شراذم يضرب بعضها بعضا ، حتى قُضِيَ عليها ، وُطِرد الإسلام والمسلمون في البلاد المسلمة في أوربا !

وكم كان أحمد السعيد يُفَضِي إلى بمواجهه ، وهو يُحدِّثني عن هذه الدولة التي أُتِيح لها مالم يُتَحَ لدولة إسلامية أخرى ، بعد الخلافة العباسية في عصور ازدهارها !

بهذه النزعة الإسلامية تجاوزَ أحمد السعيد مجالَ دراسة اللغة التركية إلى مجال دراسة تاريخ الدولة التركية ؛ فكان المؤرخ الرائد لهذه الدولة الإسلامية . . مؤلفاً ومحققاً ومترجماً !

وهاهو ذا يُحدِّثنا في كتابه : « التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة » فيقول :

« لم يعرف التركُ خلال هذه القرونِ

التسعة التي عاشوها تحت حكم السلاجقة والعثمانيين قوميةً غير القومية الإسلامية ، شأنهم في هذا شأن غيرهم من الشعوب الإسلامية .

فقد كان السلاجقة لا يعترفون بتركيتهم ولا يفخرون بها ، بل كانوا مسلمين قبل كل شيء . . . وقد صمدوا لغزوات الصليبيين في الأناضول بوصفهم مسلمين .

أما في عهد العثمانيين فقد كانت القومية الإسلامية هي الموجهة الوحيد المتحكم في سياسة الدولة ؛ وذلك أن دولتهم اضطغت من لدن قيامها بالصبغة الإسلامية البحتة . . . وقد بلغت هذه القومية الإسلامية مداها عند السلطان سليم الأول ؛ حتى لقد حاول أن يجعل اللغة الإسلامية الأولى ، وهي اللغة العربية ، لغة قومية للترك !

وقد كتب أحمد السعيد بحوثاً تاريخية ضافية بعنوان :

- انتشار الإسلام في آسيا .
- فصول في تاريخ المغول .
- تاريخ بيزنطة .

كما ترجم عن التركية :

● تاريخ الترك في آسيا الوسطى .

● قيام الدولة العثمانية .

● تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر

الحاكمة .

وترجم لليونسكو بحثاً بعنوان :

« تاريخ الفكر الإسلامى الحديث فى

شبه القارة الهندية الباكستانية » !

وأحمد السعيد فى ترجمته باحث

محقق ، يعلق برأيه على كثير مما يرد فى

الكتاب المترجم ، ويشرح ما يحتاج إلى

توضيح وتفسير ، كما يُضيف ما قد ينقص

الكتاب المترجم من معلومات . . وإذا

كانت للكتاب ترجمات رجع إليها ، وقارن

بينها ؛ فهو يُجيد الفرنسية ، والإنجليزية ،

والتركية والفارسية .

ولهذا لم تجد وزارة الخارجية المصرية

أكفأ منه - حين ظهرت مشكلة طابا -

لترجمة الوثائق التركية ، الخاصة بهذه

القضية الوطنية ، التى انتهت بعودة «طابا»

إلى مصر .

ومن إسهاماته القومية العربية إعداد

مُخَطَّطًا لتكوين أرشيف إقليمي للعالم

العربى ، بتكليف من الإدارة الثقافية ،

بجامعة الدول العربية ، فى أوائل

الستينيات ، وهو منشور بحوليات كلية

الآداب بجامعة عين شمس .

أيها السادة :

لم يكن الدكتور أحمد السعيد فى

بحوثه العلمية بعيداً عن إطاره الإسلامى

وقد صدر له كتاب « دراسات فى الأدب

التركى والإسلامى » يتضمن بعض

بحوثه ، وهى :

● وحدة الوجود وبعض الأفكار الباطنية

فى الكتب التركية .

● دفتر العشاق للصوفى التركى عبد الله

المغاورى .

● كتاب النبذة للطرازى التركستانى

ومناهج الأوربيين فى كتابة السيرة

النبوية .

● أوزان الشعر الشعبى والتركى

وأشكاله .

● وبحوث أخرى بالفرنسية سبق التنويه

بها .

وحين مثل جامعة القاهرة فى المؤتمر

الدولى الثامن والعشرين للمستشرقين -

الذى عُقد فى استراليا عام ١٩٧١ - ألقى

بحثين بالفرنسية ؛ أحدهما فى طقوس
الطريقة المولوية ، والثانى فى بعض
المخلفات الوثنية فى الأدب الشعبى
التركى . ثم كتب بحثاً بتكليف من أمانة
المؤتمر الذى انعقد فى كارولينا الجنوبية
بالولايات المتحدة الأمريكية ، بمناسبة مرور
مئة عام على ميلاد مصطفى كمال أتاتورك
ذكر فيه أن مايؤخذ عليه من إغلاق
المعاهد الدينية الإسلامية ، وإلغاء الرسم
العربى الأبجدى لحروف اللغة التركية ، ثم
إلغاء الخلافة الإسلامية ، إنما كان بإملاء
من الاستعمار البريطانى ، الذى لم يستطع
مصطفى كمال التصدى له بجيشه الذى
أرهقته الحروب المتواصلة ؛ فاضطّر لمصانعة
الإمبراطورية البريطانية ؛ حفاظاً على
استقلال بلاده . ويرى الدكتور أحمد
السعيد أن العمر لو امتدّ بمصطفى كمال
لأعاد النظر فيما اتّخذ من إجراءات لا تتفق
والإسلام !

وهذا رأى يخالف الشائع المجهود عن
كمال أتاتورك ، ويشير نقاشاً ليس مجاله
الآن .

ومن المؤتمرات التى دُعِيَ إليها الدكتور
أحمد السعيد المؤتمر الدولى للدراسات
التركية ، الذى شارك فيه ببحثه :
« الصحافة التركية فى عهد محمد على »
ومؤتمر التراث الشعبى بأنقرة ، الذى
شارك فيه ببحث فى « المخلفات الوثنية فى
ملحمة بطال غازى » .
وقد اختاره المجمع ممثلاً له فى
مؤتمرين :

أحدهما - المؤتمر الذى أقيم فى
بودابست احتفالاً بمرور مئة عام على ميلاد
المستشرق المجرى المسلم « عبد الكريم
جرمانوس » - عضو مجمعنا المراسل من
المجر - وقد حالت ظروفٌ دون سفر
الدكتور أحمد السعيد فبعث ببحثه إلى
المؤتمر .

والمؤتمر الآخر - عُقد فى باريس
احتفالاً بمرور مئة عام على ميلاد الدكتور
طه حسين ، وقد حالت ظروف كذلك
دون سفره ، فبعث ببحث إلى المؤتمر
بعنوان : « طه حسين ناثرًا ونحويًا » وهو
بحث جديد فى دراسة أدب طه حسين ؛
حيث تناول فيه تأثر طه حسين فى أسلوبه

بالقرآن الكريم ؛ وأعلام الشعر العربى
 القدماء ، مستشهدا لذلك بأمثلة عديدة
 . . . مثل قول طه حسين فى أسطورة
 إليكترا : « قد لُمتنى فيه » ولم يقل :
 لُمتنى عليه ؛ وهو فى هذا متأثر بما ورد
 فى الآية الكريمة : « فذلِكُنَّ الذى لُمتنى
 فيه » . . . كما يستعمل طه حسين
 كلمة « الصديق » للمذكر والمؤنث ،
 والمثنى والجمع ؛ فهو يقول فى قصته
 « الحب الضائع » : « كما اختار الصديق
 التى أوترها بالمودة » وهو فى هذا
 متأثر بالشعر العربى القديم ، كقول جميل
 بثينة :

كَأَنْ لَمْ نُحَارِبْ يَابُثِينَ لَوْ أَنَّهُ
 تَكشَّفَ غُمَاهَا وَأَنْتَ صَدِيقُ
 وهكذا يمضى أحمد السعيد فى بحثه
 النابه الجديد فى أدب طه حسين .

أيها السادة :

بدأت صلة أحمد السعيد بالمجمع عام
 ١٩٦٠ خبيراً بلجنة « المعجم الكبير » ،
 حتى أعير إلى جامعة الإمام محمد بن
 سعود بالرياض عام ١٩٧٤ ، حيث ظلَّ

بها أربع سنوات ، ولكن صلته العلمية
 بالمجمع لم تنقطع ؛ فقد واصل خبرته
 التطوعية بالمراسلة طوال سنوات إعارته ،
 حتى عاد إلى المجمع والجامعة عام
 ١٩٧٨ ، وفاز بعضوية المجمع بعد عام من
 عودته ، واتسع مجال إسهامه فى المعجم
 الكبير ؛ فصار عضواً فى لجنة إعداده ،
 ولجنة تنسيقه ، كما صار مقررًا للجنة
 التاريخ والآثار ، وعضواً فى لجان :
 اللهجات ، والكيمياء والصيدلة ، وعلوم
 الأحياء والزراعة ، والحاسب الإلكترونى
 . . . وتشهد له هذه اللجان ، كما يشهد له
 مجلسُ المجمع ومؤتمره بسعة العلم ،
 وأصالة الرأى ، وبالحُلق الرضىِّ السمع ،
 والإخلاص لعمله المجمعى الذى يؤثِّره
 على كل شىء ؛ حتى كاد يقصُر عليه وقته
 وجهده . . . فأنت لاتكاد تلمحه يَمْرُقُ من
 باب المجمع حتى يختفى عن ناظريك
 حيث تتواصل حركته النشيطة بين لجان
 المجمع المختلفة . . . وهو فى مجلس
 المجمع ومؤتمره من أقطاب المتحاورين ؛
 لا يترك شاردةً ولا واردةً له فيها رأى إلا
 أدلى به ، فى بيانٍ مُحكمٍ رصين ، مُوثَّقٍ
 بالشاهد والدليل .

وللدكتور أحمد السعيد بحوثٌ
مجمعيةٌ ضافية ، منها بحثُه الذي ألقاه في
مؤتمر الدورة السادسة والأربعين : « تأصيلُ
بعضِ الدخيلِ من أسماءِ الملابس والأطعمةِ
في كتاب الجبرتيّ » . . . وهذا البحث
جزء من معجمه الكبير « المتدارك »
الذي جمع فيه فواتِ المعجماتِ من
المعرب والدخيل ، والذي نأمل أن يرى
النور عن قريب ، وقد استخرج من
هذا المعجم كتابه : « تأصيلُ ما ورد في
تاريخ الجبرتي من الدخيل » .

كما أسهم الدكتور أحمد السعيد في
مؤتمر الدورة الخامسة والخمسين ببحثٍ
عنوانه : « ألفاظٌ حضاريةٌ بطلَ
استعمالها » .

أيها السادة :

هذا هو أحمد السعيد الذي أبت له
مواهبه إلا أن يكون رائداً في أكثر من
مجال . . فهو الأول في دراسة اللغة
التركية ، وهو أول من درَّسها في الجامعة
من غير المصريين ، وهو رائد في دراسة
التاريخ الإسلامي للترك والمغول ، والأدبِ
الصوفيِّ التركيِّ ، بما أَلَّفَ وأشرف ؛ فقد
أعدَّ طلابه رسائل للماجستير والدكتوراه
بلغت إحدى وثلاثين .

أحسنَ الله جزاءه ، وأكرمَ مثواه ،
وأسبغَ عليه رحمته ورضوانه .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

إبراهيم التريزى

عضو المجمع

الذِّكْرَى الزَّكِيَّة

للدكتور محمد يوسف حسن

إلى روح الصديق والزميل العزيز المغفور له
الأستاذ الدكتور أحمد السعيد سليمان ،
عضو مجمع اللغة العربية • ألقى في حفل
تأبينه ، بدار المجمع في ٢٧ / ١١ / ١٩٩١

هـ ، وَتَمَّتْ لِّلَّهِ فِينَا الْمَشِيَّةُ (
نَا لِدَارِ حَيَاتِهَا أَبَدِيَّةُ
أَوْ تَعَاوَيْدُ ، أَوْ دَمُوعُ أَتِيَّةِ
كُلُّ هَذَا يَدُ تَرْدُ مَنِيَّةِ
وَابْتِهَالُ بِلَطْفِهِ فِي الْبَلِيَّةِ

* * *

ضَعُضَعْنَا أَهْوَالُ وَقَعَ الرِّزِيَّةُ
تَرْضِيهِ ، يَا جَهَبَذَ الْعَرِيَّةِ
هـُ جَهْدُ الْمُسْطَاعِ مِنْ أَصْغَرِيَّةِ
عَنْ قُصُورِ أَحْسُهُ يَا أُخَيَّةِ

* * *

هـ وَالْحَقُّ ، عَذْبَةُ وَنَقِيَّةِ
كُنْتَ ذَا إِيشَارٍ ، وَذَا أَرِيحِيَّةِ

(نَحْنُ شِئْنَا ، فَلَمْ يَكُنْ مَا أَرَدْنَا
فَنَقَضَاءُ الْمُنُونِ غَايَةُ دُنْيَا
لَيْسَ يُنْجِي مِنَ الْحِمَامِ طِبَابُ
فَإِذَا حُمَّتِ الْمَنَايَا ، فَمَا فِي
وَقُصَارِنَا فِي انْتِظَارٍ ، دُعَاءُ

اِحْتَسِبْنَاكَ يَا سَعِيدَ ، وَلَكِنْ
لَيْتَ شِعْرِي ، وَهَلْ أَجِيدُ رِثَاءُ
لَا أَرَانِي أَوْفِيكَ حَقِّكَ لَكِنَّ
وَالدَّمُوعَ الْغِزَارَ مَا عَوَّضَتْ

يَا صَدِيقًا كَانَتْ صِدَاقَتُهُ فِي الدِّ
كُنْتَ سَمْحًا ، مَجَامِلًا ، وَوَفِيًا

وعطوفاً ، ملاطفاً في وقار
فإذا مسَّ الحقَّ شبهةً غبنٍ
ليس فيها تقاعسٌ أو تراخٍ

*

ياتقياً وعابداً ، عارفاً بالد
كنتَ للدين ناصراً ومُقيماً
فإذا مسَّه أذى من بُغاةٍ

*

ياصبوراً على الملماتِ كمِ وا
يا حليماً على العداة ، فإن لَجَدَ
ياجليداً على الصعابِ بعزمٍ

*

ياعليماً من اللغاتِ بخمسٍ
كنتَ فيها محققاً وفقياً
يادقيقاً ، مُنحَصّاً كلِّ امرٍ
ياشديداً المراسِ في الجدِّ العَدِ

*

افتقدناك ياسعيدُ ، فواحز
افتقدناك فارساً صنديداً
افتقدناك غير أن عزانا

باسماً بسمة الوليد البرية
ذُدتَ عنه بغضبة مُضَرِّية
ليس فيها تحفظٌ أو تقيّة

* *

ه ؛ تلك الشمائل الصوفية
ووكيلاً له بلا عَصْبِيَّة
ذُدتَ عنه بغيرةٍ وحمية

* *

جهتها ثابتَ الجنانِ قويه
روا ، فحسبُ بصولة قسورية
من حديدٍ ، وهمّة عُمريّة

* *

كلّها قد أجدتَ في عبقرية
جُجَّة في آثارها الأدبية
حتى ولو كان شبه قضيّة
مى ، يامفحماً بلا عُنْجُهيّة

* *

ناً على مجمع السجايا السنيّة
من صناديد مجمع العريّة
فيك ، ذكراك ياسعيد الزكيّة

محمد يوسف حسن

عضو المجمع

كلمة الأسرة

فى حفل تأبين المرحوم الدكتور أحمد السعيد سليمان

ألقاها ابنه ياسر أحمد السعيد سليمان

كان الدكتور أحمد السعيد سليمان
... عربياً خالص العروبة ، شديد
الإحساس بعروبته .

وكان عاشقاً للعروبة وعاشقاً للغتها
... كان لا يتكلم إلا اللغة الفصحى فى
المجمع ... فى الجامعة ... وحتى فى
البيت بين أهله وأسرته - وكنا نداعبه
قائلين : « إنا لسنا فى المجمع » - فيردُّ
قائلاً : « إنى مجمعى أصيل فى كل
مكان » .

وكان رحمة الله ، مع إجادته التامة
للغة التركية والفارسية والفرنسية
والإنجليزية - يرى أن اللغات الغربية
والشرقية ... كلُّها قاصرة عن نقل الأفكار
الدقيقة والأحاسيس العميقة ماعدا اللغة
العربية ... لغة القرآن الكريم .

وقد بدأ عشقه للغة العربية منذ أن
كان بالمدرسة الابتدائية صبياً ، وقد قال
عنه الأستاذ عبد الغنى حسن - رحمه الله

نَعَى النَّاعِي أَعَزَّ عَزِيزٍ فَتَدَقَّقَ الدَّمُ مِنْ
قَلْبِي وَسَالَ الدَّمْعُ مِنْ عَيْنِي ... إِنْ مِثْلَهُ لَا
يَمُوتُ ... إِنْ أَحْمَدَ السَّعِيدُ لَا يَمُوتُ - هو
العالمُ المعلمُ ، هو المؤرِّخُ الأكاديميُّ هو
اللُّغَوِيُّ الأديبُ ، هو الدَّارِسُ المَوْسُوعِيُّ ،
هو الباحثُ الناقدُ هو فقيهُ العلمِ واللُّغة
هو الوَطَنِيُّ الغيورُ الذى أسهمَ فى حَلِّ
مُشْكِلةِ « طابا » ، فعادت « طابا »
إلى أحضانِ الوطنِ الأمِّ - « مصر » - هو
فقيهُ الوطنِ والعُروبةِ والإسلام .

إن أحمد السعيد باقٍ ما بَقِيَتْ كُتُبُهُ
وأبحاثه ودراساته تُنِيرُ الطريقَ أمامَ أجيالٍ
متعاقبةٍ من العلماء من أساتذة اللغات
الشرقية والعربية ودارسى التاريخ الإسلامى
والتصوف والدين .

- وهكذا ، يعيشُ « العلامة » مرتين !
- إن أحمد السعيد حيٌّ ... خالد
... أليسَ هو عضواً فى مجمع
الخالدين ؟!

- عند تقديمه للمجمع « وكان مُدرّسه في مدرسة المنصورة الثانوية » - «إنَّه كان يحفظ كثيراً من الشعر العربي . . . القديم والحديث ، ولا يُخطيء في نسبة ولا يخلط في رواية » .

وكان في شبابه المبكر يقرض الشعر .

وكان حينذاك في التاسعة عشرة من عمره - كان أحمد السعيد متميزاً في اللغة العربية . . ويرجع تميزه هذا إلى نشأته الأولى فلم يكن والده عالماً . . . ولا أديباً . . . ولا أستاذاً . . . بل كان تاجر غلال مثقفاً يحلّو له أن يجالس ولديه . . الابن الأكبر الدكتور لبيب السعيد (صاحب المصحف المرتل) والابن الأصغر التلميذ أحمد السعيد . كانوا يجلسون حول المائدة يقرءون بشغف كتب الفقهاء والأدباء والشعراء ويتابعون معاً الخلافات الأدبية الممتعة التي كانت تقوم في الثلاثينيات والأربعينيات بين كبار الأدباء والشعراء وتُنشر في مجلات « الرسالة - والمقتطف - والبلاغ » . . وغيرها .

كان أحمد السعيد مبهوراً بهذا المناخ العلمي - فما كان منه إلا أن هجر تماماً اللعب مع أترابه في شوارع المنصورة ، وتفرغ للقراءة والثقافة - وحفظ الشعر القديم والحديث - وكان يرويهِ على مسمع أبيه فيطرب له ويشجعه ويدعوه «بالسيد الدكتور أحمد » - .

ومنذ ذلك العهد البعيد وهب حياته للعلم ورسم لنفسه خطوات واضحة سار على نهجها إلى النهاية مُخلصاً . . . متفانياً .

ومضت مسيرة الحياة . . وحققت له الأيام آماله . . وصافح الملك السابق فاروق مرتين ، مرة لتفوقه في ليسانس آداب قسم اللغة العربية سنة ١٩٤٤ ومرة أخرى

سنة ١٩٤٧ وكان ذلك لتفوقه في دبلوم اللغات الشرقية .

وأهداه الملك صورته مكتوباً عليها إهداؤه الخاص

وكان هذا في ذلك الزمان شرفاً . .

ما بعده شرف !

- ثم وافته الفرصة بخدمة العلم
والعلماء في محراب الجامعة .. جامعة
القاهرة بعد حصوله على رسالتي دكتوراه
الدولة من السوربون .. في باريس ..
أى منذ سنة ١٩٥٦ إلى نهاية الأجل .

- وإن أنسَ فلن أنسَ يومَ فوزه في
الترشيح للمجمع اللغوي .. بعد أن قضى
زهاء تسعة عشر عاماً خيراً به .

كان هذا اليوم المشرق المضيء من
أسعد أيام حياته ، ولقد كان ذلك اليوم من
أسعد أيام حياتنا جميعاً كأسرة صغيرة ..
تلتف حول رائدها ، تفرح لفرحه وتسعد
بإنجازاته ، وكان أعظم إنجاز توج به حياته
هو انضمامه إلى مجمع الخالدين - مجمع
أهل الفكر والأدب - مجمع رواد البحث
والعلم

إن المجمع صومعة لحماية اللغة
وأصحابها لا يلجها منهم إلا ذو حظ عظيم
- وكان الدكتور السعيد يدرك ذلك تماماً -
وكان - رحمه الله - ذا حظ عظيم !

- وإذا استطرد الحديث عن هواياته ،
فلئننى أقول : إن عمله ؛ كان هو هوايته

الأولى والثانية .. والأخيرة .. ولعل
ذلك هو سر تفوقه .

وكانت لذته الكبرى فى ركونه الدائم
إلى حجرة مكتبه وقضائه الساعات الطوال
مع أصدقائه القدامى والمحدثين : مع
الإمام البخارى - وابن الفارض - وجلال
الدين الرومى - والزيدي - والسيوطى -
وابن تيمية - والمثنوي - والجبرتي -
ومحمد إقبال - وخليل أدهم - وعبد الله
المغاوري . والبكتاشية وشيوخها وأصحابها
- وبارتولد - وكوبرلى - ولويس
ماسينيون - ولويس بازان - ودينيه -
وأندريه روسو -

ولويس برنارد - وطه حسين -
وشوقي - وحافظ - والعقاد - والمازنى -
وتوفيق الحكيم - وتيمور وغيرهم ...
وغيرهم كثيرين .

- كان هؤلاء هم أصفياه وأحباؤه
.. يقضى معهم أسعد الأوقات يناقشهم
ويناقشونه ويجادلهم ويجادلونه .

- وكان له أيضاً أصدقاء ومريدون فى
الجامعة وأحباء ورفقاء فى المجمع يحبونه

- وَيَحْتَرِمُونَهُ - « علما وخلقا » ، وذات
يوم بَاحَ لَهُمْ بِمَكْنُونِ صَدْرِهِ - وكان ذلك
عند تأيينه لزميله عضوالمجمع الراحل
الدكتور زكى الشافعى - وكانَ قد فُجِعَ
بَوفاة أَخَوَيْهِ يَوْمَهَا قال : « وَلَمْ يَكُنْ لِي
بعد أَخَوَى أَهْلُونَ أَلُوذُ بِهِمْ إِلَّا إِخْوَةٌ هَذَا
المجمع » .

لقد كان الدكتور السعيد وإخوته
بالمجمع « كَعَيْنٍ وَأَخْتِهَا أَوْ كَتَفٍ وَمِعْصَمٍ »
وكان يعيشُ مع الجميع بقلبه وعقله
ومشاعره .

- وقد مَدَحَ صَدِيقُهُ عَضُوَ المجمع
المرحوم الدكتور إبراهيم الدمرداش فى
قصيدة قال فيها :

« لَمَّا رَأَيْتُ جُمُوعَ الطَّيْرِ مُقْبِلَةً
تَلْقَى التَّحِيَّةَ الْحَانَا وَتَغْرِيدَا
أَيَقْنَتُ أَنَّ « دِيَارَ السَّعْدِ » وَجْهَتُهَا
تُهْدَى « سُلَيْمَانَ » غُصْنُ السَّلْمِ تَقْلِيدَا
مَنْ غَيْرَ أَحْمَدَ يَدْرِى كُنْهَ مَنْطِقِهَا
حتى يَوْمَ صَلَاةِ الطَّيْرِ تَجْوِيدَا
فَالْفُرْسُ ذَاكِرَةٌ وَالتُّرْكُ عَارِفَةٌ
وَالْعَرَبُ شَاهِدٌ بِالْفَضْلِ تَمْجِيدَا »

ويقول الدكتور مهدى علام . أستاذنا
الكبير - تعليقا على هذه القصيدة أو
الوثيقة كما أسماها « إنها تعبيرٌ عن شعوره
نحو صديقه وزميله الدكتور أحمد السعيد
سليمان ، بالإشادة بما هو معروفٌ لنا
جميعاً عن الدكتور السعيد من نبلى خُلُقٍ ،
وَصِدْقٍ وَفَاءٍ ، وَعِلْمٍ غَزِيرٍ فى عُمُقِهِ
وشُمُولِهِ . . . » .

وفى مجالٍ آخر وَصَفَهُ بقوله : « إن
الدكتور السعيد فيه حماسُ الشبابِ وَحِنَكةُ
الشيخ » . إن هذه والله لكلماتٌ عظيمة
من عالمٍ عظيم .

- لقد تكلمتُ . . . وتكلمتُ . . .
فَاطَلْتُ - فَعَفَوْتُ - وَمَعَذِرَةٌ - فَالْفَاجِعَةُ
الِيمةُ وَالْمُصَابُ جَلَلٌ .

وإليه أَهْمِسُ قَائِلًا : « وَإِنَّا لِفِرَاقِكَ يَا
أَبَى لَمَحْزُونُونَ » .
« بَعُدْتَ وَعَزَّ إِلَيْكَ الْبَرِيدُ »

وهلْ بَيْنَ حَيٍّ وَمَيِّتٍ بَرِيدٌ ؟
أجل ، بَيْنَنَا رُسُلُ الذِّكْرِيَّاتِ
وماضٍ يُطِيفُ ، ودمعٌ يَجُودُ

- فعزاءٌ لمصر - وللعروبة والإسلام
 ، وعزاءٌ للغة والعلم والتراث و« المعجم
 الكبير » - وعزاءٌ لكم يا صفوة العلماء
 والمفكرين والنحاة ، عزاءٌ فى عالم جليل
 - يعزُّ فيه العزاءُ - عَرَفْتُمُوهُ فَقَدَرْتُمُوهُ ،
 وأَحْبَبْتُمُوهُ فَرَشَّحْتُمُوهُ لجائزة الدولة
 التقديرية للآداب لعام ١٩٩٠ ، ففازَ بها ،
 وسعدتِ الجائزةُ به ، ولم يَسْعُدْ بها لأنها
 جَاءَتْهُ وكان قد رَحَلَ - أجل - لقد
 رحل الدكتور أحمد السعيد سليمان - قبلَ
 إعلانِ فَوْزِهِ بأيامٍ قلائل - رحمه الله رحمةً
 واسعةً وأدخله فسيح جناته مع العلماءِ
 والبررة والنبيين .
 إن اللسانَ ليعجزَ عن التعبيرِ عما يكنه
 القلبُ من جزيلِ الشكرِ وعميقِ العرفانِ
 لإقامتكم هذا الحفلَ لتأبينِ فقيدكم
 العزيز ، وعزيزنا الفقيد « الدكتور أحمد
 السعيد سليمان » .

فشُكراً لكم - أيها الخالدون -
 شكراً لسيادة الأستاذِ المبجلِ رئيسِ المجمعِ
 المُوقَّرِ الدكتور إبراهيم مذكور - وللسادة
 الأعضاءِ الأفاضلِ .

ثم شكراً - وامتناناً - وإعجاباً . .
 لأستاذنا الأديب الكاتب إبراهيم الترنزى
 على كلمته البليغة الشاملة ، ولشاعرنا العالم
 الدكتور محمد يوسف حسن على قصيدته
 الرائعة

المؤثرة ، وما هذه وتلك سوى نتاج
 صدقِ وود . . وخالصِ محبةٍ . . ورقَّةِ
 شعورٍ .

- متَّعكم الله جميعاً بموفورِ الصحةِ
 والعافية ، وأمدَّ فى أعمارِكُم لتَحْمِلُوا
 الشُّعْلَةَ . . شُعْلَةَ الحضارة . . والعلم . .
 واللغة . . ولتَكُونُوا دائماً أبداً ذخراً
 للوطن ، وفخراً للعروبة والإسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

ياسر أحمد السعيد سليمان

المرحوم الأستاذ الدكتور الشيخ محمد الطيب النجار

في الساعة الحادية عشرة من صباح
يوم الأربعاء ٤ من ديسمبر سنة ١٩٩١م
أقام المجمع حفلاً لتأبين عضوه الراحل
الأستاذ الدكتور محمد الطيب النجار رحمه
الله ، وقد ألقى كلمة المجمع في هذا
الحفل الأستاذ الدكتور محمد نايل أحمد
عضو المجمع ، ثم تلاه شقيق الفقيد
الكريم الذي ألقى كلمة الأسرة .
وفيما يلي نص الكلمات التي القيت
في الحفل :



كلمة وفاء ورثاء

فى المرحوم الأستاذ الدكتور محمد الطيب النجار

للأستاذ الدكتور محمد نايل أحمد

عضوالمجمع

من الرياض ليشغل وظيفة وكيل للأزهر ،
ثم رئيساً لجامعة الأزهر ، ثم اختير عضوا
بمجمع اللغة العربية ، ورئيساً لمركز السنة
بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

كان رحمه الله رقيق المشاعر ، يهتز
للمعروف ويُطْرِى فاعليه ، تعبيرا عن
أَرْجِيَّتِهِ التى يخجل من الحديث عنها . .
لقد كان محسنا أيما إحسان ، يرمى كل
محتاج إلى هذا الإحسان ، وكان خجولا
عَطُوفاً ، له قلب طيب ، كأنه قلب
طفل غرير ، لا يحمل من هموم الحياة
شيئا . .

وكان فى كل مواقعه ومناصبه شديد
التواضع ، جم الأدب ، كريم الخلق .

★★★

كان الدكتور محمد الطيب النجار
موسوعى الثقافة ، أديباً بليغ البيان ،
ولكن تخصصه العلمى كان فى التاريخ
الإسلامى ، وله فيه مؤلفات عديدة تشهد

عجبا لتصرف الأقدار ، وتغلب
الأحداث - نستقبل اليوم زميلا نمدحه
ونكرمه ، وغدا نفتقده فنبكيه ونؤبنه . . .
وهذه هى الحياة التى يختصم فيها الناس
ويتقاتلون عليها !!

بالأمس كنا نحتفل باستقبال الدكتور
النجار ، نبرز مواهبه وعطاءه ، واليوم
نرثيه ونودّعه ، يالها من مفارقات
ومناقضات . !!

عرفت محمد الطيب النجار عن قرب
فى أطوار حياته ومواقفه ، عرفته طالبا
ناشئا يرافق والده الشيخ الطيب فى كل
تنقلاته ، إذ كان والده رحمه الله أستاذا
فى كلية أصول الدين بشبرا فى أول إنشائها
ثم التحق الطالب محمد الطيب

النجار بكلية اللغة العربية ، بقسم التاريخ
حين كنتُ مدرسا بها حتى إذا حصل على
الدكتوراه عين مدرسا بها فترة من الزمن ،
ثم أعير إلى الرياض فترة أخرى ، ثم عاد

ببراعته الفائقة فى دراسة التاريخ ومعالجة
قضاياها ، والانتهاء من ذلك إلى رأى
تدعمه الأسانيد والشواهد والبراهين ؛ فهو
ذو شخصية علمية بارزة ؛ تستجلى حقائق
التاريخ ، وتستخلص عبرها ؛ لنستنير بها
فى حاضرنا ومستقبلنا .

ومن مؤلفاته :

- القول المبين فى سيرة سيد المرسلين
(وقد نال به جائزة باكستان فى السيرة
النبوية الشريفة)

- دراسات فى السيرة النبوية .

- الصليبيون وصلاح الدين .

- محاضرات فى تاريخ العالم الإسلامى
- تاريخ الأنبياء فى ضوء القرآن الكريم
والسنة النبوية .

- الموالى فى العصر الأموى .

- نظرات فى عصر الخلفاء الراشدين .

وقد أسهم فى لجان المجمع ومجلسه ،
ومؤتمرة إسهاماً علمياً جليلاً ، ببحوثه
ومناقشاته .

وكان عضواً بلجنة التاريخ والآثار ،
ولجنة ألقاظ الحضارة وغيرهما من اللجان .

وكان إلى جانب ذلك كله خطيباً
بارعاً رقيق النبرات ، لطيف المداخل ، بعيد
الإشارات . استمع إليه المرحوم أنور
السادات حين كان رئيساً للجمهورية فى
حفل دينى بقاعة الإمام محمد عبده ،
حتى إذا انتهى من كلمته نهض إليه
السادات يصفحه وقد رأى التصفيق الحاد
من شباب الجامعة إعجاباً ببيانه وأسلوبه ،
فقرر أن يمد له عامين جديدين فى رياسته
للجامعة .

ولقد سعدنا به زميلاً كريماً فى
مجمع اللغة العربية ، دقيق الملاحظة ، بارع
التعليق ، لطيف الدعابة ، وقد اختير
مقرراً للجنة التاريخ والآثار بالمجمع ،
فساعد فى العطاء ، وأغنى عملها ،
بما يحفظه له المجمع فى تراثه المجمعى
الخالد .

رحم الله الدكتور محمد الطيب النجار
وأنزله منازل المتقين الأبرار فى جنات
النعيم إن شاء الله .

محمد ناسيل

عضو المجمع

كلمة الأسرة

ألقاها الأستاذ محيي الدين الطيب النجار شقيق الفقيد

سيادة الدكتور رئيس المجمع :

سيداتي سادتي :

السادة الكرام أعضاء المجمع :

باسم أسرة الراحل الكريم ، فضيلة

سيداتي سادتي :

الدكتور محمد الطيب النجار ، أشكر

المجمع الكريم على هذا الحفل الذي

يعز على اليوم أن أقف مؤبنا لأخي

الكريم المؤرخ الإسلامى العظيم والداعية

استرجعنا فيه ذكرى الشقيق الطيب ، وإنها

الجليل ، فضيلة الدكتور الشيخ محمد

لذكرى عطرة وستظل هكذا إن شاء الله .

الطيب النجار ..

كما أشكر سيادة الدكتور رئيس

فلم يكن محمد الطيب النجار أخاً لى

المجمع وسيادة الدكتور الشيخ محمد نايل

فحسب ، بل كان أباً حنوناً ، وأخاً

أحمد الذى ناب عن المجمع فى الحديث

عطوفاً ، وكل شىء لى فى الحياة .

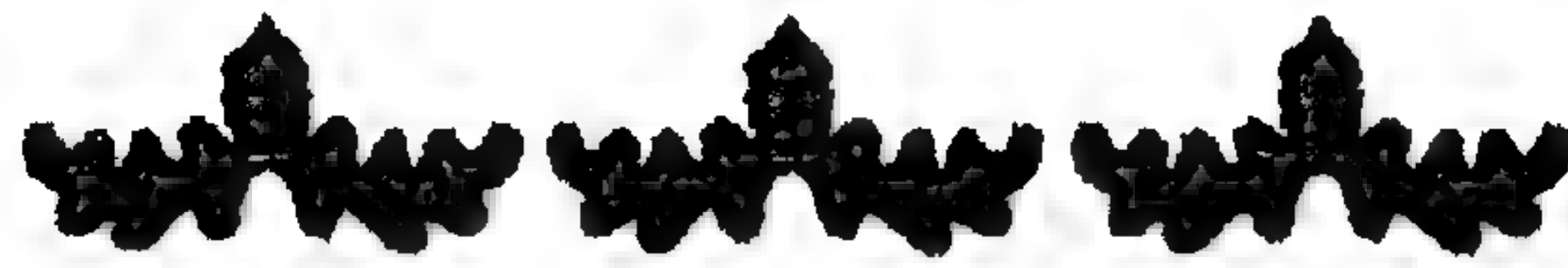
عن مآثر أخى الكريم ، ولا يفوتنى أن

سيادة الدكتور رئيس المجمع :

أشكر كذلك جميع السادة الأجلاء أعضاء

السادة الأجلاء أعضاء المجمع :

المجمع لحرصهم على الحضور .



من أنبياء المجمع

من أنباء المجمع

أميناً عاماً للمجمع اعتباراً من ١١ من يناير

سنة ١٩٩٣

- الترشيح لجوائز الدولة التقديرية :

- رشح المجمع فى هذه الدورة كلا

من :

- الدكتور محمود على مكى ، عضو

المجمع لنيل جائزة الدولة التقديرية فى

الآداب لعام ١٩٩٣ م .

- الدكتور كمال محمد دسوقي عضو

المجمع لنيل جائزة الدولة التقديرية فى

العلوم الاجتماعية لعام ١٩٩٣ م .

- خبراء جدد بالمجمع :

اختير فى هذه الدورة عدد من الخبراء

للإفادة من خبرتهم فى اللجان اللغوية

والعلمية المختلفة :

- الدكتور السباعى محمد السباعى

أستاذ اللغة الفارسية والتركية ، ورئيس

قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب

بجامعة القاهرة خبيراً باللجنة العامة

للمعجم الكبير .

- انتخاب نائب جديد لرئيس المجمع :

فى جلسة مجلس المجمع المنعقدة

بتاريخ ١٤ من ديسمبر سنة ١٩٩٢ ، تم

انتخاب الأستاذ الدكتور شوقى ضيف ،

نائباً لرئيس المجمع ، خلفاً للمرحوم

الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام .

وقد صدر قرار السيد الأستاذ الدكتور

وزير التعليم ، رقم ١٦٢٨ لسنة ١٩٩٢

باعتتماد انتخاب الأستاذ الدكتور شوقى

ضيف ، نائباً لرئيس المجمع اعتباراً من

٢٠ ديسمبر سنة ١٩٩٢ م

- وانتخاب أمين عام جديد للمجمع :

فى جلسة مجلس المجمع المنعقدة

بتاريخ ١١ من يناير سنة ١٩٩٣ م . تم

انتخاب الأستاذ إبراهيم الترسى ، أميناً

عاماً للمجمع فى المكان الذى خلا

بانتخاب الأستاذ الدكتور شوقى ضيف ،

نائباً لرئيس المجمع .

وقد صدر قرار السيد الأستاذ الدكتور

وزير التعليم رقم ١٠١ لسنة ١٩٩٣

باعتتماد انتخاب الأستاذ إبراهيم الترسى

- الدكتور محمود فهمى حجازى
الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة خبيراً
بلجنة الألفاظ والأساليب .

- الدكتور عبد الصبور شاهين الأستاذ
بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة خبيراً
بلجنة الأصول .

- الدكتور العجمى الدمنهورى خليفة
خبيراً بلجنة الشريعة .

الدكتور عبد المنعم السيد نجم خبيراً
بلجنة الشريعة .

الدكتور طه وادى الأستاذ بكلية الآداب
بجامعة القاهرة خبيراً بلجنة الأدب .

- الدكتور أحمد درويش الأستاذ
بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة خبيراً
بلجنة الأدب .

- الدكتور السيد مصطفى عمر
السوسى المدرس بكلية الدراسات العربية
والإسلامية بالفيوم خبيراً بلجنة تنسيق
المعجم الكبير .

- الدكتور أحمد المهدي عبد الحليم
الأستاذ المتفرغ بكلية التربية - جامعة عين
شمس - خبيراً بلجنة علم النفس
والتربية .

- الدكتور حسين مجيب المصرى
خبيراً بلجنة التاريخ والآثار .

- الدكتور حامد طاهر رئيس قسم
الفلسفة بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة
خبيراً بلجنة الفلسفة .

- الدكتور أحمد البهنساوى مدرس
الحاسبات بكلية الهندسة جامعة القاهرة
خبيراً بلجنة الحاسبات بالمجمع .



طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الإدارة

مهندس / إبراهيم السيد البهناوي

رقم الإيداع بدار الكتب ٦٣٢ / ١٩٩٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٦٢١ - ١٩٩٥ - ٢٠١٤

